مقالات الكوثرى

محمد زاهد الكوثرى

الفهرس

محق التقوّل في مسألة التوسل

للإمام العلامة الفقيه

محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه اجمعين
اما بعد : فإنا نرى طائفة من الحشوية يحاولون إكفار الأمة جمعاء بين حين وآخر بسبب أنهم يزورون القبور ويتوسلون الله تعالى بالأخيار . فكأنهم بذلك اصبحوا عباد الأوثان فحاشاهم من ذلك .
فأحببت ذكر آراء أئمة أصول الدين في مسألة التوسل لأنهم اصحاب الشأن في تبيين وجود الفرق بين التوحيد والإشراك وعبادة الأوثان ، مع سرد مافي الكتاب والسنة من وجوه الدلالة على ذلك عند اهل العلم ردا للحق الى نصابه ، وردعاً للجهل

واصحابه ، والله سبحانه ولي التسديد والتوفيق

الفصل الأول :

فأقول مستعيناً بالله جل جلاله : إني أرى أن أتحدث هنا عن مسألة التوسل التي هي وسيلة دعاتهم إلى رميهم الأمة المحمدية بالإشراك وكنت لا أحب طرق هذا البحث لكثرة ما اثاروا حوله من جدل عقيم مع ظهور الحجة واستبانة المحجة
وليس قصد أول من أثار هذه الفتنة سوى استباحة أموال المسلمين ليؤسس حكمه بأموالهم على دمائهم باسم أنهم مشركون وأنّى يكون للحشوية صدق الدعوة إلى التوحيد !
وهم في إنكارهم التوسل محجوجون بالكتاب ، والسنة والعمل المتوارث والمعقول .
أما الكتاب فمنه قوله تعالى (وابتغوا إليه الوسيلة) بعمومها تشمل التوسل بالأشخاص ، والتوسل بالأعمال بل المتبادر من التوسل في الشرع هو هذا وذاك ، رغم تقول كل مفتر أفاك والفرق بين الحي والميت في ذلك لا يصدر إلا عمن ينطوي على اعتقاد فناء الأرواح ، المؤدي الى إنكار البعث وعلى ادعاء انتفاء الإدراكات الجزئية من النفس بعد مفارقتها البدن ، المستلزم لإنكار الأدلة الشرعية في ذلك .
أما شمول الوسيلة في الآية المذكورة للتوسل بالأشخاص فليس برأي مجرد ، ولا هو بمأخوذ من العموم اللغوى فحسب ، بل

هو المأثور عن عمر الفاروق رضي الله عنه حيث قال بعد أن توسل بالعباس رضي الله عنه في الاستسقاء(هذا والله الوسيلة الى الله عز جل) كما في الاستيعاب لابن عبد البر .
واما السنة فمنها حديث عثمان بن حنيف – بالتصغير – رضي الله عنه وفيه : " يا محمد إني توجهت بك إلى ربي "
وهكذا علّم الرسول صلى الله عليه و سلم الضرير الدعاء ، وفيه التوسل بالشخص وصرفه عن ظاهره تحريف للكلم عن مواضعه بهوى .
وأما كون استجابة دعاء الضرير بدعاء الرسول صلوات الله عليه – وهو غير مذكور في الرواية – أوبدعاء الضرير ، فلا شأن لنا بذلك ، بل الحجة هي نص الدعاء المأثور عن الرسول عليه الصلاة والسلام .
وقد نص على صحة هذا الحديث جماعة من الحفاظ كما سيأتي
وقد ورد أيضاً في حديث فاطمة بنت أسد رضي الله عنها " بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي". ورجال هذا الحديث ثقات سوى روح بن صلاح . وعنه يقول الحاكم : ثقة مأمون وذكره ابن حبان في الثقات.
وهو نص على أنه لا فرق بين الأحياء والأموات في باب التوسل
وهذا توسل بجاه الأنبياء صريح .
وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : " اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ". وهذا توسل بالمسلمين عامة أحياء وأمواتا .
وابن الموفق في سنده لم ينفرد عن مرزوق وابن مرزوق من رجال مسلم وعطية حسّن له الترمذي عدة احاديث ، كما سيأتي

.
وعلى التوسل بالأنبياء والصالحين أحياء وأمواتا جرت الأمة طبقة فطبقة.
وقول عمر رضي الله عنه في الإستسقاء : " إنا نتوسل إليك بعم نبينا " نص في توسل الصحابة بالصحابة ، وفيه إنشاء التوسل بشخص العباس رضي الله عنه .
وليس في هذه الجملة فائدة الخبر ، لأن الله تعالى يعلم أيضاً علم المتوسلين بتوسلهم ، فتمحضت الجملة لإنشاء التوسل بالشخص
.
وقوله (كنا نتوسل) فيه أيضاً ما في الجملة الأولى ، وعلى أن قول الصحابي : كنا نفعل كذا ينصب على ما قبل القول فيكون المعنى أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتوسلون به صلى الله عليه و سلم في حياته ، وبعد لحوقه بالرفيق الأعلى إلى عام الرمادة .
وقصر ذلك على ما قبل وفاته عليه السلام تقصير عن هوى وتحريف لنص الحديث ، وتأويل بدون دليل.
ومن حاول إنكار جواز التوسل بالأنبياء بعد موتهم بعدول عمر إلى العباس في الإستسقاء قد حاول المحال ، ونسب إلى عمر ما لم يخطر له على بال ، فضلاً عن أن ينطق به ، فلا يكون هذا إلا محاولة إبطال السنة الصريحة بالرأي .
وفعل عمر إنما يدل على أن التوسل بقرابة الرسول r الأحياء جائز كجوازه بالنبي عليه الصلاة والسلام ليس غير ، بل في استعياب ابن عبد البر بيان سبب استسقاء عمر بالعباس حيث يقول فيه (إن الأرض أجدبت إجداباً شديداً على عهد عمر زمن الرمادة وذلك سنة سبع عشرة فقال كعب يا أمير المؤمنين : إن

بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا إستقوا بعصبة الأنبياء ، فقال عمر : هذا عم رسول الله صلى الله عليه و سلم وصنو أبيه وسيد بني هاشم فمشي إليه عمر , وشكا إليه) .
فهل استبان أن استسقاء عمر بالعباس لم يكن من جهة أن الرسول ميت لا يسمع نداء ، ولا جاه له عند الله تعالى : حاش لله ، ما هذا إلا إفك مفترى .
وحديث مالك الدار في مجيء بلال بن الحارث الصحابي إلى قبر النبي صلى الله عليه و سلم أيام القحط في عهد عمر ، وقوله (يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه و سلم في المنام فقال : " ائت عمر فاقرئه السلام وأخبره أنهم يسقون) نص في توسل الصحابة به عليه السلام بعد وفاته من غير نكير .
والحديث مما أخرج ابن أبي شيبه بسند صحيح ، كما في " فتح الباري "
وهذا قامع لمن لا يجيز التوسل به صلوات الله عليه بعد لحوقه بالرفيق الأعلى وكذلك حديث عثمان بن حنيف في تعليمه دعاء الحاجة السابق ذكره لمن كان له حاجة عند عثمان بن عفان رضي الله عنه وفيه التوسل بالنبي r بعد وفاته ، من غير أن ينكر عليه أحد.
والحديث صححه الطبراني ، وأقره ابو الحسن الهيثمي في " مجمع الزوائد " كما سيأتي .
وقد جمع المحدث الكبير محمد عابد السندي ، في جزء خاص الأحاديث والآثار الواردة في هذا الباب فشفى وكفى .
وعمل الأمة المتوارث طبقة فطبقة في ذلك مما يصعب استقصاؤه وفي ذلك كتب خاصة .

وفي مناسك الإمام أحمد رواية ابي بكر المروزي التوسل إلى الله تعالى بالنبي rوالصيغة التي ذكرها أبو الوفاء بن عقيل كبير الحنابلة في " تذكرته " في التوسل به عليه السلام ، على مذهب الحنابلة فيها طول ، ذكرنا نصها في تكملتنا " للسيف الصقيل " وتوسل الإمام الشافعي بأبي حنيفة مذكور في أوائل " تاريخ الخطيب " بسند صحيح.
وتمسح الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي بقبر أحمد للإستشفاء لدمامل أعيا الأطباءً مذكور في " الحكايات المنثورة " للحافظ الضياء المقدسي سماعاً من شيخة المذكور .
والكتاب محفوظ بظاهرية دمشق ، وهو بخط المؤلف . فهل هؤلاء عباد القبور؟!.
وأما من جهة المعقول فإن أمثال الإمام فخر الدين الرازي والعلامة سعد الدين التفتازاني والعلامة السيد الشريف الجرجاني وغيرهم من كبار أئمة أصول الدين الذين يفزع اليهم في حل المشكلات في أصول الديانة : قد صرحوا بجواز التوسل بالأنبيا والصالحين أحياءا وأمواتاً ، وأي ضعيف يستطيع أن يرميهم بعبادة القبور ، والدعوة إلى الإشراك بالله ، وإليهم تفزع الأمة في معرفة الإيمان والكفر ، والتوحيد والإشراك ، والدين الخالص .
والمدد كله عند الجميع من مسبب الأسباب جل جلاله.
فدونك نصوصاً من كلام هؤلاء الأئمة في هذه المسألة.
قال الرازي في تفسيره : " إن الأرواح البشرية الخالية من العلائق الجسمانية المشتاقة إلى الإتصال بالعالم العلوي بعد خروجها من ظلمة الأجساد تذهب إلى عالم الملائكة ومنازل القدس, ويظهر منها آثار في أحوال هذا العالم ، فهي المدبرات

أمرا أليس الإنسان قد يرى أستاذه في المنام ويسأله عن مسألة فيرشده إليها .
وقال الرازي في " المطالب العالية " وهو من أمتع كتبه في أصول الدين : في الفصل العاشر من المقالة الثالثة من الكتاب السابع منه : إن الإنسان قد يرى أباه وأمه في المنام ويسألهما عن أشياء وهما يذكران أجوبة صحيحة ، وربما أرشداه إلى دفين في موضع لا يعلمه أحد ، ثم قال أنا كنت صبياً في أول التعلم ، وكنت أقرأ " حوادث لا أول لها " فرأيت في المنام أبي فقال لي : أجود الدلائل أن يقال الحركة إنتقال من حالة إلى حالة فهي تقتضي بحسب ماهيتها مسبوقيتها بالغير ، والأزل ينافي مسبوقاً بالغير ، فوجب أن يكون الجمع بينهما محالاً ثم قال المنصف والظاهر أن هذا الوجه أحسن من كل ما قيل في هذه المسألة.
وأيضاً سمعت أن الفردوسي الشاعر لمّاصنف كتابة المسمى " بشاهنامه " على اسم السلطان محمود بن سبكتكين ولم يقض حقه كما يجب ، وما راعاه كما يليق بذلك الكتاب ، ضاق قلب الفردوسي ، فرأي في المنام " رستم " فقال له : قد مدحتني في هذا الكتاب ، كثيراً وأنا في زمرة الأموات فلا أقدر على قضاء حقك ، ولكن إذهب إلى الموضع الفلاني واحفره فإنك تجد فيه دفيناً فخذه. فكان الفردوسي يقول : أن رستم بعد موته أكثر كرماً من محمود حال حياته .

وقال أيضاً في الفصل الثامن عشر من تلك المقالة – والفصل الثامن عشر في بيان كيفية الإنتفاع بزيارة الموتى والقبور - : " ثم قال سألني بعض أكابر الملوك عن المسألة ، وهو الملك محمد بن سالم بن الحسين الغوري – وكان رجلاً حسن السيرة

مرضي الطريقة ، شديد الميل إلى العلماء ، قوي الرغبة في مجالسة أهل الدين والعقل – فكتبت فيها رسالة وأنا أذكر هنا ملخص ذلك فأقول للكلام فيه مقدمات . المقدمة الأولى : أنّا قد دللنا على أن النفوس البشرية باقية بعد موت الأبدان ، وتلك النفوس التي فارقت أبدانها أقوى من هذه النفوس المتعلقة بالأبدان من بعض الوجوه . أما أن النفوس المفارقة أقوى من هذه النفوس من بعض الوجوه ، فهو أن تلك النفوس لما فارقت أبدانها فقد زال الغطاء ، وانكشف لها عالم الغيب ، وأسرار منازل الأخرة ، وصارت العلوم التي كانت برهانية عند التعلق بالأبدان ضرورية بعد مفارقة الأبدان ، لأن النفوس في الأبدان كانت في عناء وغطاء ، ولمّا زال البدن أشرفت تلك النفوس وتجلت وتلألأت ، فحصل للنفوس المفارقة عن الأبدان بهذا الطريق نوع من الكمال . وأما أن النفوس المتعلقة بالأبدان أقوى من تلك النفوس المفارقة من وجه أخر فلأن آلات الكسب والطلب باقية لهذه النفوس بواسطة الأفكار المتلاحقة ، والأنظار المتتالية تستفيد كل يوم علماً جديداً ، وهذه الحالة غير حاصلة للنفوس المفارقة .

والمقدمة الثانية أن تعلق النفوس بأبدانها تعلق يشبه العشق الشديد ، والحب التام ، ، ولهذا السبب كان كل شيء تطلب تحصيله في الدنيا فإنما تطلبه لتتوصل به إلى إيصال الخير والراحة إلى هذا البدن . فإذا مات الإنسان وفارقت النفس هذا البدن ، فذلك الميل يبقى ، وذلك العشق لا يزول وتبقى تلك النفوس عظيمة الميل إلى ذلك البدن,عظيمة الإنجذاب ، على هذا المذهب الذي نصرناه من أن النفوس الناطقة مدركة للجزئيات ، وأنها تبقى موصوفة بهذا الإدراك بعد موتها ، إذا

عرفت هذه المقدمات فنقول : إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس ، كامل الجوهر شديد التأثير ، ووقف هناك ساعة ، وتأثرت نفسه من تلك التربة – وقد عرفت أن لنفس ذلك الميت تعلقاً بتلك التربة أيضاً- فحينئذ يحصل لهذا الزائر الحي ، ولنفس ذلك الميت ملاقاة بسبب إجتماعهما على تلك التربة ، فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى أخرى . فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية ،والعلوم الكسبية ، والأخلاق الفاضلة من الخضوع له ، والرضا بقضاء الله ينعكس منه نور إلى روح ذلك الميت ، وكل ما حصل ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة الكاملة فإنه ينعكس منه نور إلى روح هذا الزائر الحي. وبهذا الطريق تكون تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى ، والبهجة العظمى لروح الزائر ، ولروح المزور ، وهذا هو السبب الأصلي في شرع الزيارة ، ولا يبعد أن تحصل فيها أسرار أخرى أدق وأغمض مما ذكرنا . وتمام العلم بحقائق الأشياء ليس إلا عند الله اهـ .

و ها أنت رأيت ما يراه الإمام فخر الدين الرازي في الزيارة من الأخذ والعطاء ، والإستفاضة والإفاضة على نسبة منزلتي المزور والزائر .

وقال العلامة المحقق السعد التفتازاني في " شرح المقاصد " وهو من أمهات كتب أصول الدين – في الصفحة 32 من الجزء الثاني منه في الردة على الفلاسفة

لماكان إدراك الجزئيات مشروطاً عند الفلاسفة بحصول الصورة في الآلات ، فعند مفارقة النفس وبطلان الآلات لا

تبقى مدركة للجزئيات ضرورة انتفاء الشروط بانتفاء الشرط .
وعندنا لما لم تكن الآلات شرطاً في إدراك الجزئيات ، إما أنه ليس بحصول الصورة لا في النفس ولا في الحس, وإما لأنه لا يتمنع ارتسام صورة الجزئي في النفس بل الظاهر من قواعد الإسلام أنه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات جزئية ، وإطلاع على بعض جزئيات أحوال الأحياء ، سيما الذين بينهم وبين الميت تعارف في الدنيا ، ولذا ينتفع بزيارة القبور, والإستعانة بنفوس الأخيار من الأموات في إستنزال الخيرات وإستدفاع الملمات ، فإن للنفس بعد المفارقة تعلقاً ما بالبدن وبالتربة التي دفن فيها . فإذا زار الحي تلك التربة ، توجهت نفسه تلقاء نفس الميت حصل بين النفسين ملاقات وإفاضات . ا هـ .
هذا هو تحقيق هذا الإمام الجليل في المسألة ، فهذا أيضاً ممن لا يميز بين التوحيد والإشراك ؟ قف لرأس يتخيل ذلك ! .
وقال التفتازاني أيضاًً في الصفحة (150) من الجزء المذكور : وبالجملة ظهور كرامات الأولياء يكاد يلحق بظهور معجزات الأنبياء ، وإنكارها ليس بعجب من أهل البدع والأهواء إذ لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم قط ولم يسمعوا به من رؤسائهم الذين يزعمون انهم على شئ مع إجتهادهم في أمور العبادات واجتناب السيئات فوقعوا في أولياء الله تعالى أصحاب الكرامات ، يمزقون أديمهم ويمضغون لحومهم ، لا يسمّونهم إلا باسم الجهلة المتصوفة, ولا يعدونهم إلا عداد آحاد المبتدعة قاعدين تحت المثل السائر (أو سعتهم سبا وأودوا بالإبل) ولم يعرفوا أن مبنى هذا الأمرعلى صفاء القصيدة ونقاء السريرة ، واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة . اهـ وهذا هو قول هذا الإمام الجليل في أولياء الله أصحاب الكرامات مع انه لا صلة له

بالتصوف ، وفي تلك عبرة لمن تعود أن يلغ في دماء أصفياء الأمة .
وقال العلامة السيد الشريف الجرجاني في أوائل حاشية على (المطالع) عند بيان الشارح وجه الصلاة على النبي وآله عليه وعليهم الصلاة والسلام في أوائل الكتب ، ووجه الحاجة إلى التوسل بهم في الاستفاضة : " فإن قيل هذا التوسل إنما يتصور إذا كانوا متعلقين بالأبدان ، وأما إذا تجردوا عنها فلا ، إذ لا وجهة مقتضية للمناسبة . قلنا يكفيه أنهم كانوا متعلقين بها متوجهين إلى تكميل النفوس الناقصة بهمة عالية ، فإن أثر ذلك باق فيهم، وكذلك كانت زيارة مراقدهم معدة لفيضان أنوار كثيرة منهم على الزائرين كما يشاهده ، أصحاب البصائر " ا هـ .
فتطابق الكتاب والسنة ، وعمل الأمة المتوارثة ، وكلام أئمة أصول الدين في المسألة كما رأيت ومن عاند بعد ذلك فهو زائغ عن السبيل .

الفصـل الثـاني :

وأتحدث الآن بإذن الله تعالى عن الأحاديث ، والآثار المروية في هذا الباب تفصيلاً لما أجملناه ، هناك بعد الإشارة إلى الآيات في ذلك .
فأقول سبق أن تلونا قوله تعالى : (يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) احتجاجاً به على أن التوسل بالذوات

والأعمال مطلوب شرعاً ، لشمول إبتغاء الوسيلة لهذا وذاك ، لا بمجرد الرأي فقط ، ولا بالعموم اللغوي فحسب ، بل بما رواه ابن عبد البر في(الاستيعاب) عن عمر رضى الله عنه أنه قال بعد أن استسقى بالعباس رضي الله عنه وسقوا " هذا – والله – الوسيلة إلى الله عز وجل والمكان منه " وزد على ذلك قول عمر أيضاً في (أنساب الزبير بن بكار) على ما في فتح الباري : " واتخذوه – يعني العباس – وسيلة إلى الله " ولا يتصور أن يكون هذا بمعنى : اطلبوا الدعاء منه لأن عمر طلب منه الدعاء ، وتقدم هو للدعاء ، وبعد طلب أمير المؤمنين منه وتقدمه للدعاء إجابة لطلب عمر لا يكون قول عمر هذا إلا بمعنى : " توسلوا به إلى الله " كما فعل عمر نفسه ، لكن الهوى يعمي ويعم .

وفي فتح الباري (2- 337) وليس في قول عمر أنهم كانوا يتوسلون به دلالة على أنهم سألوه أن يستسقي لهم إذ يحتمل أن يكونوا في الحالتين طلبوا السقيا من الله مستشفعين به صلى الله عليه و سلم.

وقال ابن رشد أراد بالترجمة (باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء) الاستدلال بالطريق الأولى لأنهم إذا كانوا يسألون الله به فيسقيهم فأحرى أن يقدموه للسؤال اهـ .

وكلام الحافظين يقضي على وهم من يهم قائلاً أن التوسل به r هو طلب الدعاء منه ، وأين التوسل من الدعاء ؟ نعم قد يدعوا المتوسل به للمتوسل ، ولكن ليس هذا مدلولاً لغوياً ولا شرعياً للتوسل ، ويستأنس في التوسل به r بما ذكره البغوي وغيره من أهل التفسير بالرواية في قوله تعالى : (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به)

من أن اليهود كانوا إذا حزبهم أمر وداهمهم عدو يقولون : " اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في أخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون " واستقصاء الروايات في ذلك في " الدر المنثور " .
وتخصيص قوله تعالى : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) . بما قبل الموت تخصيص بدون حجة عن هوى وترك المطلق على إطلاقة مما اتفق عليه أهل الحق ، والتقييد لا يكون إلا بحجة,ولا حجة هنا تقيد الآية ، بل فقهاء المذاهب حتى الحنابلة على شمول الآية لما بعد الموت والأنبياء أحياء في قبورهم " .
وقد ذكرنا صيغة التوسل به صلى الله عليه و سلم عند الحنابلة وقت زيارة قبره نقلاً عن كتاب (التذكرة) لأبي الوفاء بن عقيل من قدماء الحنابلة في أواخر تكملتنا للرد على نونية ابن القيم ، وفيها التوسل ، وتلاوة تلك الآية وليس خبر العتبي مما يرد بجرة قلم .
ولنعد إلى الكلام في بعض الأحاديث والأثار الواردة في التوسل تفصيلاً لما أجملناه فيما سبق .
أولا: فمنها ما أخرجه البخاري في (الاستسقاء) حيث قال في صحيحه ، حدثني الحسن بن محمد ، قال : حدثنا محمد الأنصاري قال : حدثني أبي عبد الله بن المثنى ، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس, عن انس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقوا بالعباس بن عبد المطلب فقال : (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون) وفيه التوسل بالذات وادعاء أن هناك مضافاً محذوف، أي بدعاء عم نبينا تقوّل محض بدون أي حجة ، كما

أن فرض العدول – لوفاة النبي صلى الله عليه و سلم- إلى العباس تقويل لعمر ما لم يخطر له على بال,بل فيه جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل ، بل التوسل بلفظ " عم نبينا " توسل بقرابة العباس منه عليه الصلاة والسلام وبمنزلته لديه ، فيكون هذا التوسل توسلاً به صلى الله عليه و سلم وأيضاً ولفظ "كنا " غير خاص بعهد النبي صلى الله عليه و سلم بل يشمله وما بعده إلى عام الرمادة ، والتقييد تقييد بدون مقيّد .
وكان ابن عمر رضي الله عنهما يتمثل بشعر أبي طالب :
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه . كما في البخاري بل وروى استنشاد الرسول rذلك الشعر كما في فتح الباري .
وفي شعر حسان رضى الله عنه : فسقى الغمام بغرة العباس .
كما في الاستيعاب وفي كل ذلك طلب السقيا من الله بذات العباس وجاهه عند الله تعالى.

ثانيا: ومنها ما أخرجه البيهقي ، وبطريقه أخرجه التقي السبكي في " شفاء السقام " وغيره ، من حديث مالك الدار في استسقاء بلال بن الحارث المزني رضى الله عنه في عهد عمر بالنبي صلى الله عليه و سلم ومالك الدار بالإضافة هو مالك بن عياض مولى عمر ، وكان خازنه ، وقد ولاه وكلة عيال عمر ثم ولاه عثمان رضى الله عنه القسم فسمي مالك الدار كما في طبقات ابن سعد والإصابة . وفي " معارف " ابن قتيبة : ومن موالي عمر بن الخطاب مالك الدار ، وكان عمر ولاه داراً وكان يقسم بين الناس فيها شيئاً اهـ .
ونص الحديث "أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب رضى عنه ، فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه و سلم فقال : يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتاه رسول

الله صلى الله عليه و سلم في المنام فقال : " ائت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنهم يسقون " الحديث .
ومحل الاستشهاد وطلب الاستسقاء منه صلى الله عليه و سلم في البرزخ ، ودعاؤه لربه ، وعلمه بسؤال من يسأل لمن ينكر صنيعه هذا أحد من الصحابة .وقد أخرج هذا الحديث البخاري في تاريخه بطريق ابي صالح ذكوان مختصراً .
وأخرجه ابن أبي خيثمة من هذا الوجه مطولاً ، كما في الإصابة وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة بإسناد صحيح ، كما نص عليه ابن حجر ، في الفتح / 2 – 338 / من رواية أبي صالح السمان ، عن مالك الدار – والداري باليا سهو من الطابع – ابن حجر : أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة ، كما روى سيف في الفتوح . ا هـ .
وهذا نص على عمل الصحابة في الاستسقاء به صلى الله عليه و سلم بعد وفاته حيث لم ينكر عليه أحد منهم مع بلوغ الخبر إليهم ، وما يرفع إلى أمير المؤمنين يذيع ويشيع . فهذا يقطع ألسنة المتقولين .
ثالثا: ومنها حديث عثمان بن حنيف رضى الله عنه في دعاء عن النبي صلى الله عليه و سلم وفيه " اللهم إني اسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي " الحديث . وفيه التوسل بذات النبي صلى الله عليه و سلم وبجاهه ، ونداء له في غيبته .
وهذا أيضاً مما يقطع ألسنة المتقولين .
وهذا الحديث أخرجه البخاري في تاريخه الكبير والترمذي في أواخر الدعوات من " جامعه " وابن ماجه في " صلاة الحاجة من سننه " وفيه نص على صحته . والنسائي في " عمل اليوم

والليلة " وأبو نعيم في " معرفة الصحابة " والبيهقي في " دلائل النبوة " وغيرهم على اختلاف يسير في غير موضع الاستشهاد ، وصححه جماعة من الحفاظ يقارب عددهم خمسة عشر حافظاً .
فمنهم سوى المتأخرين : الترمذي وابن حبان ، والحاكم والطبراني ، وأبو نعيم ، والبيهقي والمنذري, وسند الترمذي :حدثنا محمود بن غيلان نا عثمان بن عمر ، نا شعبة ، عن أبي جعفر عن عمارة – بالضم – ابن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف ، ثم ساق الحديث ، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر – وهو الخطمي " .
وفي بعض النسخ المطبوعة " وهو غير الخطمي " وفي بعضها " وليس هو الخطمي " .
وهذا وذاك من تصرفات الناسخين ، وليس من عادة الترمذي أن يقول هو غير فلان ، ويتركه من غير بيان .
على أن ابا جعفر الراوي عن عمارة بين شيوخ شعبه إنما هو عمير بن يزيد الخطمي المدني الأصل ثم البصري ، كما يظهر من كتاب الرجال المعروفة من مطبوع ومخطوط .
وأبو جعفر الرازي المتوفي 160 من شيوخ شعبه لم يدرك عمارة المتوفي 105 اصلاً ، لأن رحلته إلى الحجاز بعد وفاة عمارة بنحو تسع سنين ، وشعبة شعبة في التثبيت فيما يروي .
على أن طرقاً أخرى للحديث عند الطبراني وغيره تنص في صلب السند على أنه الخطمي الثقة باتفاق ، وسند الطبراني في الحديث مسوق في " شفاء السقام " للتقي السبكي .
ورجال سند الترمذي كلهم ثقات ، وإنما سماه غريباً لانفراد

عثمان بن عمر ، عن شعبة ، وانفراد أبي جعفر عن عمارة ، وهما ثقتان باتفاق ، وكم من حديث صحيح ينفرد به أحد الرواة كحديث " إنما الأعمال بالنيات " وسماه حسناَ ً لتعدد طرقه بعد أبي جعفر ، وعثمان بن عمر .
وتسميته صحيحاً باعتبار تكامل أوصاف الصحة في رواته .
رابعا: ومنها حديث عثمان بن حنيف ايضاً في تعليم دعاء صلاة الحاجة المذكور لرجل كانت له حاجة عند عثمان بن عفان رضى الله عنه فدعا به فقضيت حاجته .
وموضع الاستشهاد أن الصحابي المذكور فهم من حديث دعاء الحاجة أنه لا يختص بزمنه صلى الله عليه و سلم وهذا توسل به ، ونداء بعد وفاته صلى الله عليه و سلم وعمل متوارث بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وقد أخرج هذا الحديث الطبراني في الكبير وصححه بعد سوقه من طرق ، كما ذكره أبو الحسن الهيثمي في " مجمع الزوائد " وأقره عليه ، كما أقر المنذري قبله في " الترغيب والترهيب " وقبله أبو الحسن المقدسي ، وأخرجه أيضاً ابو نعيم في " المعرفة " والبيهقي من طريقين ، وإسنادهما صحيح أيضاً .

خامسا: ومنها حديث فاطمة بنت أسد رضي الله عنها ، وفيه من لفظ رسول الله صلى الله عليه و سلم " بحق نبيك والأنبياء من قبلي " وصححه ابن حبان والحاكم ، وأخرجه الطبراني في الكبير ، والأوسط بسند فيه روح بن صلاح وثقه ابن حبا ن ، والحاكم ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، كما قال الهيثمي في " المجمع " .
وفيه توسل بذوات الأنبياء الذين انتقلوا إلى دار الآخرة .
سادسا: ومنها حديث عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه و سلم " لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد ألا غفرت لي " أخرجه الحاكم في المستدرك ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ، وهو أول حديث ذكرته . لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم . اهـ وساق سنده التقى السبكي في (شفاء السقام) وأخرجه الطبراني في الأوسط والصغير ، وفي سندهما بعض من لا يعرفه الهيثمي .

واما عبد الرحمن بن زيد فقد ضعفه مالك ، وتبعه أخرون ، إلا أنه لم يتهم بالكذب بل بالوهم .

ومثله ينتقى بعض أحاديثه . وهذا هو الذي فعله الحاكم حيث رأى ان الخبر مما قبله مالك فيما روى ابن حميد عنه حيث قال لأبي جعفر المنصور : "..... وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام " .

وبعد أن أقر الإمام مالك رضي الله عنه بصحة الخبر واحتج به زالت تهمة الوهم وقلة الضبط عن عبد الرحمن الذي إنما يقتدي من رماه بذلك بمالك ، وعبد الرحمن بن زيد ليس ممن يرد خبره مطلقاً .

وهذا هو الإمام الشافعي يستدل في دين الله ببعض احاديثه في " الأم " وفي " مسنده " فلا لوم على الحاكم في عده هذا الحديث صحيحاً ، بل هو الصحيح ، إلا عند من يضيق صدره عند سماع فضائل المصطفى r وأما قول مالك لأبي جعفر المذكور فهو ما أخرجه القاضي عياض في " الشفاء بتعريف حقوق المصطفى " بسند جيد وابن حميد في السند هو محمد بن حميد الرازي في الراجح، على خلاف ما ظنه التقي السكبي لكن الرازي هذا ليس حاله كما يريد ان يصوره الشمس بن عبد الهادي حيث حشر قول جميع من تكلم فيه وأهمل كلام من أثنى

عليه ، وهو أحد الثلاثة الذين اتصلوا بإبن تيمية ، وهم شباب ، فانخدعوا به ، وزاغوا, يذكر الجرح ويغفل عن التعديل في الأدلة التي تساق ضد شذوذ شيخه .
ومحمد بن حميد هذا روى عن ابو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد بن حنبل ، ويحى بن معين .
قال ابن ابي خيثمة : سئل عن أبي معين فقال : ثقة لا بأس به رازي كيّس ، وقال أحمد : لا يزال بالرد علم مادام محمد بن حميد ، وممن أثنى عليه الصاغاني والذهلي . وقال الخليلي في " الإرشاد " كان حافظاً عالماً بهذا الشأن رضيه أحمد ويحي وقال البخاري : فيه نظر ، وليس مثله يتهم في هذا الخبر ، وقد مات سنة 248 عن سن عالية وكان عمره عند وفاة مالك لا يقل عن نحو خمس عشر سنة ، وهم يقبلون رواية ابن خمس في مسند إمامهم ويعقوب بن اسحاق ، لابأس به كما ذكره الخطيب في تاريخه .
وأبو الحسن عبد الله بن محمد بن المنتاب ، من أجلّ أصحاب إسماعيل القاضي ، ولاه المقتدر قضاء المدينة المنورة حوالي سنة ثلاثمائة ولم يكن غير الثقات الأفذاذ من أهل العلم ليولّى قضاء المدينة المنورة في ذلك العهد .
واسم المنتاب يهم فيه كثير ، وصاحبه محمد بن احمد بن الفرج وثقه السمعاني في " الأنساب " عند ذكر الجزائري ، وأقره ابن الأثير في " اللباب " وأبو الحسن الفهري من الثقات الأثبات مترجم في " العبر " للذهبي .
وابن دلهات من ثقاة شيوخ ابن عبد البر مترجم في " صلة " ابن بشكوال ، وهي مطبوعة بمدريد . وابن عبد الهادي يابى قبول هذا الخبر ، لأنه يمس شذوذ شيخه ليس إلا ، أراد ابن

المنتاب بسوق هذا الخبر الرد على ما في " مبسوط " شيخه إسماعيل القاضي المالكي المخالف لما رواه ابن وهب ، عن مالك ، وإسماعيل من أهل العراق ، وأهل مصر والمدينة المنورة أعلم بمسائل مالك منهم . على أن إسماعيل لم يسند ما ذكره إلى مالك بل ارسله إرسالاً ، لكنه حيث يوافق هوى إبن عبد الهادي يقبله بدون سؤال عن سنده بخلاف ما هنا ويطريه إطراء يغنيه عن ذكر السند في نظره ، فكأنه لم ير قول داود الأصفهاني فيه ، ولله في خلقه شؤون ، على أنه قد وردت أخبار اخرى في توسل ادم يعضد بعضها بعضاً ، استغنينا عن ذكرها ، اكتفاء بما سطرناه ، لأن الأحاديث السابقة فيها كفاية لغير المتعنت .

7- ومنها حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه في سنن ابن ماجه في " باب المشي إلى الصلاة ": " من خرج من بيته إلى الصلاة فقال اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك " الحديث .قال الشهاب البوصيري في " مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه " هذا إسناد مسلسل بالضعفاء .

عطيه هو العوفي ، وفضيل بن مرزوق ، والفضل بن الموفق ،(هو ابن خال ابن عيينة ، قال أبو حاتم صالح ضعيف الحديث ولم يضعفه سواه وجرحه غير مفسر بل وثقه اليسني) كلهم ضعفاء ,لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق ، فهو صحيح عنده .

وذكر رزين ، ورواه أحمد بن منيع في (مسنده) ثنا يزيد ، ثنا فضيل بن مرزوق ، فذكره بإسناده ومتنه وقال علاء الدين مفلطاي في (الأعلام شرح سنن ابن ماجه) ذكر أبو نعيم الفضل " وهو ابن دكين " في كتاب " الصلاة " عن فضيل بن

مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري موقوفاً اهـ .
ولم ينفرد عطية عن الخدري ، بل تابعه أبو الصديق عنه في رواية عبد الحكم بن ذكوان . وهو ثقة عند ابن حبان ، وإن أعله أبو الفرج في (علله) .
وأخرج ابن اليسني في (علم اليوم والليلة) بسند فيه الوازع ،عن بلال ، وليس فيه عطيه ولا مرزوق ولا ابن الموفق " اللهم بحق السائلين عليك " تظهرانه لم ينفرد عطية ، ولا ابن مرزوق ،ولا ابن الموفق ,بالنظر إلى هذه الطرق على فرض ضعف الثلاثة .مع أن يزيد بن هارون شيخ أحمد بن منيع شارك ابن الموفق في روايته ، عن ابن مرزوق وكذا الفضل بن دكين وابن فضيل وسليمان بن حبان وغيرهم .
وعطية جرح بالتشيع لكن حسن له الترمذي عدة أحاديث ، وعن ابن معين أنه صالح ، وعن ابن سعد : ثقة إن شاء الله ، وعن ابن عدي : له أحاديث صالحه .وبعد التصريح بالخدري لا يبقى إحتمال التدليس ، ولا سيما مع المتابعة وابن مرزوق ترجح توثيقه عند مسلم فروى عنه في " صحيحه " .
على أن الحديث مروي بطريق بلال ، رضي الله عنه فلا تنزل درجة الحديث مهما نزلت عن درجة الاحتجاج به ، بل يدور أمره بين الصحة والحسن لكثرة المتابعات الشواهد كما أشرنا إليها .
وقول من يقول : إن الجرح مقدم على التعديل على ضعفه فيما إذا تعارضا بتكافئهما في الميزان ، دون إثبات ذلك مفاوز فلا يتمكن المبتدعة من اتخاذ ذلك تكأة لرد الأحاديث الثابتة برجال وثقهم أهل الشأن بترجح ذلك عندهم .
وقدحسن هذا الحديث الحافظان : العراقي في " تخريج أحاديث

الإحياء " وابن حجر في " أمالي " الأذكار " وفي الحديث التوسل بعامة المسلمين وخاصتهم، وإدخال الباء في أحد مفعولي السؤال إنما هو في السؤال الإستعلامي كقوله تعالى " فسئل به خبيراً " و " وسأل سائل بعذاب واقع " وأما السؤال الإستعطائي فلا تدخل الباء فيه أصلاً إلا على المتوسل به فدونك الأدعية المأثورة فتصوّر إدخالها هنا في المفعول الثاني إخراج للكلام عن سننه بهوى ، وصيحة باطل تمجها الأسماع . وليس معنى الحق الإجابة ، بل ما يستحقه السائلون المتضرعون فضلاً من الله سبحانه . فيكون عد " بحق السائلين " سؤالاً لهذا الداعي هذياناً محضاً ، ولا سيما عند ملاحظة ما عطف عليه في الحديث ، وأما زعم أنه ليس في سياق الحديث ما يصلح أن يكون سؤالاً غير ذلك فمما يثير الضحك الشديد والهزء المديد ، فأين ذهب من هذا الزاعم " أن تعيذني من النار" وكم يكرر الفعل للتوكيد : فالسؤال في الفعل الأخر هو السؤال في الفعلين المتقدمين ، بل لو لم تكن تلك الأفعال من باب التوكيد لدخلت في باب التنازع ، فيكون هذا القيد معتبراً في الجميع على كل تقدير وأما من يحاول رد التوسل بتصور دخوله في الحلف بغير الله ، فإنما حاول الرد على المصطفى صلوات الله عليه لأنه هو الذي علم صيغ التوسل ، وفيها التوسل بالأشخاص ، وأين التوسل من الحلف ؟

الفصل الثالث :

ولا بأس أن نزيد هنا كلمة في الاستغاثة والاستعانة ،والكل من واد واحد ففي حديث الشفاعة عند البخاري " بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه و سلم" وهذا يدل على جواز إستعمال الإستغاثة في صدد التوسل .
وأما حديث " لا يستغاث بي " عند الطبراني ، ففي سنده لهيعة وقد شرحنا حاله في (الاشفاق) فلا يناهض الحديث الصحيح.
وأما حديث " وإذا استعنت فاستعن بالله" فمعناه : عند استعانتك بأي مستعان فاستعن بالله – على لين في طرقها كلها – حملاً على الحقيقة فالمسلم لا ينسى مسبب الأسباب عندما يستعين بسبب من الأسباب وها هو عمر رضي الله عنه حينما أستسقى بالعباس رضي الله عنه لم ينس أن يقول آن الاستسقاء ((اللهم فاسقنا))..وهذا هو الأدب الإسلامي .
ولو لم نحمل الحديث على هذا المعنى لتكلفنا المجاز ، ولعارضته عدة آيات وأحاديث في سردها طول. على أن لفظ "إذا" في الحديث بعيد عن إفادة معنى "كلما" بل هو من صيغ الإهمال عند المناطقة ، فلا يكون للخصم مجال أن يتمسك به أصلا. وزد على ذلك إفراد الضمير, والخاصة – ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما – يحسن بهم أن تكون استعانتهم بمسبب الأسباب .
وأما قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) ففي العبادة والهداية بقرينة السباق والسياق كما هو الجدير بحال المناجاة ، فلا يكون فيه تعطيل الأسباب العادية الدنيوية
وقد أحسن صديقنا العلامة المحض صاحب المؤلفات الممتعة الأستاذ الكبير الشيخ محمد حسنين العدوي المالكي حيث ألف

عدة كتب في دفع شبه يصطنعها التيميون حول التوسل فأزاح ظلما تهم ببيانه العذب وتحقيقه الرئع ، ومقامة في العلم فوق منازل شيوخ مشايخ هؤلاء بدرجات اتفاقاً بين أهل العلم .
وأما سماع أصحاب القبور وإدراكهم فمن أوسع من سرد أدله ذلك المحدث عبد الحي اللكنوي في (تذكرة الراشد) وأما قوله تعالى : (وما أنت بمسمع من في القبور) ففي حق المشركين عند المحققين .
وهناك تحقيق ذلك فلا تلتفت إلى مغالطات المغالطين

الخاتمــة :

وبتلك الأحاديث والآثار يظهر أن من ينكر التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين أحياء وأمواتاً ليس عنده أدنى حجة ، وإن رمي المسلمين بالإشراك بسبب التوسل ما هو إلا تهور يرجع ضرره إلى الرامي ، نسأل الله العافية .
وأما إن كان بين العامة من يخطئ في مراعاة أدب الزيارة والتوسل فمن واجب أهل العلم إرشادهم إلى الصواب برفق.
وقد جرى عمل الأمة على التوسل والزيارة إلى أن أبتدع إنكار ذلك الحراني ، فرد أهل العلم كيده في نحره ، ودامت فتنته عند جاهلي بلاياه .
وقد غلط الآلوسي وابنه المتصرف في تفسيره بعض غلط ترده عليهما تلك الأدلة ، وكانا مضطر بين في مسائل من عدوى جيرانهما ، وبعض شيوخهما ، وليس هذا بموضع بسط لذكر

ذلك.
ومن أراد ان يعرف عمل الأمة في التوسل بخير الخلق فليراجع (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام) للإمام القدوة أبي عبدالله النعمان بن محمد موسى التلمساني المالكي المتوفي سنة 683، وهو من محفوظات الدار المصرية وفي ذلك كفاية لغير المتعنتين ، ومن الله الهداية والتوفيق.

اللامذهبية قنطرة اللادينية

للعلامة الكوثري

رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

لا تجد بين رجال السياسة - على اختلاف مبادئهم - من يقيم وزنا لرجل يدعي السياسة وليس له مبدأ يسير عليه ويكافح عنه باقتناع وإخلاص ، وكذلك الرجل الذي يحاول أن يخادع الجمهور قائلا لكل فريق : أنا معك .
ومن أردإ خلال المرء أن يكون إمعة ، لا مع هذا الفريق ولا

مع ذلك الفريق ، وإن تظاهر لكل فريق أنه معه . وقدما قال الشاعر العربي :

يوما يمان إذا لاقيت ذا يمن = وإذا لقيت معديا فعدناني

ومن يتذبذب بين المذاهب منتهجا اللامذهبية في الدين الإسلامي فهو أسوأ وأردأ من الجميع .

وللعلوم طوائف خاصة تختلف مناهجهم حتى في العلم الواحد عن اقتناع خاص ؛ فمن ادعى الفلسفة من غير انتماء إلى أحد مسالكها المعروفة ، فإنه يعد سفيها منتسبا إلى السفه ، لا إلى الفلسفة ، والقائمون بتدوين العلوم لهم مبادئ خاصة ومذاهب معينة حتى في العلوم العربية لا يمكن إغفالها ، ولا تسفيه أحلام المتمسكين بأهدابها لمن يريد أن يكرع من ينابيعها الصافية .

وليس ثمة علم من العلوم عني به العلماء عناية تامة على توالي القرون من أبعد عهد في الإسلام إلى أدنى عهوده القريبة منا مثل الفقه الإسلامي ، فالنبي - صلى الله عليه وسلم – كان يفقه أصحابه في الدين ، ويدربهم على وجوه الاستنباط ، حتى كان نحو ستة من الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – يفتون في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم - .

وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى استمر الصحابة على التفقه على هؤلاء ، ولهم أصحاب معروفون بين الصحابة والتابعين في

الفتيا ، فالمدينة كانت مهبط الوحي ، ومقر جمهرة الصحابة إلى آخر عهد ثالث الخلفاء الراشدين ، وعني كثير من التابعين من أهل المدينة بجمع شتات المنقول عن الصحابة من الفقه والحديث ، حتى كان للفقهاء السبعة من أهل المدينة منزلة عظيمة في الفقه ، كان سعيد بن المسيب يسأله ابن عمر – رضي الله عنهما – عن أقضية أبيه ، تقديرا من ذلك الصحابي الجليل لسعة علم هذا التابعي الكبير بأقضية الصحابة .

ثم انتقلت علوم هؤلاء إلى شيوخ مالك من أهل المدينة ، فقام مالك بجمعها وإذاعتها على الجماهير ، فنسب المذهب إليه تأصيلا وتفريعا ، وانصاع له علماء كبار تقديرا لقوة حججه ونور منهجه على توالي القرون ، ولو قام أحد هؤلاء العلماء المنتمين إليه بالدعوة إلى مذهب يستجده لوجد من يتابعه من أهل العلم لسعة علمه وقوة نظره ، لكنهم فضلوا المحافظة على الانتساب إلى مذهب عالم المدينة ، حرصا على جمع الكلمة ، وعلما منهم بأن بعض المسائل الضعيفة المروية عن صاحب المذهب تترك في المذهب إلى ما هو أقوى حجة وأمتن نظرا برأي أصحاب الشأن من فقهاء المذهب ، حتى أصبح المذهب باستدراك المستدركين لمواطن الضعف بالغَ القوة ، بحيث إذا قارعه أحد المتأخرين أو ناطحه فَقَدَ رأسه .

وهكذا باقي المذاهب للأئمة المتبوعين ، فها هي الكوفة بعد أن ابتناها الفاروق – رضي الله عنه – وأسكن حولها الفُصَّح من قبائل العرب ، بعث إليها ابن مسعود – رضي الله عنه – ليفقه أهل الكوفة في دين الله قائلا لهم : إني آثرتكم على نفسي بعبدالله .

وعبدالله هذا منزلته في العلم بين الصحابة عظيمة جدا ، وهو الذي يقول فيه عمر : كنيف ملئ علما . وفيه ورد حديث : (إني رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد) وحديث : (من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد .

فقراءة ابن مسعود هي التي يرويها عاصم عن زر بن حبيش عنه ، كما أن قراءة علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – هي التي يرويها عاصم عن أبي عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلمي عنه .

فعُني ابن مسعود بتفقيه أهل الكوفة من عهد عمر إلى أواخر عهد عثمان – رضي الله عنهم – عناية لا مزيد عليها ، حتى امتلأت الكوفة بالفقهاء .

ولما انتقل علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – إلى الكوفة ، سُرَّ من كثرة فقهائها جدا فقال : رحم الله ابن أم عبد ، قد ملأ هذه القرية علما .

ووالى بابُ مدينة العلم (يعني علي رضي الله عنه) تفقيههم ، إلى أن أصبحت الكوفة لا مثيل لها في أمصار المسلمين في كثرة فقهائها ومحدثيها ، والقائمين بعلوم القرآن وعلوم اللغة العربية فيها بعد أن اتخذها على بن أبي طالب – كرم الله وجهه – عاصمة الخلافة ، وبعد أن انتقل إليها أقوياء الصحابة

وفقهاؤهم ، وقد ذكر العجلي أنه توطن الكوفة وحدها من الصحابة ألف وخمسمائة صحابي ، سوى من أقام بها ونشر العلم بين ربوعها ، ثم انتقل إلى بلد آخر فضلا عن باقي بلاد العراق ، فكبار أصحاب علي وابن مسعود – رضي الله عنهما – بها لو دونت تراجمهم في كتاب خاص لأتى كتابا ضخما ، وليس هذا موضع سرد لأسمائهم ، وقد جمع شتات علوم هؤلاء إبراهيم بن يزيد النخعي ، وآراؤه مدونة في آثار أبي يوسف ، وآثار محمد بن الحسن ، ومصنف ابن أبي شيبة وغيرها ، ويعد النقاد مراسيله صحاحا ، ويفضله على جميع علماء الأمصار الشعبي الذي يقول عنه ابن عمر – رضي الله عنهما – حينما رآه يحدث بالمغازي : لهو أحفظ لها مني وإن كنت قد شهدتها مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم - .

ويقول أنس بن سيرين : دخلت الكوفة فوجدت بها أربعة آلاف يطلبون الحديث وأربعمائة قد فقهوا كما في الفاصل للرامَهُرْمُزِيّ .

وقد جمع أبو حنيفة علوم هؤلاء ودوَّنها بعد أخذ وردّ سديدين في المسائل بينه وبين أفذاذ أصحابه في مجمع فقهي كيانه من أربعين فقيها من نبلاء تلاميذه المتبحرين في الفقه والحديث وعلوم القرآن والعربية ، كما نص على ذلك الطحطاوي وغيره .

وعن هذا الإمام الأعظم يقول محمد بن إسحاق النديم ، الذي ليس هو من أهل مذهبه : والعلم برا وبحرا ، شرقا وغربا ، بعدا وقربا تدوينه رضي الله عنه .

ويقول الشافعي رضي الله عنه : الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة .

ثم أتى الشافعي - رضي الله عنه – فجمع عيونا من المعينين ، وزاد ما تلقاه من شيوخه من أهل مكة كمسلم بن خالد ، الذي تلقى عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ، وقد امتلأ الخافقان بأصحاب الشافعي وأصحاب أصحابه ، وملؤوا العالم علما ، وأهل مصر من أعرف الناس بعلومه وعلوم أصحابه حيث سكنها في أواخر عمره ، ونشر بها مذهبه الجديد ، ودفن بها – رضي الله عنه - .

ولا يتسع هذا المقال لبيان ما لسائر الأئمة من الفقهاء من الفضل على الفقه الإسلامي ، وهم على اتفاق في نحو ثلثي مسائل الفقه ، والثلث الباقي هو معترك آرائهم ، وحججهم في ذلك ومداركهم مدونة في كتب أهل الفقه .

فمذاهب تكون بهذا التأسيس وهذا التدعيم إذا لقيت في آخر الزمن متزعما في الشرع يدعو إلى نبذ التمذهب باجتهاد جديد يقيمه مقامها ، محاولا تدعيم إمامته باللامذهبية بدون أصل يبني عليه غير شهوة الظهور ، تبقى تلك المذاهب وتابعوها في حيرة بماذا يحق أن يلقب من عنده مثل هذه الهواجس والوساوس ، أهو مجنون مكشوف الأمر ، غلط من لم يقده إلى مستشفى المجاذيب ، أم مذبذب بين الفريقين يختلف أهل العقول في عدِّه من عقلاء المجانين ، أو مجانين العقلاء ؟! .

بدأنا منذ مدة نسمع مثل هذه النعرة من أناس في حاجة شديدة على ما أرى إلى الكشف عن عقولهم بمعرفة الطبيب الشرعي .

قبل الالتفات إلى مزاعمهم في الاجتهاد الشرعي القاضي – في زعمهم – على اجتهادات المجتهدين ، فعلى تقدير ثبوت أن عندهم بعض عقل ، فلا بد أن يكونوا من صنائع أعداء هذا الدين الحنيف ، ممن لهم غاية ملعونة إلى تشتيت اتجاه الأمة الإسلامية في شؤون دينهم ودنياهم ، تشتيتا يؤدي بهم إلى التناحر والتنابذ والتشاحن والتنابز يوما بعد يوم ، بعد إخاء مديد استمر بينهم منذ بزغت شمس الإسلام إلى اليوم .

فالمسلم الرزين لا ينخدع بمثل هذه الدعوة ، فإذا سمع نعرة الدعوة إلى الانفضاض من حول أئمة الدين الذين حرسوا أصول الدين الإسلامي وفروعه من عهد التابعين إلى اليوم ، كما توارثوه من النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه – رضي الله عنهم أجمعين – أو طرق سمعه نعيق النَّيْل من مذاهب أهل الحق ، فلا بد له من تحقيق مصدر هذه النعرة واكتشاف وكر هذه الفتنة ، وهذه النعرة لا يصح أن تكون من مسلم صميم درس العلوم الإسلامية حق الدراسة ، بل إنما تكون من متمسلم مندس بين علماء المسلمين أخذ بعض رؤوس مسائل من علوم الإسلام بقدر ما يظن أنها تؤهله لخدمة صنائعه ومرشحيه ، فإذا دقق ذلك المسلم الرزين النظرَ في مصدر تلك النعرة بنوره الذي يسعى بين يديه ، يجده شخصا لا يشارك المسلمين في آلامهم وآمالهم إلا في الظاهر ، بل يزامل

ويصادق إناسا لا يتخذهم المسلمون بطانة ، ويلفيه يجاهر بالعداء لكل قديم وعتيق إلا العتيق المجلوب من مغرب شمس الفضيلة ، ويراه يعتقد أن رطانته تؤهله – عند أسياده – لعمل كل ما يعمل ، فعندما يطلع ذلك المسلم على جلية الأمر يعرف كيف يخلص نيئة الإسلام من شرور هذا النعيق المنكر بإيقاف أهل الشأن على حقائق الأمور ، والحق يعلو ولا يعلى عليه .

فمن يدعو الجمهور إلى نبذ التمذهب بمذاهب الأئمة المتبوعين الذين أشرنا فيما سبق إلى بعض سيرهم – لا يخلو من أن يكون من الذين يرون تصويب المجتهدين في استنباطاتهم كلها ، بحيث يباح لكل شخص غير مجتهد أن يأخذ بأي رأي من آراء مجتهد من المجتهدين ، بدون حاجة إلى الاقتصار على آراء مجتهد واحد يتخيره في الاتباع ، وهذا ينسب إلى المعتزلة ، وأما الصوفية فإنهم يصوبون المجتهدين ، بمعنى الأخذ بالعزائم خاصة من بين أقوالهم من غير اقتصار على مجتهد واحد .

وإليه يشير أبو العلاء صاعد بن أحمد بن أبي بكر الرازي – من رجال نور الدين الشهيد – في كتابه (الجمع بين التقوى والفتوى من مهمات الدين والدنيا) حيث ذكر في أبواب الفقه منه ما هو مقتضى الفتوى ، وما هو موجب التقوى من بين أقوال الأئمة الأربعة خاصة ، وليس في هذا معنى التشهي أصلا ، بل هو محض التقوى والورع .

والرأي الذي ينسب إلى المعتزلة يبيح لغير المجتهد الأخذ بما يروقه من الآراء للمجتهدين ، لكن أقل ما يجب على غير المجتهد في باب الاجتهاد أن يتخير لدينه مجتهدا يراه الأعلم

والأورع ، فينصاع لفتياه في كل صغير وكبير ، بدون تتبع الرخص – في التحقيق – وأما تتبعه الرخص من أقوال كل إمام ، والأخذ بما يوافق الهوى من آراء الأئمة ، فليسا إلا تشهيا محضا ، وليس عليهما مسحة من الدين أصلا ، كائنا من كان مبيح ذلك .

ولذلك يقول الأستاذ أبو إسحق الإسفراييني الإمام ، عن تصويب المجتهدين مطلقا : أوله سفسطة وآخره زندقة . لأن أقوالهم تدور بين النفي والإثبات ، فأنى يكون الصواب في النفي والإثبات معا ؟ .

نعم ، إن من تابع هذا المجتهد جميع آرائه فقد خرج من العهدة ، أصاب مجتهده أم أخطأ ، وكذا المجتهدون الآخرون ، لأن الحاكم إذا اجتهد وأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد ، والأحاديث في هذا الباب في غاية من الكثرة .

وعلى اعتبار من قلد المجتهد خارجا من العهدة وإن أخطأ مجتهدُه ، جَرَت الأمةُ منذ بزغت شمس الإسلام ، ولا تزال بازغة إلى قيام الساعة - بخلاف شمس السماء فإن لها فجرا وضحى وغروبا – ولولا أن المجتهد يخرج من العهدة على تقدير خطئه لما كان له أجر ، وليس كلامنا فيه ، وكلام الأستاذ أبي أسحق الإسفراييني عن المصوبة حق ، يدل عليه ألف دليل ودليل ، ولكن ليس هذا بموضع توسع في بيان ذلك .

وأما إن كان الداعي إلى نبذ التمذهب يعتقد في الأئمة المتبوعين

أنهم من أسباب وعوامل الفرقة والخلاف بين المسلمين ، وأن المجتهدين في الإسلام إلى اليوم كلهم على خطإ ، وأنه يستدرك عليهم في آخر الزمن الصواب الذي خفي على الأمة منذ بزوغ شمس الإسلام إلى اليوم ، فهذا من التهور والمجازفة البالغين حد النهاية .

ونحن نسمع من فلتات ألسنة دعاة هذه النعرة بين حين وآخر تهوين أمر أخبار الآحاد الصحيحة من السنة ، وكذا الإجماع والقياس ، بل دلالات الكتاب المعتبرة عند أهل الاستنباط .

فبتهوين أخبار الآحاد يتخلصون من كتب السنة من صحاح وسنن وجوامع ومصنفات ومسانيد وتفاسير بالرواية وغيرها ، وإذن فلا معجزة كونية تستفاد منها ولا أحكام شرعية تستمد منها ، فهل يسلك مثل هذه السبيل من سبل الشيطان غير صنائع أعداء الإسلام ؟ .

على أن أخبار الآحاد الصحيحة قد يحصل بتعدد طرقها تواتر معنوي ، بل قد يحصل العلم بخبر الآحاد عند احتفافه بالقرائن ، بل يوجد بين أهل العلم من يرى أن أحاديث الصحيحين – غير المنتقدة – من تلك الأحاديث المحتفة بالقرائن .

وبنفي الإجماع يتخلصون من مذاهب جمهرة أهل الحق ، وينحازون إلى الخوارج المرقة ، والروافض المردة .

وبِرَدِّ القياس الشرعي يسدون على أنفسهم باب الاجتهاد ومسالك العلة – على طرقها المعروفة المألوفة – منحازين إلى

نفاة القياس من الخوارج والروافض وجامدي أهل الظاهر .

وبتلاعبهم بدلالات الكتاب المعتبرة عند أهل الاستنباط يتخذون القيود الجارية مجرى الغالب الملغاة باتفاق بين القائلين بالمفاهيم وغير القائلين بها من صدر الإسلام إلى اليوم وسيلة لتغيير كثير من الأحكام القطعية ، ويجعلون للعرف شأنا غير ما له عند جميع فقهاء هذه الأمة ، خانعين لما ألقاه بعض مستشرقي اليهود بمصر في عمل أهل المدينة ونحوه ، وكذلك صنيعهم في المصلحة المرسلة التي شرحنا دخائلها بعض شرح في مقالنا (شرع الله في نظر المسلمين) .

وكل ذلك يجري تحت بصر الأزهر وسمعه ، ورجاله سكوت ، والسكوت على تلك المخازي مما لا يرتضيه الأزهر السني الذي أسس بنيانه على التقوى منذ عهد الملك الظاهر بيبرس وأمرائه الأبرار ، حيث صيروه معقل العلم لأهل السنة ، بعد أن أحيوا معالمه ، ولم تزل ملوك الإسلام ترعاه على هذا الأساس إلى اليوم ، ولا يزال بابه مغلقا على غير أتباع الأئمة الأربعة ، وكم أدروا عليه من الخيرات لهذه الغاية النبيلة ، وللملك فؤاد الأول – رحمه الله – يد بيضاء في إنهاض الأزهر على ذلك الأس القويم ، والحكومة الرشيدة المتمسكة بأهداب الدين الإسلامي لم تزل تسدي إليه كل جميل مراعاة لتلك الغاية السديدة .

فإذا تم لدعاة النعرة الحديثة في قصر الاجتهاد على شخص واحد من أبناء العهد الحديث – بمؤهلات غير معروفة –

وتمكنوا من إبادة المذاهب المدونة في الإسلام لهؤلاء الأئمة الأعلام ، ومن حمل الجماهير على الانصياع لآراء ذلك الشخص يتم لهم ما يريدون .

لكن الذي يتغنى بحرية الرأي على الإطلاق بكل وسيلة كيف يستقيم له منح الطامحين من أبناء الزمن مثله إلى الاجتهاد من الاجتهاد ، أم كيف يجيز إملاء ما يريد أن يمليه من الآراء على الجماهير مرغمين فاقدي الحرية ، أم كيف يبيح داعي الحرية المطلقة حرما الجماهير المساكين المقلدين حرية تخير مجتهد يتابعونه باعتبار تعويلهم عليه في دينه وعلمه في عهد النور!!؟ . ولم يسبق لهذا الحجر مثيل في عهد الظلمات !!! وهذا مما لا أستطيع الجواب عنه .

وقصارى القول أنك إذا قمت بدرس أحوال القائمين بتلك النعرة الخبيثة وجدتهم لا يألفون المألوف ، ولا يعرفون المعروف ، أعمت شهوة الظهور بصائرهم ، حتى تراهم يصادقون المتألبين على الشرق المسكين ، فنعرتهم هذه ما هي إلا نعيق الإلحاد المنبعث عن أهل الفساد ، فيجب على أهل الشأن أن يسعوا في تعرف مصدر الخطر ، وإطفاء الشرر ، وليست هذه الدعوة المنكرة سوى قنطرة اللادينية السائدة في بلاد أخرى منيت بالإلحاد وكتبت لها التعاسة ، والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، والعاقل من اتعظ بغيره ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

مَسْأَلَةٌ في مُعْتَقِدِ الحُلُولِ والجِهَة

سُؤَالٌ يُجِيبُ عَلَيه
شَيْخُ الإِسْلاَمِ الإِمامُ الحافِظُ العَلاَّمَة
شَيْخُ الجامِعِ الأَزْهَر
سَلِيمُ بنُ أَبي فَرَّاجِ البِشْرِيُّ المَالِكِيُّ
المُتَوَفَّى سَنَةَ 1335هـ
رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

بسم الله الرحمن الرحيم

نص السؤال يرفعه العلامة أحمد بن بدر شيخ معهد بَلْصَفُورَة

قال رحمه الله:
ما قولُكم دامَ فضلُكم في رجلٍ منْ أهلِ العلمِ هُنا الذينَ يُوصفونَ بالتَّفَقُّهِ في الدينِ تَظاهَرَ باعتقادِ ثُبوتِ جِهَةِ الفَوقِيَّةِ للهِ سبحانَهُ وتعالى ، ويَدَّعي أنَّ ذلك مذهبُ السَّلَفِ ، وتَبِعَهُ على ذلك البعضُ القليلُ منَ الناسِ ، وجمهورُ أهلِ العِلمِ يُنكرونَ عليهِ .. إلخ السؤال.

نَصُّ جَوَابِ شَيْخِ الإِسْلاَمِ سَلِيمٍ البِشْرِي

إلى حضرةِ الفاضلِ العَلاَّمةِ الشيخِ أحمد علي بدر خادمِ العِلْمِ الشريفِ بِبَلْصَفُورةَ ، قدْ أرسلتُم بتَاريخِ 22 محرمٍ سنةَ 1325هـ مكتوباً مصحوباً بسؤالٍ عنْ حُكْمِ مَنِ يعتقدُ ثُبوتَ الجِهَةِ لهُ تَعالى ، فَحَرَّرْنا لكم الجوابَ الآتيَ وفيهِ الكِفايةُ لِمَنِ اتَّبعَ الحقَ وأَنْصَفَ ، جزاكم اللهُ عنِ المُسلمينَ خَيراً .

اِعْلَمْ أَيَّدكَ اللهُ بتوفيقِهِ وسَلَكَ بنا وبك سَوَاءَ طريقِهِ ، أَنَّ مذهبَ الفِرقةِ النَّاجِيةِ وما عليه أَجْمَعَ السُّنِّيُّونَ أنَّ اللهَ تعالى مُنَـزَّهٌ عنْ مُشابهةِ الحَوادثِ مُخالِفٌ لها في جميعِ سِمَاتِ الحُدُوثِ ، ومِنْ ذلك تَنَـزُّهُهُ عنِ الجِهَةِ والمَكانِ كما دَلَّتْ على ذلك البراهينُ القَطْعِيَّةُ ، فإنَّ كونَه في جِهَةٍ يَسْتَلْزِمُ قِدَمَ الجهةِ أو المكانِ وهُما مِنَ العالَم ، وهو ما سِوَى اللهِ تعالى.

وقدْ قامَ البُرهانُ القاطعُ على حُدوثِ كُلِّ ما سِوَى اللهِ تعالى بإجماعِ مَنَ أَثْبَتَ الجِهَةَ ومَنْ نَفَاها ، ولأَنَّ المُتَمَكِّنَ يَستحيلُ وُجودُ ذاتِهِ بدونِ المكانِ معَ أنَّ المَكانَ يُمْكِنُ وجودُه بدونِ المُتَمَكِّنِ لجوازِ الخَلاءِ ، فيلزَمُ إمكانُ الواجبِ ووجوبُ المُمْكِنِ وكِلاهما باطلٌ ، ولأنه لَو تَحَيَّزَ لَكَانَ جَوْهَراً لاسْتحالَةِ كَوْنِهِ عَرَضاً ، ولو كانَ جوهراً فإمَّا أنْ ينقسمَ وإمَّا أنْ لا ينقسمَ ، وكِلاهما باطلٌ ، فإنَّ غيرَ المنقسمِ هوَ الجُزْءُ الذي لا يَتَجَزَّأُ وهوَ أحقرُ الأشياءِ تعالى اللهُ عنْ ذلك عُلُوّاً كبيراً ، والمنقسمُ جسمٌ وهوَ مُرَكَّبٌ والتركيبُ يُنافي الوجوبَ الذاتيَّ ، فيكونُ المركبُ ممكناً يَحْتاجُ إلى عِلَّةٍ مُؤَثِّرَةٍ ، وقد ثَبَتَ بالبرهانِ القاطعِ أَنَّهُ تعالى واجبُ الوجودِ لِذاتِه ، غَنِيٌّ عنْ كُلِّ ما سِواه مُفتَقِرٌ إليهِ كلُّ ما عَدَاه ، سبحانه لَيْسَ كمِثْلِهِ شيءٌ وهُوَ السميعُ البصيرُ .

هذا وقد خَذَلَ اللهُ أقواماً أغْواهم الشيطانُ وأَزَلهم ، اِتَّبعوا أهواءَهم وتمسكوا بما لا يجدِي فاعتقدوا ثبوتَ الجهةِ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، واتفقوا على أنها جهةُ فوقٍ ، إلا أنهم افترقوا ، فمنهم من اعتقدَ أنه جسمٌ مُمَاسٌّ للسَطْحِ الأَعْلَى منَ العَرْشِ وبِهِ قالَ الكَرَّامِيَّةُ واليَهُودُ ، وهؤلاءِ لا نِزَاعَ في كُفْرِهم ، ومنهم مَنْ أثبتَ الجهةَ معَ التَّنْـزيهِ ، وأنَّ كونَه فيها ليسَ كَكَونِ الأَجْسامِ وهؤلاءِ ضُلاَّلٌ فُسَّاقٌ في عَقِيدتِهم ، لإِطْلاقِهِم على اللهِ ما لم يأذنْ بهِ الشَّارِعُ ، ولا مِرْيَةَ أنَّ فاسِقَ العَقِيدَةِ أَقْبَحُ وأَشْنَعُ مِنْ فاسِقِ الجَارِحَةِ بِكَثِيرٍ سِيَّمَا مَنْ كانَ داعيةً أو مقتدًى بِهِ ، ومِمَّنْ نُسِبَ إليهِ القَولُ بالجِهةِ من المتأخرينَ أحمدُ بنُ عبدِالحليمِ بنِ عبدِالسَّلامِ بنِ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ الحَنْبَلِيُّ الدِمَشْقِيُّ من عُلَمَاءِ القَرْنِ الثَّامِنِ في ضِمْنِ أُمُورٍ نُسِبَتْ إليهِ خالفَ الإِجماعَ فيها عَمَلاً برَأْيِهِ وشَنَّعَ عليهِ مُعاصِروهُ بلِ البعضُ منهم كَفَّرُوهُ ، ولَقِيَ مِنَ الذُّلِّ والهوانِ ما لَقِيَ وقد انْتَدَبَ بعضُ تَلامِذَتِهِ لِلذَّبِّ عَنهُ وتَبْرِئَتِهِ مِمَّا نُسبَ إليهِ وساقَ له عباراتٍ أَوْضَحَ معناها ، وأبانَ غَلَطَ الناسِ في فهمِ مُرادِهِ ، واستشهدَ بِعباراتٍ له أُخرى صَريحةٍ في دَفْعِ التُّهْمَةِ عنه ، وأنه لم يخرجْ عَمَّا عليه الإجماعُ ، وذلك هو المَظْنونُ بالرَّجُلِ لِجَلاَلَةِ قَدْرِه ورُسُوخِ قَدَمِه .

وما تَمَسَّكَ بِهِ المُخالِفونَ القائلونَ بِالجهةِ أمورٌ واهيةٌ وَهْمِيَّةٌ لا تصلُحُ أَدِلَّةً عَقْلِيَّةً ولا نَقليةً ، وقد أَبْطَلَها العُلماءُ بما لا مزيدَ عليه ، وما تَمَسَّكُوا به ظواهرُ آياتٍ وأحاديثَ موهمةٌ كقولِه تعالى : ((الرَّحمنُ على العرشِ استَوَى)) وقولِه : ((إليهِ يصعدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ)) وقولِه : ((تعرجُ الملائكةُ والروحُ إليهِ

)) وقولِه : ((ءأمِنتُم مَنْ في السماءِ أنْ يخسِفَ بكمُ الأرضَ)) وقولِه : ((وهوَ القاهرُ فوقَ عِبادِه)) وكحديثِ ((إنه تعالى يَنـزِلُ إلى السماءِ الدُّنيا كَلَّ لَيلَةٍ)) وفي روايةٍ ((في كُلِّ ليلةِ جُمُعَةٍ فيقولُ هلْ مِنْ تائبٍ فأتوبَ عليهِ ؟ هل من مُستغفِرٍ فأغفِرَ له ؟)) وكقولِه للجاريَةِ الخَرْساءِ : ((أينَ اللهُ ؟)) فأشارَتْ إلى السماءِ حيثُ سَأَلَ بـ(أين) التي لِلْمَكانِ ولمْ يُنكِرْ عَلَيها الإشارةَ إلى السماءِ ، بلْ قالَ إنها مؤمنةٌ .

ومثلُ هذه يُجَابُ عنها بأنها ظَواهِرُ ظَنِّيَّةٌ لا تُعارِضُ الأَدِلَّةَ القَطْعِيَّةَ اليقينيةَ الدَّالَّةَ على انتِفاءِ المكانِ والجهةِ ، فيجبُ تأويلُها وحملُها على محاملَ صحيحةٍ لا تَأْباها الدَّلائِلُ والنُّصوصُ الشَّرْعِيَّةُ ، إمَّا تَأْوِيلاً إجْمالِيّاً بلا تعيينٍ للمرادِ منها كما هو مذهبُ السَّلَفِ ، وإمَّا تأويلاً تفصيليّاً بتعيينِ محامِلِها وما يُرادُ منها كما هو رَأْيُ الخَلَفِ ، كقولِهم إنَّ الاستواءَ بمعنى الاستيلاءِ كما في قولِ القائلِ:
قدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ / مِنْ غَيرِ سَيْفٍ ودَمٍ مُهْرَاقِ

وصُعودُ الكَلِمِ الطَّيِّبِ إليهِ قَبولُهُ إيَّاهُ ورِضَاهُ بِهِ ، لأنَّ الكَلِمَ عَرَضٌ يَسْتَحِيلُ صُعُودُهُ ، وقولُه : مَنْ في السَّمَاءِ ، أيْ أَمْرُهُ وسُلْطَانُهُ ، أو مَلَكٌ مِنْ مَلائِكتِه مُوَكَّلٌ بالعَذابِ ، وعُرُوجُ الملائكةِ والروحِ إليه صُعُودُهم إلى مَكَانٍ يُتَقَرَّبُ إليهِ فيهِ ، وقولُه فوقَ عِبادِه أيْ عَالٍ عَلَيهم بالقَهْرِ والغَلَبَةِ ، كما يُقالُ أَمْرُ فُلانٍ فوقَ أمرِ فلانٍ ، أيْ أنَّه أَقْدَرُ مِنه وأَغْلَبُ ونُزُولُه إلى السَّماءِ مَحْمُولٌ عَلَى لُطْفِهِ ورَحمتِه وعَدَمِ المُعامَلَةِ بما يَسْتَدْعِيه عُلُوُّ رُتْبَتِهِ وعِظَمِ شَأْنِه على سَبِيلِ التَّمْثِيلِ ، وخَصَّ اللَّيلَ لأَنَّه

مَظِنَّةُ الخَلْوَةِ والخُضُوعِ وحُضُورِ القَلْبِ ، وسُؤالُه لِلْجارِيةِ بِـ(أينَ) اسْتِكْشَافٌ لِما يُظَنُّ بِها اعْتِقَادُه مِنْ أَيْنِيَّةِ المَعْبُودِ كَما يَعْتَقِدُهُ الوَثَنِيُّونَ ، فَلَمَّا أَشَارَتْ إلى السماءِ فَهِمَ أنها أرادتْ خَالِقَ السَّمَاءِ ، فاسْتَبَانَ أنها لَيْسَتْ وَثَنِيَّةً ، وحَكَمَ بإيمانِها.

وقد بَسَطَ العُلَماءُ في مُطَوَّلاتِهم تأويلَ كُلِّ مَا وَرَدَ مِنْ أَمْثَالِ ذلك عَمَلاً بِالقَطْعِيِّ وحَمْلاً لِلظَّنِّيِّ عليهِ ، فَجَزاهُمُ اللهُ عَنِ الدِّينِ وأَهْلِهِ خَيرَ الجَزَاءِ ، ومِنَ العَجيبِ أَنْ يَدَعَ مُسْلِمٌ قَوْلَ جَمَاعَةِ المُسلِمينَ وأئِمَّتِهِم ويَتَشَدَّقَ بِتُرَّهَاتِ المُبتدِعِينَ وضَلاَلَتِهم ، أَمَا سَمِعَ قَوْلَ اللهِ تعالى : ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى ويَتَّبِعْ غَيرَ سَبيلِ المؤمنينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ونُصْلِهِ جَهَنَّمَ وسَاءَتْ مَصِيرا)) فَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ تَعَالَى مَنْ تَلَطَّخَ بِشَيءٍ مِنْ هذه القاذُوراتِ ولا يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ فإنَّه يأمُرُ بالفَحْشاءِ والمُنْكَرِ ، ولا يَحْمِلَنَّهُ العِنَادُ عَلَى التَّمَادِي والإصْرارِ عليه ، فإنَّ الرُّجوعَ إلىالصَّوابِ عَيْنُ الصَّوابِ والتَّمَادِيَ عَلَى البَاطِلِ يُفْضِي إلى أَشَدِّ العَذَابِ ((مَنْ يَهْدِي اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِ ومَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِدا)) نَسألُ اللهَ تعالى أَنْ يَهْدِيَنَا جَمِيعاً سَوَاءَ السَّبيلِ وهُوَ حسبُنا ونِعْمَ الوَكيلُ ، وصَلَّى اللهُ تعالى وسَلَّمَ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وصَحْبِهِ أجمعينَ ومَنْ تَبِعَهُم بِإحْسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

أملاه الفقير إليه سبحانه : سَلِيمٌ البِشْرِيُّ خادمُ العلمِ والسادةِ المالِكِيَّةِ بالأَزْهَرِ عَفَى اللهُ عَنهُ آمينَ آمينَ.
انتهى نص السؤال والجواب نقلا عن ((فرقان القرآن))
للعلامة القضاعي ص62 ـ ط1ـ المكتبة الأزهرية ، وعن

هامش ((الدِّين الخالص)) ج1/ص39 للإمام محمود السُّبْكي ـ ط5 ـ الجمعية الشرعية ، القاهرة.

فتوى ابن رشد فيمن انتقص الأشاعرة

سئل الإمام ابن رشد الجد المالكي رحمه الله تعالى الملقب عند المالكية بشيخ المذهب عن رأي المالكية في السادة الأشاعرة وحكم من ينتقصهم كما في فتاواه (2 / 802) وهذا نص السؤال والجواب :

السؤاال:

ما يقول الفقيه القاضي الأجل . أبو الوليد وصل الله توفيقه وتسديده ، ونهج إلى كل صالحة طريقه ، في أبي الحسن الأشعري وأبي إسحاق الإسفراييني وأبي بكر الباقلاني وأبي بكربن فورك وأبي المعالي ، ونظرائهم ممن ينتحل علم الكلام ويتكلم في أصول الديانات ويصنف للرد على أهل الأهواء ؟ أهم أئمة رشاد وهداية أم هم قادة حيرة وعماية ؟ .
وما تقول في قوم يسبونهم وينتقصونهم ، ويسبون كل من ينتمي

إلى علم الأشعرية ، ويكفرونهم ويتبرأون منهم ، وينحرفون بالولاية عنهم ، ويعتقدون أنهم على ضلالة ، وخائضون في جهالة ، فماذا يقال لهم ويصنع بهم ويعتقد فيهم ؟ أيتركون على أهوائهم ، أم يكف عن غلوائهم ؟ ! .

فأجاب رحمه الله :

تصفحت عصمنا الله وإياك سؤالك هذا ، ووقفت على الذين سميت من العلماء فهؤلاء أئمة خير وهدى ، وممن يجب بهم الاقتداء ، لأنهم قاموا بنصر الشريعة ، وأبطلوا شبه أهل الزيغ والضلالة ، وأوضحوا المشكلات ، وبينوا ما يجب أن يدان به من المعتقدات ، فهم بمعرفتهم بأصول الديانات العلماء على الحقيقة ، لعلمهم بالله عزوجل وما يجب له وما يجوز عليه ، وما ينتفي عنه ، إذ لا تعلم الفروع إلا بعد معرفة الاصول ، فمن الواجب أن يعترف بفضائلهم ، ويقر لهم بسوابقهم ، فهم الذين عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين) .
فلايعتقد أنهم على ضلالة وجهالة إلا غبي جاهل ، أو مبتدع زائغ عن الحق مائل ، ولا يسبهم وينسب إليهم خلاف ما هم عليه إلا فاسق ، وقد قال الله عز وجل : (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) .

فيجب أن يبصر الجاهل منهم ، ويؤدب الفاسق ، ويستتاب المبتدع الزائغ عن الحق إذا كان مستسهلا ببدعة ، فإن تاب وإلا ضرب أبدا حتى يتوب ، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيغ المتهم في اعتقاده ، من ضربه إياه حتى قال: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد دوائي فقد بلغت مني موضع الداء ، وإن كنت تريد قتلي فأجهز علي ، فخلى سبيله ، والله أسأل العصمة والتوفيق برحمته .

قاله : محمدبن رشد .

كلام الإمام حسن البنا رحمه الله

في مسألة الصفات

قال الإمام الداعية الكبير الحسن بن أحمد بن عبدالرحمن البنا الساعاتي رحمه الله تعالى في كتابه (العقائد) ط الاتحاد الإسلامي 1404هـ ص74 ما نصه :

((.. قد علمت أن مذهب السلف في الآيات المتشابهات والأحاديث التي تتعلق بصفات الله تبارك وتعالى أن يمروها على ماجاءت عليه ، ويسكتوا عن تفسيرها أو تأويلها ، وأن مذهب الخلف أن يؤولوها بما يتفق مع تنـزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهة خلقه ، وعلمت أن الخلاف شديد بين أهل الرأيين حتى أدى بينهما إلى التنابز بالألقاب العصبية ، وبيان ذلك من

عدة أوجه :

أولا :
اتفق الفريقان على تنـزيه الله تبارك وتعالى عن المشابهة لخلقه .

ثانيا :
كل منهما يقطع بأن المراد بألفاظ هذه النصوص في حق الله تبارك وتعالى غير ظواهرها التي وضعت لها هذه الألفاظ في حق المخلوقات ، وذلك مترتب على اتفاقهما على نفي التشبيه .

ثالثا :
كل من الفريقين يعلم أن الألفاظ توضع للتعبير عما يجول في النفوس ، أو يقع تحت الحواس مما يتعلق بأصحاب اللغة وواضعيها ، وأن اللغات مهما اتسعت لا تحيط بما ليس لأهلها بحقائقه علم ، وحقائق ما يتعلق بذات الله تبارك وتعالى من هذا القبيل ، فاللغة أقصر من أن تواتينا بالألفاظ التي تدل على هذه الحقائق ، فالتحكم في تحديد المعاني بهذه الألفاظ تغرير .

وإذا تقرر هذا فقد اتفق السلف والخلف على أصل التأويل ، وانحصر الخلاف بينهما في أن الخلف زادوا تحديد المعنى المراد حيثما ألجأتهم ضرورة التنـزيه إلى ذلك حفظا لعقائد العوام من شبهة التشبيه ، وهو خلاف لا يستحق ضجة ولا إعناتا .

(ترجيح مذهب السلف)

ونحن نعتقد أن رأي السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى الله تبارك وتعالى أسلم وأولى بالاتباع ، حسما لمادة التأويل والتعطيل ، فإن كنت ممن أسعده الله بطمأنينة الإيمان ، وأثلج صدره ببرد اليقين ، فلا تعدل به بديلا ، ونعتقد إلى جانب هذا أن تأويلات الخلف لا توجب الحكم عليهم بكفر ولا فسوق ، ولا تستدعي هذا النـزاع الطويل بينهم وبين غيرهم قديما وحديثا ، وصدر الإسلام أوسع من هذا كله .

وقد لجأ أشد الناس تمسكا برأي السلف ، رضوان الله عليهم ، إلى التأويل في عدة مواطن ، وهو الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، من ذلك تأويله لحديث : ((الحجر الأسود يمين الله في أرضه)) وقوله صلى الله عليه وسلم : ((قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن)) وقوله صلى الله عليه وسلم : ((إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن)) .

وقد رأيت للإمام النووي رضي الله عنه ما يفيد قرب مسافة الخلاف بين الرأيين مما لا يدع مجالا للنـزاع والجدال ، ولا سيما وقد قيد الخلف أنفسهم في التأويل بجوازه عقلا وشرعا ، بحيث لا يصطدم بأصل من أصول الدين .

قال الرازي في كتابه ((أساس التقديس)) : ((ثم إن جوزنا التأويل اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل ، وإن لم نجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى ،

فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات ، وبالله التوفيق)) .

وخلاصة هذا البحث أن السلف والخلف قد اتفقا على أن المراد غير الظاهر المتعارف بين الخلق ، وهو تأويل في الجملة ، واتفقا كذلك على أن كل تأويل يصطدم بالأصول الشرعية غير جائز ، فانحصر الخلاف في تأويل الألفاظ بما يجوز في الشرع ، وهو هين كما ترى ، وأمر لجأ إليه بعض السلف أنفسهم ، وأهم ما يجب أن تتوجه إليه همم المسلمين الآن توحيد الصفوف ، وجمع الكلمة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، والله حسبنا ونعم الوكيل)) اهـ . كلام الإمام البنا رحمه الله تعالى نقلا عن رسالته في العقائد .

نقد تقسيم التوحيد إلى ألوهية وربوبية

لفضيلة العلامة حجة الإسلام

يوسف الدجوي الأزهري

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العلامة أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن أحمد الدِّجوي المالكي الأزهري المتوفى سنة 1365هـ :
جاءتنا رسائل كثيرة يسأل مرسلوها عن توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ما معناهما ؟؟ وما الذي يترتب عليهما ؟؟ ومن ذا الذي فرق بينهما ؟؟ وما هو البرهان على صحة ذلك أو بطلانه ؟؟
فنقول وبالله التوفيق :
إن صاحب هذا الرأي هو ابن تيمية الذي شاد بذكره ، قال : ((إن الرسل لم يبعثوا إلا لتوحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة ، وأما توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله رب العالمين المتصرف في أمورهم فلم يخالف فيه أحد من المشركين والمسلمين بدليل

قوله تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) اهـ .
ثم قالوا : إن الذين يتوسلون بالأنبياء والأولياء ويتشفعون بهم وينادونهم عند الشدائد هم عابدون لهم قد كفروا باعتقادهم الربوبية في تلك الأوثان والملائكة والمسيح سواء بسواء ، فإنهم لم يكفروا باعتقادهم الربوبية في تلك الأوثان وما معها بل بتركهم توحيد الألوهية بعبادتها ، وهذا ينطبق على زوار القبور المتوسلين بالأولياء المنادين لهم المستغيثين بهم الطالبين منهم ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى .. بل قال محمد بن عبدالوهاب:

((إن كفرهم أشنع من كفر عباد الأوثان)) اهـ !! وإن شئت ذكرت لك عبارته المحزنة الجريئة ، فهذا ملخص مذهبهم مع الإيضاح ، وفيه عدة دعاوى ، فلنعرض لها على سبيل الاختصار ، ولنجعل الكلام في مقامين فنتحاكم إلى العقل ثم نتحاكم إلى النقل ، فنقول:

قولهم : (إن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية) تقسيم غير معروف لأحد قبل ابن تيمية ، وغير معقول أيضا كما ستعرفه ، وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد دخل في الإسلام : إن هناك توحيدين وإنك لا تكون مسلما حتى توحد توحيد الألوهية ، ولا أشار إلى ذلك بكلمة واحدة ، ولا سُمِع ذلك عن أحد من السلف الذين يتبجحون باتباعهم في كل شيء ، ولا معنى لهذا التقسيم ، فإن الإله الحق هو الرب الحق ، والإله الباطل هو الرب الباطل ، ولا يستحق العبادة والتأليه إلا من كان ربا ، ولا معنى لأن نعبد من لا نعتقد فيه أنه رب ينفع ويضر ، فهذا مرتب على ذلك كما قال تعالى : (

رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً) .
فرتب العبادة على الربوبية ، فإننا إذا لم نعتقد أنه رب ينفع ويضر فلا معنى لأن نعبده ـ كما قلنا ـ ويقول تعالى : (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض) يشير إلى أنه لا ينبغي السجود إلا لمن ثبت اقتداره التام ، ولا معنى لأن نسجد لغيره ، هذا هو المعقول ، ويدل عليه القرآن والسنة .
أما القرآن فقد قال : (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) ، فصرح بتعدد الأرباب عندهم ، وعلى الرغم من تصريح القرآن بأنهم جعلوا الملائكة أربابا يقول ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب : إنهم موحدون توحيد الربوبية وليس عندهم إلا رب واحد وإنما أشركوا في توحيد الألوهية !! ويقول يوسف عليه السلام لصاحبي السجن وهو يدعوهما إلى التوحيد : (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) ، ويقول الله تعالى أيضا : (وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي) ، وأما هم فلم يجعلوه ربا .

ومثل ذلك قوله تعالى : (لكنا هو الله ربي) خطابا لمن أنكر ربوبيته تعالى ، وانظر إلى قولهم يوم القيامة : (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) ، أي في جعلكم أربابا ـ كما هو ظاهر ـ وانظر إلى قوله تعالى : (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا ..) ، فهل ترى صاحب هذا الكلام موحدا أو معترفا ؟!.
ثم انظر إلى قوله تعالى : (وهم يجادلون في الله) ، إلى غير ذلك وهو كثير لا نطيل بذكره ، فإذا ليس عند هؤلاء الكفار توحيد الربوبية ـ كما قال ابن تيمية ـ ، وما كان يوسف عليه

السلام يدعوهم إلا إلى توحيد الربوبية ، لأنه ليس هناك شيء يسمى توحيد الربوبية وشيء آخر يسمى توحيد الألوهية عند يوسف عليه السلام ، فهل هم أعرف بالتوحيد منه ويجعلونه مخطئا في التعبير بالأرباب دون الآلهة ؟!.
ويقول الله في أخذ الميثاق : (ألست بربكم قالوا بلى) ، فلو كان الإقرار بالربوبية غير كاف وكان متحققا عند المشركين ولكنه لا ينفعهم ـ كما يقول ابن تيمية ـ ، ما صح أن يؤخذ عليهم الميثاق بهذا ، ولا صح أن يقولوا يوم القيامة : (إنا كنا عن هذا غافلين) ، وكان الواجب أن يغير الله عبارة الميثاق إلى ما يوجب اعترافهم بتوحيد الألوهية حيث إن توحيد الربوبية غير كاف ـ كما يقول هؤلاء ـ ، إلى آخر ما يمكننا أن نتوسع فيه ، وهو لا يخفى عليك ، وعلى كل حال فقد اكتفى منهم بتوحيد الربوبية ، ولو لم يكونا متلازمين لطلب إقرارهم بتوحيد الألوهية أيضاً.

ومن ذلك قوله تعالى : (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) ، فإنه إله في الأرض ولو لم يكن فيها من يعبده كما في آخر الزمان ، فإن قالوا : إنه معبود فيها أي مستحق للعبادة ، قلنا : إذن لا فرق بين الإله والرب ، فإن المستحق للعبادة هو الرب لا غير ، [و]ما كانت محاورة فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام إلا في الربوبية وقد قال : (أنا ربكم الأعلى) ثم قال : (لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين) ولا داعي للتطويل في هذا .
وأما السنة فسؤال الملكين للميت عن ربه لا عن إلهه ، لأنهم لا يفرقون بين الرب والإله ، فإنهم ليسوا بتيميين ولا متخبطين ، وكان الواجب على مذهب هؤلاء أن يقولوا للميت : من إلهك لا

من ربك !! أو يسألوه عن هذا وذاك .
وأماقوله : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) ، فهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم إجابة لحكم الوقت مضطرين لذلك بالحجج القاطعات والآيات البينات ، ولعلهم نطقوا بما لا يكاد يستقر في قلوبهم أو يصل إلى نفوسهم ، بدليل أنهم يقرنون ذلك القول بما يدل على كذبهم ، وأنهم ينسبون الضر والنفع إلى غيره ، وبدليل أنهم يجهلون الله تمام الجهل ويقدمون غيره عليه حتى في صغائر الأمور ، وإن شئت فانظر إلى قولهم لهود عليه الصلاة والسلام : (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) فكيف يقول ابن تيمية : إنهم معتقدون أن الأصنام لا تضر ولا تنفع إلى آخر ما يقول؟!.

ثم انظر بعد ذلك في زرعهم وأنعامهم : (هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم) ، فقدموا شركاءهم على الله تعالى في أصغر الأمور وأحقرها .
وقال تعالى في بيان اعتقادهم في الأصنام : (وما نرى معكم من شفعائكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) ، فذكر أنهم يعتقدون أنهم شركاء فيهم ، ومن ذلك قول أبي سفيان يوم أحد : (أعل هبل) ، فأجابه صلى الله عليه وسلم بقوله : (الله أعلى وأجل) ، فانظر إلى هذا ثم قل لي ماذا ترى في ذلك من التوحيد الذي ينسبه إليهم ابن تيمية ويقول : إنهم فيه مثل المسلمين سواء بسواء وإنما افترقوا بتوحيد الألوهية ؟!.
وأدل من ذلك كله قوله تعالى : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) ، إلى غير ذلك مما يطول شرحه ، فهل ترى لهم توحيدا بعد ذلك يصح أن يقال فيه إنه

عقيدة ؟!.
أما التيميون فيقولون بعد هذا كله : إنهم موحدون توحيد الربوبية ، وإن الرسل لم يقاتلوهم إلا على توحيد الألوهية الذي لم يكفروا إلا بتركه !! ولا أدري ما معنى هذا الحصر مع أنهم كذبوا الأنبياء وردوا ما أنزل عليهم واستحلوا المحرمات وأنكروا البعث واليوم الآخر وزعموا أن لله صاحبة وولدا وأن الملائكة بنات الله (ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون) ، وذلك كله لم يقاتلهم عليه الرسل ـ في رأي هؤلاء ـ وإنما قاتلوهم على عدم توحيد الألوهية ـ كما يزعمون ـ وهم بعد ذلك مثل المسلمين سواء بسواء !! أو المسلمون أكفر منهم في رأي ابن عبدالوهاب!!.
وما علينا من ذلك كله ، ولكن نقول لهم بعد هذا : على فرض أن هناك فرقا بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ـ كما يزعمون ـ فالتوسل لا ينافي توحيد الألوهية فإنه ليس من العبادة في شيء لا لغة ولا شرعا ولا عرفا ، ولم يقل أحد إن النداء أو التوسل بالصالحين عبادة ، ولا أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولو كان عبادة أو شبه عبادة لم يجز بالحي ولا بالميت.

فإن تشبث متشبث بأن الله أقرب إلينا من حبل الوريد فلا يحتاج إلى واسطة ، قلنا له : (حفظت شيئا وغابت عنك أشياء) ، فإن رأيك هذا يلزمه ترك الأسباب والوسائط في كل شيء ، مع أن العالم مبني على الحكمة التي وضعت الأسباب والمسببات في كل شيء ، ويلزمه عدم الشفاعة يوم القيامة ـ وهي معلومة من الدين بالضرورة ـ فإنها ـ على هذا الرأي ـ لا حاجة إليها ، إذ لا يحتاج سبحانه وتعالى إلى واسطة فإنه أقرب من الواسطة .

ويلزم خطأ عمر بن الخطاب في قوله : (إنا نتوسل إليك بعم نبيك العباس إلخ ..) ، وعلى الجملة يلزم سد باب الأسباب والمسببات والوسائل والوسائط ، وهذا خلاف السنة الإلهية التي قام عليها بناء هذه العوالم كلها من أولها إلى آخرها ، ولزمهم على هذا التقدير أن يكونوا داخلين فيما حكموا به على المسلمين ، فإنه لا يمكنهم أن يَدَعوا الأسباب أو يتركوا الوسائط بل هم أشد الناس تعلقا بها واعتمادا عليها .

ولا يفوتنا أن نقول : إن التفرقة بين الحي والميت في هذا المقام لا معنى لها فإن المتوسل لم يطلب شيئا من الميت أصلا ، وإنما طلب من الله متوسلا إليه بكرامة هذا الميت عنده أو محبته له أو نحو ذلك ، فهل في هذا كله تأليه للميت أو عبادة له ؟؟!! أم هو حق لا مرية فيه ؟؟ ، ولكنهم قوم يجازفون ولا يحققون ، كيف وجواز التوسل بل حسنه معلوم عند جميع المسلمين .

وانظر كتب المذاهب الأربعة ، حتى مذهب الحنابلة في آداب زيارته صلى الله عليه وسلم تجدهم قد استحبوا التوسل به إلى الله تعالى ، حتى جاء ابن تيمية فخرق الإجماع وصادم المركوز في الفطر مخالفا في ذلك العقل والنقل اهـ .

انتهى جواب العلامة حجة الإسلام يوسف الدجوي المالكي الأزهري رحمه الله تعالى .

صفحة من حياة الإمام أبي الحسن الأشعري

بقلم الإمام الأكبر السيد محمد الخضر حسين التونسي

شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

التحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى وقد أورث الناس دينا ساطع الحجج، محكم الآيات، فساروا في ضوئه أمة واحدة، لا يختلفون في شيء يرجع إلى العقائد حتى آخر خلافة عثمان رضي الله عنه حيث حميت تلك المناقشات السياسية، واتخذها مرضى القلوب أمثال (عبدالله بن سبأ) ذريعة إلى فتنة

يكيدون بها الإسلام، ففتحوا بابها بقتل الخليفة، ونشأت خلافة علي كرم الله وجهه، وغبار الفتنة ثائر، فتولدت تحت مثاره آراء سياسية، ثم جعلت تلك الآراء تتحول إلى مذاهب دينية، ودب في النفوس مرض الاختلاف، ومن هذا الاختلاف ما يرجع إلى أصول العقائد، فيحل عروة الإيمان، ومنه ما يرجع إلى فروعها، فلا يزيد على أن يسمى انحرافا عن الصواب.

كثرت الفرق، وتعددت الألقاب، فوهن حبل الاتحاد الإسلامي، ولولا هذا التفرق لبلغ الإسلام من القوة فوق ما بلغ، وارتقى في السيادة ذروة فوق التي ارتقى.

ومن هذه الفرق فرقة يغالون في (التشيع) للإمام علي كرم الله وجهه، ومن أبعدهم في هذا الغلو السبئية أتباع (عبدالله بن سبأ)، الذي ادعى لعلي عليه السلام وصف الإلهية، فنفاه علي إلى المدائن، ويقال : إنه كان يهوديا، فتظاهر بالإسلام ليكيد له بمثل هذه الدعوى.

ويقابل هذه الفرقة فرقة يدينون بكراهة علي رضي الله عنه، وهم (الخوارج)، ونشأ هذا المذهب من جماعة كانوا مع علي في حرب صفين، ثم خرجوا عليه عقب قضية التحيكم.

ومن هذه الفرق فرقة يبالغون في إثبات الوعد، حتى قال بعضهم : لا يضر مع الإيمان معصية، وهم (المرجئة).

أما الإرجاء الذي ينسب إلى بعض فضلاء التابعين كالحسن بن محمد بن الحنفية، فمعناه عدم القطع على إحدى الطائفتين المقتتلتين من العلويين والأمويين بكونها مخطئة أو مصيبة، وإرجاء أمرهما أي تأخيره وتفويضه إلى الله تعالى، وهو بهذا المعنى لا يمس جانب الإيمان، ولا يعد صاحبه عند أهل السنة موضعا للعيب.

ومن هذه الفرق فرقة يبالغون في إثبات القدرة للإنسان، وينكرون إضافة الخير والشر إلى القدر، وهم (القدرية)، وأول من تكلم بهذا (معبد بن عبدالله الجهني) الذي خرج مع ابن الأشعث، ووقع في يد الحجاج فقتله سنة 80هـ.

ومن هذه الفرق فرقة لا يثبتون للعبد قدرة على الفعل لا مؤثرة ولا كاسبة، وهم (الجبرية)، وأول من ظهر بهذا المذهب (جهم بن صفوان) الذي خرج مع الحارث بن سريج على بني أمية في أواخر دولتهم، ووقع في قبضتهم بعد انهزام الحارث وقتل سنة 128 أو 131 هـ.

ومن هذه الفرق فرقة يشَبِّهُون الله ـ وهو واجب الوجود ـ ببعض مخلوقاته، وهم (المشبهة)، وممن تعزى إليه هذه البدعة (الجعد بن درهم) مؤدب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.

ومن غلاة المشبهة (الكرامية) أتباع (محمد بن كَرَّام(وهو شيخ نشأ في سجستان، ثم دخل نيسابور، وباح بالتجسيم، فحبسه عبدالله بن طاهر، ثم أطلقه فتخلص إلى القدس الشريف، وهناك توفي سنة 256هـ.

ومن هذه الفرق فرقة يؤولون القرآن والسنة على غير ما يراد منها، مكرا بالدين وصرفا للناس عن هدايته، وهم (الباطنية)، وائتمار من أصلهم المجوسية بالكيد للإسلام وقع ـ على ما يقصه أبو بكر بن العربي ـ في عهد البرامكة، ولكن تأويل الظاهر على وجوه تعطل أحكام الشريعة وتذهب ببهاء حكمتها ظهر فيما بعد، ومن زعماء هذه النحلة (حمدان قرمط) المتوفى سنة 264هـ، ومنه أخذ الباطنية لقب (القرامطة.(

ومن أذناب هذه الفرقة اليوم الطائفة المسماة بـ(البابية) أو

(البهائية)، وكانت قبل هذا تعمل في خفاء، فسرى وباؤها في نفوس كثير من المسلمين الغافلين، حتى أخذ بعض زعمائها الغرور، فجاهروا بشيء مما يسرون، فانكشفت للناس سريرتها، وافتضح أمرها، فلا تقوم لدعايتها بعد هذا ـ إن شاء الله ـ قائمة.

ومن هذه الفرق فرقة (المعتزلة)، ومن رؤوسها (أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزَّال)، وصاحبه (عمرو بن عبيد)، وكانا يجالسان الحسن البصري المتوفى سنة 116هـ، ثم اعتزلاه في نفر كانوا على رأيهما، وظهر بعد هؤلاء طبقة أخرى، من زعمائها (إبراهيم بن يسار النَّظَّام) المتوفى سنة 221هـ، و(محمد بن الهذيل العلاّف) المتوفى سنة235هـ، و(أحمد بن أبي دؤاد) المتوفى سنة 240هـ، و(بشر المريسي) المتوفى سنة 218هـ، ثم عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة 250هـ.
وظهر بعد هؤلاء طبقة ، من رجالها (أبو علي محمد الجبائي) المتوفى سنة 303هـ، وهو أستاذ أبي الحسن الأشعري، و(أبو القاسم عبدالله الكعبي) المتوفى سنة 317هـ، وإليه تنسب الفرقة (الكعبية(، و(أبو هاشم عبدالسلامبن أبي علي الجبائي) المتوفى سنة 321هـ، وإليه تنسب الفرقة)البهشمية)، فالكعبي وأبو هاشم كانا معاصرين لأبي الحسن الأشعري.
وظهر مذهب الاعتزال لذلك العهد، إذ كان لكثير من زعمائه البراعة في البيان والوجاهة عند رجال الدولة، فعمرو بن عبيد كان رفيع المنـزلة عند المنصور، وكان المجلس الذي يعقده البرامكة لأصحاب المقالات ينتظم من أبي الهذيل العلاف، وإبراهيم النظام، وبشر بن المعتمر، وجعفر بن حرب، وثمامة

بن أشرس، وجعفر بن بشر، وكلهم من زعماء الاعتزال.
وأحمد بن أبي دؤاد كان وجيها لدى المأمون، وتولى قاضي القضاة في خلافة المعتصم، وهو الذي امتحن الإمام أحمد بن حنبل وحاول إلزامه القول بخلق القرآن الكريم، وكذلك كان ابن أبي دؤاد في عهد الواثق، ولما تقلد المتوكل الخلافة أصيب ابن أبي دؤاد بفالج، فخلفه في القضاء ابنه محمد بن أحمد، ثم صرفه المتوكل عن القضاء، وولّى مكانه يحيى بن أكثم، وكان يقتدي بمذهب أهل السنة.
ومن أسباب ظهور الاعتزال أن بعض زعمائه كانوا يتصدون للرد على الخارجين عن الملة من نحو الكلاحدة والطبيعيين، كما رد واصل الغزال على المانوية، ورد أبو هاشم بن أبي علي الجبائي على القائلين بالطبائع، ورد أبو الحسين بن أبي عمر الخياط على ابن الراوندي في كتاب)الانتصار(، وكانوا يدرسون الفلسفة، ويتناولون آراء رجالها بالنقض، فلأبي هاشم هذا كتاب (النقض على أرسطاليس في الكون والفساد)، ومما نقرؤه في ترجمة النظام أن جعفر بن يحي البرمكي ذكر أرسطاليس، فقال النظام: قد نقضت عليه كتابه، فقال جعفر: كيف وأنت لا تحسن أن تقرأه! فقال النظام: أيهما أحب إليك: أن أقرأه من أوله إلى آخره، أمن آخره إلى أوله؟ ثم أخذ يذكره شيئا فشيئا، وينقض عليه، فتعجب جعفر منه.
ودراسة المعتزلة للفلسفة أفادت في ردهم على بعض الفلاسفة والملاحدة، ولكن انحرفت ببعض آرائهم عن قصد السبيل، فتعسفوا في نقض نصوص من الكتاب والسنةظنا منهم أن الفلسفة تتعاصى عن قبول ما تدل عليه هذه النصوص، ولم يكن المعتزلة في المسائل التي تعزى إليهم على رأي واحد، بل كانوا

يختلفون في بعض الآراء، وقد ينتصب بعضهم لتفنيد آراء بعض، كما ألف جعفر بن حرب في الرد على أبي الهذيل العلاّف كتابا سماه)توبيخ أبي الهذيل) وبالغ في الرد عليه حتى أشار إلى تكفيره.
وزاد مذهبَ الاعتزال في القرن الثاني والثالث رواجا أن أهل السنة كانوا لا يعنون بمجادلتهم على طريقة نظرية يرخي فيها الخصم لخصمه العنان، ثم يدفع شيهه شبهة بعد أخرى، وينقض أدلته دليلا بعد دليل، وكان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يكره التصدي لمجادلة المبتدعين، وحكى عنه الغزالي في كتاب (المنقذ) أنه أنكر على الحارث المحاسبي تصنيفه في الرد على المعتزلة، فقال الحارث: الرد على المبتدعة فرض، فقال أحمد: نعم، ولكن حيث حكيت شبهتهم أولا، ثم أجبت عنها، فلا يؤمن أن يطالع الشبهة من تعلق بفهمه، ولا يلتفت إلى الجواب، أو ينظرإلى الجواب، ولا يفهم كنهه، قال الغزالي: وما ذكره أحد حق، ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر، أما إذا انتشرت فالجواب عنها واجب، ولا يمكن الجواب إلا بعد الحكاية.

كان أهل السنة من ناحية التفقه في الدين وتقرير أصول الأحكام يبسطون القول إلى أبعد غاية، أما موقفهم أمام الفرق التي تتكلم في العقائد وما يتصل بها، فيشبه موقف من يستخف بقوة خصمه، فلا يعد لهم ما استطاع من قوة، أو لا يُعمل في دفاعهم ما لديه من سلاح، حتى يجوسوا خلال أرضه، وينقصوها من أطرافها.
سادت في القرن الثالث الآراء المخالفة لمذهب السلف، حتى ظهر أبو الحسن الأشعري فأحسن التعبير عن مذهب أهل السنة، وانقلب علم الكلام إلى هيئة غير هيئته التي خلعها عليه

المعتزلة والمرجئة والمشبهة والقدرية، والذي يستطيع ان يجاهد فيقلب أمما كثيرة من جهة إلى أخرى، جدير بأن يعد في أعاظم الرجال، فإذا عرضنا عليك صحيفة من حياة أبي الحسن الأشعري، فإنما نعرض عليك شيئا من سيرة رجل كان له في إصلاح النفوس وتقويم العقول جهاد أي جهاد.

نسب أبي الحسن الأشعري ومولده:

هو علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن ابي موسى الأشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأشعري نسبة إلى (أشعر) قبيلة باليمن، فنسبه عربي صريح، ومولده بالبصرة سنة ستين ومائتين.

نشأته العلمية:

نشأ الأشعري بالبصرة، وهي يومئذ زاهية بالعلوم الدينية والعربية وفن الكلام، فأخذ السنة عن: الحافظ زكريا بن يحيى الساجي، وأبي خليفة الجمحي، وسهل بن نوح، ومحمد بن يعقوب المقرئ، وعبدالرحمن بن خلف الضبي، وقد أكثر في تفسيره من الرواية عن هؤلاء،ثم رحل إلى بغداد، وأخذ عمن لقيه فيها من علماء الحديث.
ودرس علم الكلام على مذهب المعتزلة، فكان يتلقى على طائفة من كبارهم مثل أبي علي الجبائي، والشحام، والعطوي، وكان

متقدما في هذا العلم على أقرانه، وسنحدثك قريبا عن براءته من مذهب المعتزلة، ورجوعه إلى مذهب أهل السنة.
وإذا لم يذكر الأشعري في طبقات المحدثين، فلأن همته لم تكن مصروفة إلى الإكثار من الرواية، وإنما كان يبذل جهده في تعرف آراء الفرق، والغوص على الحجج التي تنقض شبههم، وتدمغ باطلهم، فلا بأس عليه مما وصفه به بعض الحنابلة من أن خبرته بمقالات أهل الكلام أوسع من خبرته بمذاهب أهل الحديث، وكثير ممن عاصروه أو تلقوا عنه قد شهدوا له بغزارة العلم، وحسن التصرف فيما يعلم، وقال الأستاذ (أبو إسحق الإسفرائيني): كنت في جنب الشيخ (أبي الحسن الباهلي) كقطرة في جنب البحر، وسمعت الباهلي يقول: كنت في جنب الأشعري كقطرة في جنب البحر.
وهذه الشهادة وإن كانت صادرة عن تواضع من أبي الحسن الباهلي، لا تخلو من إيماء إلى عظم منـزلة أبي الحسن الأشعري في العلم.

مذهبه في أصول الدين:

كان أبو الحسن الأشعري في مبدأ أمره على مذهب الاعتزال، ولزم أبا علي الجبائي سنين كثيرة، ثم اهتدى إلى أن الحق في جانب أهل السنة، وأراد أن يكون رجوعه عن الاعتزال علانية، فأتى المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة ورقي كرسيا، ونادى بأعلى صوته قائلا: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي: أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا تراه الأبصار ـ يعني في الدار الآخرة

ـ وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع معتقد للرد على المعتزلة.
والواقع أنه لم يأت بمذهب جديد، وإنما صار إلى مذهب السلف وما كان عليه الأئمة الراشدون، فقام بتأييده والنضال عنه، وإنما يُنسب إليه المتمسكون بمذهب أهل السنة لأنه زاد المذهب حججا، وألف فيه كتبا كثيرة، وقد صرح في كتاب (الإبانة) بأنه على طريق السلف فقال: ((وديانتنا التي بها ندين التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون)). وعوده إلى إلى مذهب أهل السنة بعد الاعتزال شاهد ـ كما قال القاضي عياض في (المدارك) ـ على ثبات قدمه، وصحة يقينه في الالتزام بالسنة، إذ لم يلزمها لأنه نشأ عليها، ولا اعتقدها تقليدا.

مذهبه في الأحكام العملية:

تنازع بعض أصحاب المذاهب أبا الحسن الأشعري، كل ينسبه إلى مذهبه، ذكره ابن السبكي في (طبقات الشافعية) وقال: قد زعم بعض الناس أن الشيخ مالكي المذهب، وليس بصحيح، وإنما كان شافعيا تفقه على أبي إسحق المروزي، نص على ذلك الأستاذ (أبو بكر بن فورك) في (طبقات المتكلمين)، والأستاذ (أبو إسحق الإسفرائيني) فيما نقله عنه الشيخ (أبو محمد الجويني) في (شرح الرسالة.)
وذكره القاضي عياض في كتاب (المدارك) على أنه من فقهاء

المالكية، وقال: ذكر محمد بن موسى بن عمران أن الأشعري كان مالكيا وقال: ذكر لي بعض الشافعية أنه كان شافعيا، حتى لقيت الشيخ الفاضل الفقيه رافعا الحمال الشافعي فذكر لي عن شيوخه أن أبا الحسن كان مالكيا، وكان مذهب مالك رحمه الله تعالى في وقته شائعا في العراق، أيام إسماعيل بن إسحق.
والذي يظهر أن أبا الحسن الأشعري لم يؤلف كتابا في الأحكام يستفاد منه أنه مستقل النظر في الأحكام، أو أنه مقتد بأحد الأئمة.

قوته على المناظرة:

تمرن الأشعري على المناظرات منذ كان على مذهب الاعتزال، حتى إن أستاذه أبا علي الجبائي كان إذا حضرت مناظرة، قال له: نُبْ عني، وكان الجبائي صاحب قلم، ولم يكن قويا على المناظرة في المجالس.
وكان رحمه الله يقصد إلى مواطن المعتزلة ليناظرهم، فقيل له: كيف تخالط أهل البدع، وتقصدهم بنفسك، وقد أمرت بهجرهم؟ فقال: هم أولو رئاسة: منهم الوالي والقاضي، ولرئاستهم لا ينـزلون إليّ، فإذا كانوا هم لا ينـزلون إليّ، ولا أسير أنا إليهم، فكيف يظهر الحق، ويعلمون أن لأهل السنة ناصرا بالحجة! .
وكان لا يبتدئ مناظريه بالسؤال، بل يقف موقف المجيب المدافع، حضر الأستاذ أبو عبدالله بن خفيف مناظرة بين الأشعري وبعض مخالفيه، فقضى العجب من علمه وفصاحته، وقال له: لم لا تسأل أنت ابتداء؟ فقال الأشعري: أنا لا أكلم هؤلاء ابتداء، ولكن إذا خاضوا في ذكر ما لا يجوز في دين

الله، رددنا عليهم بحكم ما فرض الله سبحانه وتعالى علينا من الرد على مخالفي الحق.
وجرت مناظرات بين أبي الحسن الأشعري والجبائي، منها مناظرة في قول الجبائي كسائر معتزلة البصرة: إنه يجب على الله تعالى مراعاة الأصلح بمعنى الأنفع للعبد، فسأل الأشعريُّ أبا علي الجبائي عن ثلاثة إخوة عاش أحدهم في الطاعة، وأحدهم في الكفر والمعصية، والآخر مات صغيرا، فقال له الجبائي: يثاب الأول ويعاقب الثاني، ولا يعاقب الثالث ولا يثاب، فقال الأشعري: إن قال الثالث: يارب هل عمرتني، فأصلح، فأدخل الجنة كما دخلها أخي المؤمن! فأجاب الجبائي بأن الرب يقول: كنت أعلم أنك لو عشت لفسقت فدخلت النار، ثم قال الأشعري: فإن قال الثاني: يارب لِمَ لَمْ تُمِتني صغيرا حتى لا أعصي فلا أدخل النار كما أَمَتَّ الثالث! فانقطع الجبائي.
فمعتزلة البصرة هم الذين يرون وجوب مراعاة الأصلح بمعنى الأنفع للعبد، أما معتزلة بغداد فيذهبون في تفسير الأصلح الذي يجب على الله مراعاته إلى معنى الأوفق في الحكمة والتدبير، وليس هذا المذهب بموضع المناظرة السالفة، لأن الحكمة لا تتبع جلب المنفعة أو درء المفسدة الشخصية، وإنما تقوم على ما يقتضيه حسن النظام العام للخليقة.

أخلاقه وتقواه:

كان في أبي الحسن دعابة، وكان له مع هذه الدعابة غيرة على الحق حامية، وتلك الغيرة هي التي تدفعه إلى مقارعة مخالفيه

غير مبال بما كان لهم من جاه أو رئاسة، قال أحد أصحابه: ((إنه كان حضر معه مجلسا في جماعة من المبتدعة، فقام فيه لله مقاما حسنا، وكسر حجتهم، فلما خرج قلت له: جزاك الله خيرا، قال: وما ذاك؟ قلت: لمقامك هذا لله تعالى ونصر دينه، فقال: يا أخي إنا ابتلينا بأمراء سوء أظهروا بدع المخالفين، ونصروها، فوجب علينا القيام لله، والذب عن دينه حسب الطاقة، فمسألة من معرفة ربك، وما تطيعه به وتتقرب به إليه أجدى عليك من هذا)).

وهذه القصة تدلك على أنه كان يؤثر الحق على رضى الأمراء، وأنه كان من التواضع بحال من يذكر أن الازدياد من معرفة الله والإقبال على فعل الطاعات يفضل ما كان يشتغل به من مقارعة الابتداع على طريقة علم الكلام.

وفي أبي الحسن خصلة يعِزُّ في أهل العلم وجودها، وهي الرجوع عن الرأي عندما يستبين الحق، وشاهد هذا أنه نفض يده من مذهب الاعتزال علانية عندما استبان أن الحق في جانب أهل السنة، وكان قد صنف في أيام اعتزاله كتابا كبيرا نصر فيه مذهب الاعتزال، وقد يقول في بعض مؤلفاته: ألفنا كتابا في مسألة كذا، رجعنا عنه، ونقضناه، فمن وقع إليه فلا يُعَوِّلَن عليه.

وكان رحمه الله متجملا بالحياء والورع، قال أحمد بن علي الفقيه: خدمت الإمام أبا الحسن بالبصرة سنتين، وعاشرته ببغداد إلى أن توفي، فلم أجد أورع منه، ولا أغض طرفا، ولم أر أحدا أكثر حياء منه في أمور الدنيا، ولا أنشط منه في أمور الآخرة.

وكان ينفق من غلة ضيعة وقفها جده بلال بن أبي بردة.

خصومه:

خصوم الرجل على قدر عظم شأنه، فكلما ارتفع الرجل درجة، أو ظهرت له مزية، تألم لهامن أحسوا من أنفسهم العجز عن أن يبلغوا شأوه، فليس من العجيب أن يكون لمثل الأشعري خصوم يناوءونه، ويَعْزُون إليه من المقالات ما لم ينطق به لسانه، ولم يخطر على قلبه، وليس من المعقول أن يقف الأشعري لطوائف مختلفة المذاهب والآراء وقفة من لا يعرف ذلك الذي يسميه الناس رهبة أو إحجاما، ويرجو مع هذا أن يمضي في سلامة من أن يتحدثوا عنه في غير أمانة.
ألصق به خصومه أقوالا لم تسمع منه في مناظرة ولا توجد له في كتاب، كما عزوا إليه أنه قال: إن المعجز هو كلام الله تعالى الذي لم يزل غير مخلوق، ولا نزل إلينا ولا سمعناه قط، وقد ساق الأستاذ ركن الدين (أبو محمد عبدالله الجويني) في كتاب (عقيدة الإمام المطلبي) أشياء من هذه الأراجيف، وقال: ((قد تصفحت ما تصفحت من كتبه، وتأملت نصوصه في هذه المسائل، فوجدتها كلها على خلاف ما نسب إليه)) ثم قال: ((ولا عجب أن اعترضوا عليه واخترصوا، فإنه رحمه الله تعالى فاضح القدرية وعامة المبتدعة، وكاشف عوراتهم، ولا خير فيمن لا يعرف حاسده)).

وتحدث القاضي عياض في كتاب (المدارك) عمن يناوئون الأشعري فنسب طائفة منهم إلى الغلو في ترك التأويل حتى وقعوا في التشبيه، ثم قال: ((وأكثر من شنع عليه بالأندلس ابن

حزم، فإنه ملأ كتابه وعلى أئمة أصحابه كذبا وتشانيع باطلة، وذلك في كتابه المسمى بـ((النصائح والفضائح)).

ولأبي العباس أحمد بن محمد بن عبدالمنعم القرطبي رسالة ردَّ بها على شخص تورط في هجو الأشعري، تسمى ((زجر المفتري على أبي الحسن الشعري)) قال في مطلعها:

أسير الهوى ضلت خطاك عن القصد فها أنت لا تُهدَى لخير ولا تَهْدِي

سللت حساما من لسانك كاذبا على عالم الإسلام والعَلَم الفرد

تمرست في أعراض بيت مقدس رمى الله منك الثغر بالحجر الصلد

ومما قال في وصف الأشعري:

وسل حساما من بيان فهومه فرد سيوف الغي مغلولة الحد

وأبدى علوما ميزت فضل فضله كتمييز ذي البردين والغرس والورد

فجاءت مجيء الصبح، والصبح واضح وسارت مسير الشمس والشمس في السعد

سللن سيوف الحق في موطن الهدى فغادرن صرعى الملحدين بلا لحد

وأيدن دين الله في أفق العلا بلا منصل عضب، ولا فرس نهد
وأمضين حكم النقل والعقل فاحتوى كلام إمام الحق مجدا على مجد

أنصاره:

قلنا فيما سلف: إن الأشعري لم يبتدع مذهبا جديدا، وإنما هو مقرر لمذهب السلف المبني على الوقوف عند نصوص الكتاب والسنة، وترك تأويلها حيث لم يعارضها قاطع من معقول أو محسوس، فمزية الأشعري أنه بسط البحث والمناضلة عنها بالحجج النظرية، أي على طريقة علم الكلام، وهي الطريقة التي مكنته من الظهور على من يدرسون أو يدعون الفلسفة، ويتعلقون في الجدال عن مذاهبهم بشيء من آرائهم، ولأخذه بظاهر الكتب والسنة، وتصديه لمدافعة كل فرقة شاذة أو ضالة بمثل سلاحها، كان لمؤلفاته الوقع الحسن في نفوس أكثر أهل العلم من أتباع الأئمة، قال القاضي عياض في كتاب (المدارك): ((فلما كثرت تآليفه وانتُفع بقوله، وظهر لأهل الحديث والفقه ذَبُّه عن السنن والدين، تعلق بكتبه أهل السنة وأخذوا عنه، ودرسوا عليه، وتفقهوا في طريقه، وكثر طلبته وأتباعه لتعلم تلك الطرق في الذَبِّ عن السنة وبسط الحجج والأدلة في نصر الملة)).

وقد ينساق أبو الحسن الأشعري في مجادلة الخصوم إلى آراء لا تمس أصول العقائد، ولا ترجع إلى صريح القرآن أو السنة،

وأكثر ما يخالفه فيه بعض علماء السنة الذين يجلونه كإمام الحرمين وغيره من الراسخين في العلم عائد إلى هذا القبيل.
أنكر بعض أهل العلم على الإمام الرازي مناقشته للأشعري في بعض مؤلفاته، فقال ابن السبكي: والإمام الرازي لا ينكر عظمة الأشعري، كيف وهو على طريقته يمشي، وبقوله يأخذ! ولكن لم تبرح الأئمة يعترض متأخرُها على متقدمها، ولا يشينه ذلك، بل يزينه.
ومن معاصري الأشعري محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي المتوفى سنة 333هـ وهو من أئمة أهل الحق، وبينه وبين الأشهري خلاف في مسائل يعذر كل منهما صاحبه في الاجتهاد فيها، ولا يراه حائدا بها عن مذهب أهل السنة.

مؤلفاته:

لأبي الحسن مؤلفات كثيرة، حتى قيل إنها تزيد على مائتي مصنف، من هذه المؤلفات:
1- كتاب ((الفصول في الرد على الخارجين على الملة من الملحدين والفلاسفة والطبيعيين والدهريين وأهل التشبيه والقائلين بقدم الدهر على اختلاف مقالاتهم وأنواع مذاهبهم))، ثم رد على البراهمة واليهود والنصارى والمجوس، وهو كتاب كبير يشتمل على اثني عشر كتابا.
2- ومنه كتاب ((الموجز((وهو يشتمل على اثني عشر كتابا على حسب تنوع مقالات المخالفين من الخارجين عن الملة والداخلين فيها، وآخره كتاب الإمامة.

3- ومنها تفسيره المسمى بـ((المختزن))، قال القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب (القواصم والعواصم): انتدب الأشعري إلى كتاب الله فشرحه في خمسمائة مجلد، وسماه بالمختزن، ومنه أخذ الناس كتبهم، ومنه أخذ عبدالجبار الهمداني كتابه في تفسير القرآن الذي يسمى بالمحيط في مائة سفر، ثم ذكر ابن العربي أن الصاحب ابن عباد بذل عشرة آلاف دينار لخازن الكتب في بغداد، فألقى النار في الخزانة، فاحترقت الكتب واحترق من بينها ((المختزن)) ولم تكن منه إلا نسخة واحدة، فنفدت من أيدي الناس، وكان الصاحب بن عباد على مذهب المعتزلة، ولأبيه عباد بن عباس كتاب أحكام القرآن ينصر فيه مذهب الاعتزال.
وليس بين أيدينا من مؤلفات أبي الحسن غير كتاب ((الإبانة))، وهو كتاب قرر فيه عقيدة السلف، ورَدَّ على ما يخالفها من آراء اعتزالية، ومنه يقف القارئ على طريقة الشيخ في الرد على مخالفيه، ويعرف كيف كان يجمع في الاستدلال بين السمع والعقل.

وفاته:

توفي أبو الحسن رحمه الله تعالى في بغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي: لما قرب أجل أبي الحسن الأشعري دعاني فأتيته، فقال: اشهد علي أني لا أكفر أحدا من أهل هذه القبلة، لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف عبارات.
ومات في حجر أبي علي هذا، وكانوا يصفونه عند النداء

لجنازته بناصر الدين، ودفن في تربة بين الكرخ وباب البصرة، قال أبو الحسن القابسي: لقد مات الأشعري يوم مات وأهل السنة باكون عليه وأهل البدع مستريحون منه. أفاض الله على قبره رحمة ونورا.

استفسارات حول

حديث الجارية و الجمعة و حول الحوادث و فناء النار و غيرها

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال:

عندي استفسارات عن:
أولا: حديث الجارية كما نعلم له عدة روايات صحيحة ومختلفة الألفاظ ، فمنها (أتشهدين أن لا إله إلا الله ...) ومنها (سألها من ربك ..) ، فهل يحمل ذلك على تصرف الراوي أم على

اختلاف الحادثة ، وكيف نجمع بين الروايات ..؟؟ وما تعليقك على قول ابن حجر : ولو قال من ينسب إلى التجسيم من اليهود لا إله إلا الذي في السماء لم يكن مؤمنا كذلك، إلا إن كان عاميا لا يفقه معنى التجسيم فيكتفي منه بذلك كما في قصة الجارية التي سألها النبي صلى الله عليه وسلم أنت مؤمنة، قالت نعم، قال فأين الله؟ قالت في السماء، فقال أعتقها فإنها مؤمنة.
وبالنسبة لراويه : معاوية بن الحكم السلمي : قال عنه البخاري : له صحبة ، ولا أدري لماذا لا يقال أنه صحابي ، وما تأثير ذلك على درجة حديثه .. فكيف إذا قيل عنه أعرابي ؟؟
- في الحديث نفسه ورد : (كَانَ نَبِيّ مِنَ الأنْبِيَاءِ يَخُطّ فَمَنْ وَافَقَ خَطّهُ فَذَاك) ، وهذا قد يستغله البعض لإباحة العرافة والتكهن ، وهل يفعل ذلك الأنبياء ..؟
فهل ورد عن غير معاوية هذا شيء شبيه بهذه الرواية ، أم تفرد بها ، ؟؟
وقد أجمع العلماء على عدم جواز الخط ، خلافا لظاهر الرواية ..!
قال النووي: قد اتفقوا على النهي عنه الآن
في حديثه أيضا أنه تكلم أثناء الصلاة ، مما يدل على عدم علمه بأحكام الصلاة ، قال النووي :
أما كلام الجاهل إذا كان قريب عهد بالإسلام فهو ككلام الناسي فلا تبطل الصلاة بقليله لحديث معاوية بن الحكم
انظر كيف وصفه : جاهل قريب عهد بالإسلام !!!
كما أن عبد الرزاق رواه في الجامع بلفظ :
عن زيد بن أسلم قال: عطس رجل في الصلاة فقال له ((أعرابي)) إلى جنبه: رحمك الله، قال الأعرابي: فنظر إلي

القوم، فقلت: واثكلاه

ثانيا: كيف تفسر عبارة (الذي في السماء) الواردة في الأحاديث التالية :

-أخرج أحمد والنسائي والبزار والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل بسند صحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما أسري بي مرت بي رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ قال: ماشطة بنت فرعون وأولادها كانت تمشطها، فسقط المشط من يدها، فقالت بسم الله، فقالت ابنة فرعون، أبي؟ قالت: بل ربي وربك ورب أبيك. قالت: أولك رب غير أبي؟ قالت: ألك رب غيري؟ قال: نعم، ربي وربك الله الذي في السماء.

- في سنن أب داوود : عن أَبِي الدّرْدَاءِ قالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "مَنْ اشْتَكَى مِنْكُم شَيْئاً أو اشْتَكَاهُ أخٌ لَهُ فَلْيَقُلْ: رَبّنَا الله الّذِي في السّماء تَقَدّسَ اسْمُكَ أَمْرُكَ في السّمَاءِ وَالأرْضِ كما رَحْمَتُكَ في السّمَاء فاجْعَلْ رَحْمَتَكَ في الأرْضِ اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا أنْتَ رَبّ الطّيّبِينَ أنْزِلْ رَحْمَةً مِن رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ فَيَبْرَأُ"

- وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس - مولى لعبد اللهابن عمرو بن العاص - عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

- في صحيح مسلم :عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى

الله عليه وسلم: "وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا، فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلاّ كَانَ الّذِي فِي السّمَاءِ سَاخِطاً عَلَيْهَا، حَتّى يَرْضَى عَنْهَا"

ثالثا: قال العز بن عبد السلام : إن الشرع إنما عفا عن المجسمة لغلبة التجسيم على الناس ، فإنهم لا يفهمون موجودا في غير جهة، بخلاف الحلول فإنه لا يعم الابتلاء به ولا يخطر على قلب عاقل ، فلا يعفى عنه (قال السيوطي بعده : مقصود الشيخ أنه لا يجري في تكفيرهم الخلاف الذي جرى في المجسمة ، بل يقطع بتكفير القائلين بالحلول إجماعا ، وإن جرى في المجسمة خلاف).

وقال ابن رشد الفيلسوف ما معناه : إنه وإن كان الحق أن الله تعالى ليس جسما ، إلا أنه لا يجوز التصريح بذلك لعامة الناس وذلك لأن عقولهم لا تستطيع أن تستوعب مثل هذا الكلام ..

ما رأيك في هذه الأقوال ..؟

رابعا: رأيتك تعتقد بتوبة ابن تيمية من أشياء خطيرة (مثل حلول الحوادث - قدم العالم - فناء النار) ، فما قولك بمن يعتقد هذه الأشياء الآن ولا يقتنع برواية التوبة التي تتمسك بها ..؟؟

الجواب:

الأخ الكريم:
سأجيب باختصار على ما فهمته من الأسئلة على هذا النحو :
أولا: بالنسبة لاختلاف ألفاظ حديث الجارية فمبني على اتحاد الحادثة ، وبالتالي عدم التعويل على أين الله من باب ما طرقه الاحتمال سقط به الاستدلال ، أقول هذه طريقة الإمام البيهقي وآخرون ، وقد سبق وأشرت إلى كلام للإمام أحمد كما رواه الخلال عنه قال فيه ليس كل أحد يقول إنها مؤمنة ، وهذه الطريقة مرجعها إلى اختلاف الألفاظ ودخول الاحتمال كما ترى حتى على القول بتعدد الحادثة ، وهي وجيهة ، ومن قال بتعدد الحادثة يلزمه قول أحمد المؤسس على نفي الإيمان أو نفيه في الحال ، أو يصير إلى التاويل بحمل كلام الجارية على محمل يخرجه عن الحلول والجهة ..

وأما الكلام على معاوية بن الحكم باعتباره أعرابيا فطريقة لا تعجبني ، ويلزم عليها اطراح أحاديث الأعراب أو الشك فيها مع أن العبرة بصحة النقل والوثاقة وفهم اللغة وهذا حاصل ..

وأما رواية الخط فقد قدح فيها أبو الوليد بن رشد الجد الفقيه المالكي في رسالة له طبعت باسم (الرد على من ذهب إلى تصحيح علم الغيب من جهة الخط لما روي في ذلك من أحاديث ووجه تاويلها)
وقال في هذه الرسالة طبع دار ابن حزم ص42 :

((وأما ما ذكرت أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخط فلا يصح عنه من طريق صحيح ، وإن صح فلا بد من تأويل على ما يطابق القرآن ولا يخرج عما انعقد عليه بين أهل السنة الإجماع ، فنقول إن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: فمن وافق خطه علم ، الإنكار لا الإخبار)) اهـ .
كما يفهم القدح أيضا من إطلاق ابن العربي في أحكام القرآن عدم صحة شيء في الخط 696/4 وقد تعقبه القرطبي في التفسير 179/16 بتصحيح حديث معاوية بن الحكم .. لكن الشذوذ لا ينافي صحة السند.

وأما هل وردت آثار تؤيد حديث معاوية هذا فنعم جاء هذا عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى (أو أثارة من علم) وروي أيضا عن أبي هريرة ، وفي الرسالة السالفة لابن رشد بيان لذلك ، وراجع فتح الباري 576/8 وغيره ..

ونعته بالجهل اعتذار عنه وبيان لوجه صدور ما صدر منه لعدم مؤاخذته لا استصغارا واحتقارا ، وهذا معقول في حديث عهد بالإسلام ..

ثانيا: وأما كيف أفسر عبارة (الذي في السماء) الذي في قصة الماشطة فهذا ظاهره أن الله حال في السماء التي تعرفها الماشطة !!! وهذا إما لقرب عهدها بالإيمان فتعذر للجهل ، وإما عنت الذي في السماء سلطانه وقهره ونحو ذلك مما قاله الأئمة في مناسبات كثيرة ، على أن هذه القصة لا يصح سندها لأن راويها هو عطاء بن السائب وقد اختلط فسقطت روايته ،

وحماد بن سلمة الراوي عنه اختلف العلماء في روايته عن عطاء هل هي قبل أو بعد الاختلاط ، فلا تقوم به حجة على هذا ، وقد أشار الهيثمي إلى هذا في مجمع الزوائد ..

وأما رواية (رَبّنَا الله الّذِي في السّماء تَقَدّسَ اسْمُكَ) فهذه فيها جار وجرور هما (في السماء) فيجوز أن يكون الجار والمجرور متعلقين بما قبلهما يعني (الله الذي في السماء) ويجوز أن يكونا متعلقين بما بعدهما أي (في السماء تقدس اسمك) وعلى هذا الوجه فلا دلالة فيه لأن الذي في السماء إنما هو تقديس الاسم من الملائكة .. وسيأتي أن هذا الوجه تؤيده رواية صريحة سيأتيك ذكرها ..

وقد كنت من مدة طويلة كتبت تعليقا على هذا الحديث في هامش كتاب السيف الصقيل ص 140 طبعة مكتبة زهران استدركت به على العلامة الكوثري وهذا هو أثبته بنصه : ((لهذا الخبر ثلاث طرق هذه إحداها ، وهي كما ترى [أعني التي أشار إليها الكوثري وفي سندها زيادة بن محمد منكر الحديث] ، والثانية عن أبي بكر بن أبي مريم وهو ضعيف عن أشياخه وهم مجاهيل ، والثالثة من طريق طلق بن حبيب عن أبيه ، ورواها شعبة فقال : عن طلق عن رجل من أهل الشام عن أبيه أن رجلا .. وصححها الحافظ عبدان !! عن [الرواية] السابقة ، لكن لفظها : (ربنا الله الذي تقدس في السماء اسمه) فبين أن الجملة متعلقة بتقدس اسمه وهي معينة لأحد الاحتمالين ، وعليها لا حجة .. لابن القيم ، والطرق كلها ضعيفة)) اهـ وهو واضح .

وأما حديث الراحمون فهو مشهور لكنه ضعيف لذاته وإن حسنه الحفاظ لشواهده لأن راويه أبا قابوس مجهول ومع هذا فالقول فيه كالقول في قوله تعالى ءأمنتم من في السماء سواء بسواء ..

وأما حديث إِلاّ كَانَ الّذِي فِي السّمَاءِ سَاخِطاً عَلَيْهَا، فراجع صحيح مسلم تر الروايات مصرحة بأن الساخط واللاعن هم الملائكة ..

ثالثا: وأما كلام العز بن عبدالسلام فقد شرحه السيوطي ومقصوده بالتجسيم القول بالجهة الحسية لاسيما مع نفي اللوازم فهذا في إكفاره خلاف ، والأصح عند الأشاعرة عدم الإكفار بها والله أعلم ، وليس كذلك الحلول ، فمقصود العز أن الخلاف على الإكفار في الجهة والإجماع عليه في الحلول دليل على اختلاف المسألتين بسبب وضوح الكفر في الثاني ..

وأما ابن رشد فهذا هو الفيلسوف ولا ينبغي الالتفات إليه وقد كاد يقتل على الزندقة بفتاوى أشاعرة المغرب لولا السلاطين ، وكون الحديثي العهد في الإسلام ـ فضلا عن العوام من المسلمين ـ ينزهون الله عن كونه صنما وحجرا ونارا وعجلا وجسدا ـ وكلها أجسام ـ فأمر لا يحتاج إلى تدليل وفيه رد على هذا الفيلسوف ، وكل العوام عقيدتهم أحسن من عقيدة هذا الفيلسوف الخبيث الذي دافع عن كفريات الفلاسفة ورد على الغزالي ..

رابعا: ينبغي التنبيه إلى أن ابن تيمية لم يقل بقدم العالم بل قال بقدم النوع وبينهما فرق كبير ، وقدم النوع حكم قائله حكم المعتزلة الذين أثبتوا قادرا ولم يثبتوا قدرة فلم يكفرهم أهل السنة بسبب التناقض في كلامهم ، وأما حلول الحدوث في الذات وهي عقيدة الكرامية فتكفير قائلها واجب ، وأما فناء النار فهو جهمي ولا نكفره ، فبان أن المستحق للتكفير هو القائل بحلول الحوادث بالذات دون القول بالقدم النوعي أو فناء النار في الأصح إن شاء الله ، فمن قال من أتباعه بحلول الحوادث بالذات فهو كافر .. والله أعلم .

كلام العلامة محمد بن علي الشوكاني

في مشروعية التوسل

بسم الله الرحمن الرحيم

عَنِ عُثْمَانَ بنِ حُنيفٍ : "أنَّ رجلاً ضريرَ البصرِ أتى النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّم فقَالَ: ادعُ اللَّهَ أنْ يُعافيني، قَالَ إنْ شِئتَ دَعوتُ، وإنْ شِئتَ صبرتَ فهوَ خيرٌ لكَ، قَالَ فادعُهْ، قَالَ فأمرَهُ أنْ يتوضَّأ فيُحسنَ وُضُوءَهُ ويدعو بهَذَا الدُّعاءِ: اللَّهُمَّ إنِّي أسألكَ وأتوجَّهُ إليكَ بنبيِّكَ مُحَمَّد نبيِّ الرَّحمةِ إنِّي توجَّهتُ بكَ إِلى رَبِّي في حاجتي هذِهِ لتُقْضَى لي، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فيَّ" . حديث صحيح أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، وابن ماجه باب ما جاء في صلاة الحاجة ، والنسائي في عمل اليوم والليلة ، والحاكم في المستدرك وابن خزيمة في صحيحه ، والطبراني في الدعاء وغيرهم .

قال الشوكاني في تحفة الذاكرين : ((وفي الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى وأنه المعطي المانع ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن)) انتهى .

وقال فيها في شرح قول صاحب العمدة : (ويتوسل إلى الله بأنبيائه والصالحين) ما لفظه : ((ومن التوسل بالأنبيا ء ما أخرجه الترمذي من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن أعمى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث ثم قال: وأما التوسل بالصالحين فمنه ما ثبت في الصحيح أن الصحابة استسقوا بالعباس رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال عمر رضي الله عنه اللهم إنا نتوسل إليك بعم نبينا الخ)) انتهى .

وقال في رسالته (الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد): ((وأما التوسل إلى الله سبحانه بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام إنه لا

يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم إن صح الحديث فيه اهـ . ولعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي في سننه والترمذي وصححه وابن ماجه وغيرهم أن أعمى أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني أصبت في بصري فادع الله لي ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ((توضأ وصل ركعتين ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ، يا محمد إني أستشفع بك في رد بصري اللهم شفع النبي فيّ)) وقال : ((فإن كان لك حاجة فمثل ذلك)) فرد الله بصره.

وللناس في معنى هذا قولان :

أحدهما : أن التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال : كنا إذا أجدبنا نتوسل بنبينا إليك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا وهو في صحيح البخاري وغيره فقد ذكر عمر رضي الله عنه أنهم كانوا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته في الاستسقاء ، ثم توسل بعمه العباس بعد موته ، وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه ، فيكون هو وسيلتهم إلى الله تعالى ، والنبي صلى الله عليه وسلم كان في مثل هذا شافعاً وداعياً لهم .

والقول الثاني : أن التوسل به صلى الله عليه وسلم يكون في حياته وبعد موته وفي حضرته ومغيبه ، ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به صلى الله عليه وسلم في حياته وثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة إجماعاً سكوتياً لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في التوسل بالعباس رضي الله عنه ، وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين :

الأول ما عرفناك به من إجماع الصحابة رضي الله عنهم .
والثاني : أن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله ، فإذا قال القائل : (اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني) فهو باعتبار ما قام به من العلم ، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة ، فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركا كما يزعمه
المتشددون في هذا الباب كابن عبد السلام ومن قال بقوله من أتباعه لم تحصل الإجابة لهم ولا سكت النبي صلى الله عليه وسلم عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم ، وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى { ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى } ونحو قوله تعالى { فلا تدعوا مع الله أحداً } ونحو قوله تعالى { له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء } ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه ، فإن قولهم { ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى } مصرح بأنهم عبدوهم لذلك ، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يعبده بل علم أن له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك ، وكذلك قوله { ولا تدعوا مع الله أحداً } فإنه نهى عن أن يدعى مع الله غيره كأن يقول بالله وبفلان ، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله فإنما وقع منه التوسل عليه بعمل صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم وكذلك قوله { والذين يدعون من دونه } الآية فإن هؤلاء دعوا من لا

يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه ، وإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النـزاع خروجاً زائداً على ما ذكرناه كاستدلالهم بقوله تعالى { وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله } فإن هذه الآية الشريفة ليس فيها إلا أنه تعالى المنفرد بالأمر في يوم الدين وأنه ليس لغيره من الأمر شيء ، والمتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله في أمر يوم الدين ، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبياً أو غير نبي فهو في ضلال مبين ، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله { ليس لك من الأمر شيء } و قوله تعالى: { قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً } فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر الله شيء وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف يملك لغيره ، وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء أو الأولياء أو العلماء ، وقد جعل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه وقال له سل تعطه واشفع تشفع وقيل ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه ولا تكون إلا لمن ارتضى ، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى { وأنذر عشيرتك الأقربين } يا فلان بن فلان لا أملك لك من الله شيئاً ، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئاً ، فإن هذا ليس فيه إلا التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم لا يستطيع نفع

من أراد الله ضره ولا ضر من أراد الله تعالى نفعه ، وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلاً عن غيرهم شيئاً من الله ، وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنهي وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يدي طلبه ما يكون سبباً للإجابة ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين)) انتهى كلام الشوكاني .

عرف التفاحة في الجواب

عن قصة ابن رواحة

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال:

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه ، وبعد ..
فقد سألني بعض أهل العلم عن قصة عبدالله بن رواحة مع زوجه لما أنشدها شعرا يوهمها أنه من كلام الله !! هل تصح أم لا ؟؟ .

الجواب :

القصة المسؤول عنها رويناها في (سنن الدارقطني) :

أنبأني العلامة الأديب عبدالقادر البخاري عن عبدالقادر المجددي عن فضل الرحمن عن الشاه عبدالعزيز عن أبيه الشاه ولي الله عن أبي طاهر الكوراني عن أبيه البرهان عن النجم الغزي عن أبيه البدر عن أبي الفتح السكندري عن عائشة بنت محمد عن الحجار عن القطيعي عن الشهرزوري عن ابن المهتدي عن الحافظ الدراقطني في سننه (مع المغني 120/1) قال :
((حدثنا محمد بن مخلد نا العباس بن محمد الدوري ، وحدثنا إبراهيم بن دبيس بن أحمد الحداد نا محمد بن سليمان الواسطي قالا : نا أبو نعيم نا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة قال :
كان ابن رواحة مضطجعا إلى جنب امرأته ، فقام إلى جارية له

في ناحية الحجرة فوقع عليها ، وفزعت امرأته ، فلم تجده في مضجعه ، فقامت وخرجت ، فرأته على جاريته ، فرجعت إلى البيت ، فأخذت الشفرة ثم خرجت ، وفرغ فقام فلقيها تحمل الشفرة ، فقال مهيم ؟! فقالت : مهيم !! ، لو أدركتك حيث رأيتك لوجأت بين كتفيك بهذه الشفرة ، قال : وأين رأيتني ؟ قالت : رأيتك على الجارية ، فقال ما رأيتني ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب ، قالت : فاقرأ ، فقال :

أتانا رسول الله يتلوا كتابه = كما لاح مشهور من الفجر ساطع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا = به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه = إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

فقالت آمنت بالله وكذبت بصري ، ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فضحك حتى رأيت نواجذه صلى الله عليه وسلم)) اهـ .

وهذه القصة المسؤول عنها ينبغي النظر فيها متنا وسندا ..

أولا : (بحث سندها) :

وما وقفت عليه من طرقها ست فقط :

الأولى : (طريق عكرمة) :

عند الدارقطني في سننه ج1ص120 وقد رويناها من طريقه كما مضى ، وابن أبي الدنيا في الأشراف ص113 وغيرهما ، وفي السند إلى عكرمة : (زمعة بن صالح) و (سلمة بن وهرام) وهما ضعيفان ، وقد اختلف فيه على عكرمة فبعضهم يجعله موقوفا على عكرمة وبعضهم يجعله عن عكرمة عن ابن عباس ، فهذا الطريق ضعيف ، والأبيات المروية في هذا الطريق سبق ذكرها .

الثانية : (طريق نافع) :

عند ابن أبي الدنيا في الأشراف ص114 قال :
حدثنا وليد بن شجاع قال حدثني ابن وهب قال حدثني أسامة بن زيد الليثي أن نافعا حدثه قال : ((كانت لابن رواحة امرأة وكان يتقيها ، وكانت له جارية فوقع عليها ، فقالت له ـ وفرقت أن يكون قد فعل ـ فقال سبحان الله ، قالت : اقرأ علي إذن فإنك جنب فقال :

شهدت بإذن الله أن محمدا = رسول الذي فوق السماوات من عل
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما = له عمل في دينه متقبل)) اهـ .

أسامة بن زيد الليثي في الإسناد فيه ضعف خفيف ، والإسناد منقطع بين نافع وعبدالله بن رواحة ، والأبيات فيه رويت في قصة أخرى منسوبة لحسان بن ثابت !! ومع هذا هي مغايرة

للأبيات التي في الطريق الأولى !! وأخرجها ابن أبي شيبة في مصنفه 174/6 عن أبي أسامة عن نافع !! وأبو أسامة حماد بن زيد لم يدرك نافعا وهو مدلس وقد عنعن ، ومن طريق ابن أبي شيبة أخرجها الموفق المقدسي في العلو ص100 ، ونقل هذ الطريق الذهبي في سير أعلام النبلاء 238/1 ، فليس هذا الطريق أيضا بصحيح .

تنبيه:
في الاستيعاب والعلو للموفق وللذهبي أن زوجة ابن رواحة قالت بعد أن فرغ من الأبيات : ((صدق الله ..)) !! قالت هذا وهي تحسب أنه فرغ من التلاوة ، فلو صح هذا لكان شاهدا لختم التلاوة بصدق الله العظيم .

الثالثة : (طريق ابن الماجشون) :

رواها اليزيدي في أماليه ص102 قال :
حدثنا أبو حرب قال حدثني محمد بن عباد قال حدثني عبدالعزيز بن أخي الماجشون قال : ((بلغني أنه كانت لعبدالله بن رواحة جارية يستسرها عن أهله فقالت له امرأته : لقد رأيتك دخلت مع جاريتك وإنك الآن جنب منها، فجاحد ذلك، قالت فإن كنت صادقا فاتل علي القرآن فقال :

شهدت بأن وعد الله حق = وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف = وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد = ملائكة الإله مقربينا

قالت آمنت بالله وكذبت البصر !! فأتى ابن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الحديث فضحك صلى الله عليه وسلم ولم يغير عليه)) اهـ .

ومن طريق اليزيدي أخرجها الذهبي في السير 238/1 مع أخطاء في المطبوعة ففيها : (الزيدي) والصواب اليزيدي ، وفيها : محمد بن عياذ ، وهو (محمد بن عباد) وأخرجها الإمام تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية 139/1 من وجه آخر عن ابن الماجشون ، وأخرجها الحافظ ابن عساكر في تاريخه ، وابن الماجشون بينه وبين ابن رواحة وسائط فالسند ضعيف بالانقطاع .

الرابعة : (طريق يزيد بن الهاد) :

عند ابن ابي الدنيا في الأشراف ص113 قال :
حدثنا الوليد بن شجاع بن الوليد السكوني قال : حدثني عبدالله بن وهب عن عبدالرحمن بن سلمان عن ابن الهاد أن أمرأة ابن رواحة .. إلخ وابن الهاد وهو يزيد بن عبدالله الليثي من الطبقة الخامسة لم يدرك ابن رواحة فالسند منقطع ، والأبيات في هذا الطريق كالأبيات في الطريق الثالث ، مع أن الوليد بن شجاع وعبدالله بن وهب في هذا الطريق هم رواة الطريق الثاني طريق نافع والأبيات فيه مختلفة عن هذا الطريق هنا !! .

الخامسة : (طريق قدامة بن إبراهيم) :

وهي في كتاب (الرد على الجهمية) المنسوب لعثمان بن سعيد الدارمي ص46 قال :
حدثنا سعيد بن أبي مريم المصري أنبأ يحيى بن أيوب حدثني عمارة بن غزية عن قدامة بن إبراهيم بن محمد بن حاطب أنه حدثه أن عبدالله بن رواحة رضي الله عنه وقع بجارية له ... إلخ وهذا السند أيضا فيه انقطاع بين قدامة وعبدالله بن رواحة ، وفيه يحيى بن أيوب كثير الخطأ ، والأبيات في هذا الطريق كالأبيات في الطريق الثالثة .

السادسة : (طريق أبي هريرة رضي الله عنه) :

رواها الإمام البخاري في صحيحة في كتاب التهجد ، باب فضل من تعارَّ من الليل فصلى ، قال :
حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب أخبرني الهيثم بن أبي سنان أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه ـ وهو يقصص في قصصه ـ وهو يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أخا لكم لا يقول الرفث ، يعني عبدالله بن رواحة :
وفينا رسول الله يتلو كتابه = إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا = به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه = إذا استثقلت بالمشركين المضاجع)) اهـ .

قال الحافظ في الفتح 41/3 في شرح هذه الرواية :

((فائدة : وقعت لعبدالله بن رواحة في هذه الأبيات قصة أخرجها الدارقطني من طريق سلمة بن وهرام عن عكرمة قال كان عبدالله بن رواحة مضطجعا إلى جنب امرأته ، فقام إلى جاريته فذكر القصة في رؤيتها إياه على الجارية وجحده ذلك والتماسها منه القراءة لأن الجنب لا يقرأ ، فقال هذه الأبيات ، فقالت : آمنت بالله وكذبت بصري ، فأعلم النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه)) اهـ .

فالحافظ ابن حجر رحمه الله يرى أن هذه الرواية هنا في الصحيح مرتبطة بالقصة التي رواها الدارقطني بدليل أن الأبيات هي هي سوى اختلاف يسير ..

التفصيل:

لا بد أن نفرق أولا بين القصة وبين الأبيات الشعرية الواردة فيها ، أما القصة فإن الطرق الخمسة الضعيفة تكاد تتفق على أحداثها إلا في قليل منها ، فهل تصلح هذه الطرق لأن يشد بعضها بعضا فترتقي إلى الحسن لغيره أم لا ؟؟؟ هذا متوقف على وجود تعدد يُطمأن إليه ، قال الحافظ السخاوي في فتح المغيث عند كلامه على مبحث الحسن 72/1 :
((.. وحيث ثبت اختلاف صنيع الأئمة في إطلاقه فلا يسوغ إطلاق القول بالاحتجاج به ، بل لابد من النظر في ذلك ، فما كان منه منطبقا على الحسن لذاته فهو حجة ، أو الحسن لغيره فيفصل بين ما تكثر طرقه فيحتج وما لا فلا)) اهـ كلام السخاوي .

فإذا كان كل طريق من طرق هذه القصة لا يرتقي إلى الحسن لذاته بل غاية ما يصل إليه هو الحسن لغيره فهل يمكننا عد هذه الطرق المتعاضدة كثيرة بحيث يحتج بها أم لا ؟؟ مسألة بحث ونظر ، والذي أميل إليه أن الحكم البات في المسألة ينبغي أن يؤخر إلى بحث مضمون المتن ومدى موافقته لقواعد الشريعة ، فالمتن والإسناد مرتبطان لا ينفصلان .
ما تقدم كان متعلقا بالقصة دون الأبيات الشعرية ، أما الأبيات الشعرية فالضعف فيها أشد والاضطراب فيها أكبر ، فإنك إذا نظرت إلى الطرق المذكورة وجدت الأبيات قد قيلت على ثلاثة أوجه متغايرة بحرا ورويا ومعنى !!! فالأبيات في الطريق الأول من بحر (الطويل) ورويها على حرف (العين) ، والأبيات في الطريق الثاني من بحر (الطويل) ورويها على حرف (اللام) ، والأبيات في الطريق الثالث والرابع والخامس من بحر (الوافر) ورويها على حرف (النون) !!! والمعاني مختلفة في الصور الثلاث !! وهذا اضطراب عجيب لا يمكن الاطمئنان معه إلى صحة هذه الأبيات .
فإن قيل : ألا يعضد الطرق الثالث والرابع والخامس بعضها بعضا من جهة اتحاد الأبيات فيها ؟؟ فالجواب : إن الطريق السادس صحيح لذاته وهو شاهد للطريق الأول !! فإن لم نرجح هذا الطريق لصحته لذاته واعتبرنا الطرق الأخرى وجب الاضطراب .

لكن لا يفوتني هنا أن أشير إلى بعض ما وجدته من أحكام على هذه القصة :

أولا ـ الحافظ ابن عبد البر قال في الاستيعاب عن هذه القصة : ((روينا من وجوه صحاح ..)) !! ومعنى قوله هذا أنه يصحح كل طريق من طرق هذه القصة !! فهذا إما تجوز منه وتوسع وإنما أراد أنها واردة من طرق متعددة يشد بعضها بعضا ، وإما خطأ منه لما مر من أنه لا يصح لهذه القصة طريق بمفرده .

ثانيا ـ وهناك احتمال ثالث رأيته للعلامة محمد زاهد الكوثري ، قال في تكملة النونية ما نصه ص143 :
((وهذه قصة تذكر في كتب المحاضرات والمسامرات دون كتب الحديث المعتمدة ، ولم ترد في كتب أهل الحديث بسند متصل ولو من وجه واحد وأما ما وقع في الاستيعاب من قول ابن عبدالبر : رويناه من وجوه صحاح ، فسهو واضح من الناسخ ، وأصل الكلام : من وجوه غير صحاح ، فسقط لفظ (غير) فتتابعت النسخ على السهو إذ لم يجد أهل الاستقصاء سندا واحدا يحتج بمثله في هذه القصة بل كل ما عندهم في هذا الصدد أخبار منقطعة ، وما يكون في عهد ابن عبدالبر مرويا بطرق صحيحة كيف لا يكون مرويا عند من بعده ولو بطريق واحد صحيح ؟! وهذا يعين ما قلنا من سقوط لفظ (غير) في الكتاب ، ولم يتمكن الذهبي بعد بذل جهده من ذكر سند واحد غير منقطع في القصة ..)) اهـ .
وهذا الاحتمال الذي ذكره الأستاذ الكوثري وارد ومعقول .

ثالثا ـ ورأيت الحافظ التاج السبكي قال في طبقات الشافعية 139/1 :

((قلت : ولم يخرج هذا الأثر في شيء من الكتب الستة)) ثم قال : ((واعلم أن الأثر عن عبدالله بن رواحة روي على وجه آخر وبشعر آخر فرواه الدارقطني من حديث زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة قال كان عبدالله بن رواحة ... كذا رواه الدراقطني مرسلا ورواه من وجه عن زمعة عن عكرمة عن ابن عباس متصلا ، وزمعة وشيخه سلمة بن وهرام متكلم فيهما)) اهـ كلام الإمام السبكي وهو صحيح ، وهو يشير إلى ضعف هذا الطريق ، لكنه لم يستوف ذكر الطرق فيكون كلامه منصبا على طريق الدارقطني فقط وهو طريق عكرمة .

رابعا ـ والمفهوم من صنيع الألباني في مختصر العلو أنه لا يصحح هذه القصة لأنه حذفها من المختصر وهي موجودة في الأصل للذهبي ، وهو لا يفعل ذلك إلا إذا رأى عدم صحتها ، لكن لا أدري ما سبب التضعيف عنده ؟ أهو راجع إلى المتن أم السند ؟؟ أم غليهما معا ؟؟ .

خامسا ـ ورأيت محقق كتاب العلو للمقدسي طبعة الدار (السلفية) ص99 بعد أن ذكر طريقين فقط ، وهما طريق الماجشون وقدامة قال : ((والطريقان لا يقوي أحدهما الآخر لشدة ضعفهما ..)) اهـ والمفهوم من كلامه أنه لم يقف على باقي الطرق !! ورأيته قال في تعليقه على (الرد على الجهمية) ص47 بعد أن ذكر الطريقين : ((فطرقه ضعيفة ضعفا لا يقوي بعضها بعضا ..)) اهـ فالظاهر أنه لم يتتبع الطرق كلها ، كما يفهم من كلامه أن الضعف الكائن في هذين الطريقين ضعف شديد وبالتالي لا ينجبر !! وهذا خلاف الواقع فليس في

هذه الأسانيد من هو في حد المتروك ، فإن قصد الوسائط المجهولة فهذا أيضا غير سديد لأنه مبني على كون المجهول متروك !! وهذا مردود لأن الجهالة لا سيما في المتقدمين من كبار التابعين في حد المقبول ، قال الحافظ الذهبي في ختام كتاب الضعفاء :
((وأما المجهولون من الرواة فإن كان الرجل من كبار التابعين أو أواسطهم احتمل حديثه ، وتلقي بحسن الظن إذا سلم من مخالفة الأصول ومن ركاكة الألفاظ .. وإن كان الرجل منهم من صغار التابعين فسائغ رواية خبره ، ويختلف ذلك باختلاف جلالة الراوي عنه وتحريه وعدم ذلك ، وإن كان المجهول من أتباع التابعين فمن بعدهم فهو أضعف لخبره سيما إذا انفرد به ..)) اهـ .

وناهيك بمن يروي عنه عكرمة ونافع ويزيد ابن الهاد وأشباههم ، فرد هذا الخبر ـ عند من رده لا يسوغ أن يكون لعلة الترك أي ليس لكونه ضعيفا ضعفا لا ينجبر ـ كما قيل ـ بل لقرائن مجتمعة ، تفهم مما ذكرناه .

فهذه الأحكام منصبة على طرق هذه الرواية ، وسيأتي ما يتعلق بالمتن .

ثانيا : (بحث متن القصة) :

قد تقدم ما يتعلق بالإسناد ، ورأينا أنه لا يصح سند واحد لهذه القصة ، وغاية ما يقال أن الأحداث المشتركة في الطرق الست لهذه القصة يشهد بعضها لبعض فيرتقي الإسناد إلى الحسن

لغيره ، فلو قال قائل هذا لم يكن قوله عندي ببعيد ، ولكن هناك إشكالات وردت على المتن لا بد من التعرض لها ، فإن عجزنا عن الجواب لم يكن بد من نكارة القصة أو شذوذها :

(الاعتراض الأول) :

هذه القصة فيها ـ من جهة الظاهر ـ ما يضع من قدر صحابي رفيع المقام ، وذلك أن عبدالله بن رواحة من أجلاء الصحابة ، ومن كبارهم ممن جاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم وقاد المسلمين في مؤتة حتى استشهد ، ومثله لا يليق صدور ذلك منه بحال ، إذ كيف يتصور أن مثله يوهم زوجه بأن شعره من كلام الله تعالى ؟؟!! ، رأيت هذا الاستشكال لفضيلة العلامة محمد زاهد بن الحسن الكوثري إذ قال في تكلمة النونية ص143 :
((وأفعال الصحابة كلها جد ، وجل مقدار مثل هذا الصحابي عن أن يوهم صحابية أنه يتلو القرآن بإنشاده الشعر لها ..)) اهـ .
كما رأيته لمحقق العلو للمقدسي ـ طبعة الدار السلفية ـ قال : ((ومتن القصة منكر ، إذ كيف يوهم هذا الصحابي الجليل زوجه بأنه قد قرأ عليها قرآنا ؟ فكان عليه أن يجيبها بشيء آخر ، والله أعلم)) اهـ .
ونقل هذا المحقق عن المعلق على العلو طبعة المنار قوله : ((لا شك عندي في أن هذه المسألة موضوعة ، فإن صحابيا جليلا لا يكذب عمدا ، ويلبس القرآن)) اهـ .

الجواب :
يمكن أن يجاب بأنه رضي الله عنه لم يسبق له توجيه من النبي صلى الله عليه وسلم بخصوص هذا الخطأ الذي وقع له ، وإنما يلزم يقبح هذا لو كان النبي قد حذرهم من هذا ونهاهم من قبل ، ولا دليل على هذا ، بل لابد من وقوعهم في الخطأ ليعلمهم النبي الصواب كما حصل في رفع الصوت بحضرته وقصة مهاجر أم قيس وقصة قتل أسامة لمن شهد أن لا إله إلا الله وهكذا ، وقد يجوز أن عبدالله بن رواحة لما علم بإباحة الكذب على الزوج بنية الصلح ظن هذا الجواز على إطلاقه بحيث يتناول مثل هذا الصنيع منه ، ويجاب أيضا بأنه قد يجوز أن يكون أدرك أنه ارتكب محرما ـ وهو غير معصوم قطعا ـ ولهذا أخبر النبي من خوفه ووجله فطمأنه النبي بمغفرة زلته لحسن مقصده .

(الاعتراض الثاني) :

كيف يرتكب هذا الخداع والتدليس ليفر من الاعتراف بشيء حلال مباح ؟؟!! .

والجواب :
أن الكذب على الزوجة من أجل الإصلاح لا يدخل في الوعيد على الكذب المذموم ، وقدمنا أنه قد يكون معذورا لعدم علمه ، ولهذا ذهب إلى النبي وأخبره بما كان منه .

(الاعتراض الثالث) :

كيف يتصور أن امرأة عربية من ذلك الجيل لا تفرق بين الشعر والقرآن ؟؟!!.

الجواب :
هذا الإشكال لم أجد جوابا مقنعا عليه ، ولن يخلو الجواب عليه من تكلف وتعسف ، إذ يبعد كل البعد أن يشتبه القرآن على امرأة عربية زوج لشاعر كبير ، والاعتذار بأنها لا تحفظ القرآن لا يصلح ، ومثل هذا الإشكال يصعب دفعه عندي ، ولو تصورنا أن المجتمع العربي ذلك الوقت كان غير قادر على التفريق بين الشعر والقرآن كهذه المرأة لكان ذلك من أعظم حجج أهل الإلحاد والزندقة ، وهذا ما قام الإجماع والأدلة والبراهين على بطلانه .

(الاعتراض الرابع) :

كيف يعقل أن الله تعالى يقول مثل هذه العبارات : (أتانا رسول الله) !! (كتابه) !! (فقلوبنا به موقنات) !! أفيجوز في عقل عاقل من هذا الجيل أن يكون الله هو قائل هذا ؟؟!! اللهم لا ، فكيف يجوز ذلك في فهم امرأة عربية فصيحة من جيل فجر الإسلام ، وزوج صحابي جليل شاعر من فصحاء العرب ؟؟!! .

الجواب :
أقول : هذا الإشكال أيضا كسابقه يصعب دفعه ، لأن الأبيات

في كل صورها تحمل ألفاظا لا يتصور العربي الفصيح صدورها من الله ، لأن الله لا يجوز أن يقول تلك الألفاظ ، فكيف جوزت زوج ابن رواحة أن يكون هذا من كلام الله ؟؟!! ولو جاز اشتباه ذلك على امرأة عربية من ذلك الجيل لجر هذا لنتائج خطيرة ، ولعل هذا مما لا يشتبه على نساء هذا الجيل فكيف بذاك ؟؟!! ولم أجد ما أدفع به هذا الإشكال أيضا ، ويصعب أن نتصور القصة دون الأبيات الشعرية فيها .

(الاعتراض الخامس) :

إن عبدالله بن رواحة قد قال لها : ما رأيتني !! وهذا كذب لأنها رأته .

الجواب :
هذا يمكن دفعه بما تقدم من أن عبدالله بن رواحة لم يكن يعلم حكم هذا الفعل فمشى على البراءة الأصلية ، أو لعله كان يعلم أن الكذب من أجل الإصلاح سائغ ، أو لعله عنى ما رأيتني من رآه إذا ضربه على رئته لا من الرؤية البصرية تورية ، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب .

(الاعتراض السادس) :

ثم هي تقول : آمنت بالله وكذبت بصري !! فكيف سكت عنها وقد صدقت أن شعره هو كلام الله !! أم كيف كذبت ما رأته بعينها وهو يقين !! وما نعلم أن مذهبا كذب البصر إلا السوفسطائية الذين لا يدرون إذا نظروا إلى أحدهم أحمار هو أم

إنسان أم جماد !!! .

الجواب :

يمكن الجواب بأن سكوته لعله لأنه لم يعرف الحكم كما قدمنا فظن أن مثل هذه الحيلة جائزة ثم علم عدم جوازها من النبي ، أو لعله فرع على جواز الكذب بنية الإصلاح جواز السكوت أيضا على اعتقاد الخطأ ، أما تكذيبها البصر فيمكن حمله على أنها ظنته إياه ولم تتحققه جيدا ، والظن الغالب قد يندفع بمثله أو بما هو أقوى منه فلا تكون رؤيتها رؤية تحقق وإدراك تام ، لا سيما إذا كان ذلك بالليل ، فلا يكون تكذيبها لرؤيتها ورجوعها عن شيء هو متيقن عندها ، بل لما هو مظنون فقط لورود ما هو أقوى منه عندها .

(الاعتراض السادس) :

كيف يضحك النبي صلى الله عليه وسلم ـ ورضاه إقرار !! ـ من هذا الفعل !! وهو القائل صلوات الله وسلامه عليه : ((من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)) !! هذا فيمن كذب عليه هو صلى الله عليه وسلم ، فكيف بمن كذب على الله ؟؟!! والله تعالى يقول في ذم الكفار : ((ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون))

ويقول تعالى : ((ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب ..)) .. وتلخيص هذا الاعتراض في كلام الأستاذ الكوثري في التكملة حيث قال :

((وإيهام كون الشعر من القرآن ليس مما يقر عليه النبي صلى الله عليه وسلم فمتن الخبر نفسه يدل على البطلان ..)) اهـ .

الجواب :
هذا الضحك لا يدل على الإقرار بل على استظراف هذه الحيلة الدالة على الذكاء فقط ، ولهذا ذكرها ابن الجوزي في كتاب الأذكياء ، فقد يجتمع الضحك والاستنكار معا ، كما ضحك النبي من اليهودي في خبر الأصابع ، وكما ضحك النبي من الذي أتى امرأته في نهار رمضان وكما ضحك من اعتقاد عائشة لحصان له جناحان ونحو ذلك ، وليس في القصة أن النبي أقره على هذا بل في طريق اليزيدي ـ مثل سير النبلاء ـ أن النبي لم (يغير عليه) كذا بالياء المثاة تحت ، ولعله (لم يغبر عليه) من الاغبرار وهو تغير اللون ، أي لم يشدد ، ومعناه أنه أنكر عليه هذا وعلمه عدم جوازه غير معنف له ولا ساخط عليه ، لأنه كان حسن النية ، والجاهل يتلطف به ويعلم ، وما كان الرفق في شيء إلا زانه .

(الاعتراض السابع) :

ورود لفظ (فوق العرش) !! .

الجواب :
الأبيات الواردة في القصة مضطربة فهي لم تتفق على هذا اللفظ كما مر ، وعلى فرض صحة ورود هذا اللفظ فلا إشكال أيضا في استعماله لأن الإشكال إنما هو في حمله على ظاهره

المحسوس لنا ، وليس هذا مما يحمل على ظاهره عند أهل السنة والجماعة ، بل يفوض علمه إلى الله ، أو يؤول تأويلا صحيحا ، ومن ألطف تأويلاته ما نقله الإمام تاج الدين السبكي في الطبقات 139/1 عن الإمام الرافعي الفقيه الكبير واستحسنه فقال :
((ما أحسن قول الإمام الرافعي في كتاب الأمالي وقد أورد هذه الأبيات : هذه الفوقية فوقية العظمة والاستغناء ، في مقابلة صفة الموسومين بصفة العجز والفناء)) اهـ .

الخلاصة :

تبين من خلال ما تقدم أن طرق القصة قد يقال فيها بأنها ترتقي إلى الحسن لغيره ، أو على الأقل ترقى عن الإنكار بذلك التعدد ، ولكن تبقى متقاصرة عن درجة الحجة لا سيما مع ورود الإشكالات على المتن ، ولا يخلو الجواب عن بعضها من تكلف ، وفي الجملة أميل إلى أن هذه القصة قد حصلت على نحو ما ليس بالضرورة أن يتطابق كل التطابق مع سياق هذه المقاطيع هنا ، لكني لا أستطيع أن أقول بأنها صالحة للاحتجاج في شيء من أبواب العقد والحلال والحرام ، هذا والله أعلم ، وصلى والله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

التَّحْذِيْرَات

مِنْ كِتَاب

"إبْطَالِ التَّأوِيْلَات"

تأليف

الأخ الأزهري

عفا الله عنه

مشرف روض الرياحين

1422هـ - 2001م

(انظركيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا) 50/ النساء .

==========

(ما قدروا الله حق قدره ، إن الله لقوي عزيز) 74/ الحج .

==========

(فلا تضربوا لله الأمثال ، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون)

74 / النحل .

==========

(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

11/ الشورى .

==========

(سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين)

الصافات / 180 - 182 .

[المقدمة]

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وصفوة الخلق أجمعين ، سيدنا محمد وعلى آله الطيبين ، وأصحابه المجاهدين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد ..

فقد زرت ذات يوم إحدى المكتبات المعروفة ببلدنا الخليجية ، والتي تحرص على استحضار كل جديد وهام من كتب أهل

الحديث والأثر أعلى الله منارهم وثبت بحوله أركانهم ، فبينما كنت أُطَوِّف النظر في نفائسها ، وأقلب البصر في طرائفها ، إذ أفزعني عنوان كتاب لطالما سمعنا بذمه وقرأنا عن فضائحه في بطون الكتب دون أن نراه ، حتى كنا نشك في صحة ما ينقل عنه من أقوال فاسدة ، وعقائد كاسدة ، ونقول : لا وجود لكتاب كهذا ، وهو كتاب ((**إبطال التأويلات لأخبار الصفات**)) تأليف القاضي أبي يعلى (1) محمد ابن الحسين بن الفراء الحنبلي المتوفى سنة (458هـ) ، حتى رأيناه الآن ، فقرأته لأزداد يقينا بصدق ما قاله أهل العلم عنه ؟؟ ولما علم بأمر هذا الكتاب بعض الفضلاء ممن عندهم محبة لمنهج السلف وغيرة عليه ، طلب مني أن أكتب كلمات كاشفات لما فيه من مسائل التجسيم والتشبيه ، على سبيل الاختصار ، ليعرضها على من له يد في نشره من باب المناصحة في الدين ، ولما كان الفاضل المذكور غير متهم عند الناشر أيضا ، ولا بظنين لديهم ، رأيت إسعافه بذلك فرض عين عَلَيّ ، عساه يفلح في كفهم عن نشره ، وإقناعهم بعدم خيره بل بكثرة شره ، وقبل أن يفتتن بما فيه بعض الجهال (2) ممن ضعفت مناعتهم عن مقاومة مسائل التشبيه ، وقبل أن يهجم البعض عليه بالترجمة إلى اللغات الأجنبية (3) فيصل إلى أسواق الغرب فيكون سبة وفضيحة للإسلام ما بعدها فضيحة ، وسميت هذا المختصر بـ(**التحذيرات من كتاب إبطال التأويلات**) ، والله الموفق .

[الكتاب وتاريخه]

صنف أبو يعلى كتابه هذا في أوائل القرن الخامس الهجري في بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية ، لكن الكتاب ما شاع وذاع خبره إلا سنة (429هـ) لما ضج علماء بغداد لظهور هذا الكتاب ولافتتان بعض الجهال بما فيه ، وقد سجل **الإمام المؤرخ ابن الأثير** في كتابه الشهير (الكامل في التاريخ) 16/8 هذه الواقعة في أحداث سنة (429هـ) فقال :

((**وفيها أنكر العلماء على أبي يعلى بن الفراء الحنبلي ما ضمنه كتابه من صفات الله سبحانه وتعالى المشعرة بأنه يعتقد التجسيم ، وحضر أبو الحسن القزويني الزاهد بجامع المنصور ، وتكلم في ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا**)) اهـ .

ولا شك أن هذه الحادثة ما كانت إلا بسبب انتشار كتاب أبي يعلى المسمى بـ(إبطال التأويلات) ، واغترار بعض الجهال بما فيه ، واطلع العلماء عليه فضجوا واستنكروا ، وصارت فتنة اقتضت تدخل الخليفة القائم بأمر الله العباسي لتسكينها بمساعدة أبي الحسن القزويني الزاهد الشافعي (1) المقبول من جميع الطوائف ، وقد أخرج القائم بأمر الله عقيدة والده الخليفة القادر بالله وهي عقيدة طيبة مختصرة نافعة ساقها ابن الجوزي في (المنتظم) بطولها ، ووَقَّعَ عليها العلماء وسكنت الفتنة .

ويجمل بنا هنا أن نسوق الحادثة أيضا من (طبقات الحنابلة) **لأبي الحسين بن أبي يعلى** وهو يتحدث عن أبيه مؤلف (إبطال التأويلات) ، قال 197/2 :

((وقد كان حضر الوالد السعيد قدس الله روحه في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة في دار الخلافة في أيام القائم بأمر الله رضوان الله عليه مع الجم الغفير والعدد الكثير من أهل العلم وكان صحبته الشيخ الزاهد أبو الحسن القزويني ، لفساد قول جرى من المخالفين لما شاع من قراءة كتاب (إبطال التأويلات) فخرج إلى الوالد السعيد من الإمام القائم بأمر الله رضوان الله عليهم : الاعتقادُ القادري في ذلك بما يعتقد الوالد السعيد ، وكان قبل ذلك قد التمس منه حمل كتاب (إبطال التأويلات) ليتأمل فأعيد إلى الوالد ، وشكر له تصانيفه ..)) اهـ كلام ولده ، وفيه تلطف معذور .

أما **الذهبي** فقد ذكر الحادثة في (سير أعلام النبلاء) 90/18 في ترجمة أبي يعلى فقال :

((وجمع كتاب (إبطال تأويل الصفات) فقاموا عليه لما فيه من الواهي والموضوع ، فخرج إلى العلماء من القادر بالله المعتقد الذي جمعه ، وحُمِل إلى القادر كتاب (إبطال التأويل) فأعجبه ، وجرت أمور وفتن نسأل الله العافية ، ثم أصلح بين الفريقين الوزير علي بن المسلمة ..)) اهـ (1) .

والحاصل أن الخليفة ألزم أبا يعلى بالتوقيع على العقيدة القادرية المعترف بها بأسلوب لطيف يليق بعالم مثله في وظيفة القضاء ، وشاركه في ذلك جمع من العلماء الشافعية لئلا يستنكف عن التوقيع ، لكن توقيعه هذا لا يعني أكثر من كفه عن قراءة كتابه

علانية بين عامة الناس ، أما هل رجع في باطن الأمر عن كتابه هذا أم لا ؟ مسألة بحث ونظر ، وباب حسن الظن واسع (2) لكن الكتاب بقي متداولا في بغداد بين بعض الحشوية من أصحاب أبي يعلى ، ووقف عليه غير واحد من العلماء الكبار من أهل مذهبه ومن غيرهم ، وبسبب عدم ظهور رجوع صريح لأبي يعلى عن هذا الكتاب فقد تباينت واختلفت مواقف العلماء من أبي يعلى ، خاصة وهم يرون استدلال بعض الحشوية بهذا الكتاب ، وبعض أهل مذهبه صار أشد حنقا عليه من غيرهم ، غيرة منهم على مذهبهم أن يعيبه الناس بسبب أبي يعلى وكتابه المقيت .

قال **ابن الأثير** في (الكامل في التاريخ) في أحداث سنة (459هـ) حيث كانت وفاة أبي يعلى :

((وفي شهر رمضان منها توفي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي ، ومولده سنة ثمانين وثلاثمائة ، وعنه انتشر مذهب أحمد رضي الله عنه ، وكان إليه قضاء الحريم ببغداد بدار الخلافة ، وهو مصنف كتاب الصفات أتى فيه بكل عجيبة ، وترتيب أبوابه يدل على التجسيم المحض ، تعالى الله عن ذلك ..)) اهـ .

وقد قال فيه معاصره **أبو محمد رزق الله الحنبلي** (1) شيخ الحنابلة ورئيسهم في بغداد ، ما لفظه : ((**لقد شان المذهب شينا قبيحا لا يغسل إلى يوم القيامة**)) اهـ كما في (دفع شبه التشبيه) لابن الجوزي ص10 ، والعبارة عند سبط ابن

الجوزي في (مرآة الزمان) بلفظ أقبح : ((**لقد بال أبو يعلى على الحنابلة بولة لا يغسلها ماء البحر**)) اهـ نقلا من (السيف الصقيل) ص148 ، وهي عند ابن الأثير في (الكامل) 104/8 أشنع لفظا : ((**لقد خرى أبو يعلى على الحنابلة خرية لا يغسلها الماء**)) اهـ ، كل هذا بسبب الكتاب المذكور .

وقد بقي هذا الكتاب مثار فتن ، وحجة تستغل للتشنيع على الحنابلة ، كما حدث في سنة (475هـ) ، قال ابن الأثير في الكامل في أحداث هذه السنة :

((وَرَدَ إلى بغداد هذه السنة الشريف أبو القاسم البكري المغربي الواعظ (2) وكان أشعري المذهب ، وكان قد قصد نظام الملك فأحبه ومال إليه وسيره إلى بغداد وأجرى عليه الجراية الوافرة ، فوعظ بالمدرسة النظامية وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم ويقول : (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ، والله ما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا) ثم إنه قصد يوما دار قاضي القضاة أبي عبدالله الدامغاني بنهر القلائين فجرى بين بعض أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدت إلى الفتنة وكثر جمعه فكبس دُور بني الفراء وأخذ كتبهم ، وأخذ منها كتاب الصفات لأبي يعلى ، فكان يُقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسي للوعظ فيشنع به عليهم ، وجرى له معهم خصومات وفتن ولُقِّبَ البكريُّ من الديوان بعَلَم السُّنَّة ، ومات ببغداد ودفن عند قبر أبي الحسن الأشعري)) اهـ .

فترى أن هذا الواعظ قد جعل ما في هذا الكتاب حجة له فيما ذهب إليه من الطعن والتشنيع ، وأن الحنابلة قد فتحوا على أنفسهم بابا يُتوسل من خلاله للطعن عليهم ، وقد كانوا في غنى عن مثل هذا ، مما يدل دلالة واضحة على أن هذا الكتاب كان له أثر كبير في إثارة الفتن وتأجيجها ، حتى جاوز خبرها بلاد المشرق إلى بلاد المغرب .

قال **الإمام الحافظ أبوبكر بن العربي المالكي الأندلسي** في كتابه الشهير (1) (العواصم من القواصم) ص209 :

((.. **وأخبرني من أثق به من مشيختي أن أبا يعلى محمد بن الحسين الفراء رئيس الحنابلة ببغداد كان يقول إذا ذكر الله تعالى وما ورد من هذه الظواهر في صفاته يقول : ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه إلا اللحية والعورة !! ..**)) اهـ (2) .

وهذا القول لا يخلو من حاصل ، وسترى أن كتاب (إبطال التأويلات) فيه ما يُصَدق هذا القول ويشهد له .

ثم جاء دور **الإمام الشهير الحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي الحنبلي** ليذب عن مذهبه ويبرأ إمامه من أكاذيب الدجالين ، ويصنف في الأخبار الموضوعة ويحذر الناس منها بهمة عالية لم تُعهد ، وشن حربا شعواء على كتاب (**إبطال التأويلات**) ورفع عن الحنابلة عارا وشنارا دام دهرا ، فاستطاع أن يمحوه محوا بحيث يحق للحنابلة أن يفتخروا بمثله ، فصنف كتابه الجليل (**دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه**) الذي

صار مسمارا في حلوق المجسمة ، ولا يُعرف في الحنابلة أشد وأصلب منه في مواجهة هذه البدعة ، وكتابه كله في الرد على فضائح أبي يعلى ومن شابهه من شيوخه أو تلاميذه فنكتفي بما يفي ، قال رحمه الله تعالى :

((ورأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح ، وانتدب للتصنيف ثلاثة : أبو عبدالله بن حامد ، وصاحبه القاضي أبو يعلى ، وابن الزاغوني ، فصنفوا كتبا شانوا بها المذهب ، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام ، فحملوا الصفات على مقتضى الحس فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه الصلاة والسلام على صورته فأثبتوا له صورة ووجها زائدا على الذات ، وعينين ، وفما ولهوات وأضراسا ، وأضواء لوجهه هي السبحات ، ويدين وأصابع وكفا وخنصرا وإبهاما وصدرا وفخذا (1) وساقين ورجلين وقالوا : ما سمعنا بذكر الرأس !! وقالوا : يجوز أن يَمَسَّ ويُمَسَّ !! ويدني العبد من ذاته وقال بعضهم : ويتنفس ، ثم إنهم يرضون العوام بقولهم : لا كما يُعقل ! ..)) اهـ من أوله ص7_ 8 ط الكليات الأزهرية .

وقال في آخره :

((ولما علم بكتابي هذا جماعة من الجهال ، لم يعجبهم لأنهم أُلِفُوا كلام رؤسائهم المجسمة فقالوا : ليس هذا المذهب . قلت : ليس مذهبكم ولا مذهب من قلدتم من أشياخكم ، فقد نزهت مذهب الإمام أحمد ، ونفيت عنه كذب المنقولات ، وهذيان المقولات ، غير مقلد فيما أعتقده ..)) اهـ من ص67 .

وهذا كتاب عظيم نافع في الدفاع عن الحنابلة ونفي التشبيه عنهم ، ورحم الله ابن الجوزي الذي لم يحاب أحدا في الحق .

وجاء **ابن تيمية** فأكد على احتواء كتابه على الأخبار الباطلة فقال عنه في (درء تعارض العقل والنقل) 5/237-238 :

((.. وهو وإن أسند الأحاديث التي ذكرها وذكر من رواها ، ففيها عدة أحاديث موضوعة كحديث الرؤية عيانا ليلة المعراج ونحوه ، وفيها أشياء عن بعض السلف رواها بعض الناس مرفوعة ، كحديث قعود الرسولe على العرش ، رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة ، وهي كلها موضوعة .. ولهذا وغيره تكلم رزق الله التميمي وغيره من أصحاب أحمد في تصنيف القاضي أبي يعلى لهذا الكتاب بكلام غليظ (1) ، وشنع عليه أعداؤه بأشياء هو منها بريء ، كما ذكر هو ذلك في آخر الكتاب .. مع أن هؤلاء وإن كانوا نقلوا عنه ما هو كذب عليه ، ففي كلامه ما هو مردود نقلا وتوجيها ..)) اهـ (2) .

والعذر الوحيد لأبي يعلى في إيراد الموضوعات هو ما قاله **الحافظ الذهبي** في (سير أعلام النبلاء) 18/91 ونصه :

((ولم تكن له يد طولى في معرفة الحديث ، فربما احتج بالواهي)) اهـ .

ومع ما في كلام ابن تيمية والذهبي من التلطف والتحنن على أبي يعلى ، إلا أنهما يتفقان مع غيرهما في الإنكار على كتابه في الجملة وإن اختلفت الأسباب .

وكأني **بموفق الدين بن قدامة المقدسي الحنبلي** يعني أبا يعلى عندما قال في كتابه (ذم التأويل) : ((**وَلْيُعْلَمْ أن من أثبت لله تعالى صفة بشيء من هذه الأحاديث الموضوعة ، فهو أشد حالا ممن تأول الأخبار الصحيحة ..**)) اهـ منه ص46 .

+ + +

[كتاب أبي يعلى يظهر من جديد]

بقي هذا الكتاب مغمورا مهجورا مفقودا لا يُسمع له بذكر طيلة هذه القرون ، وحتى من نقد الكتاب ممن قدمنا ذكرهم لم يكن الكتاب شائعا في أعصارهم ، ولهذا لا ترى إشارة إليه إلا نادرا ، وكلما سار الزمن اضمحل وجوده حتى صار في حكم المعدوم بعد القرن الثامن الهجري ، ولم يبق له أثر إلا تلك النقول التي حفظها لنا من ردوا عليه وأنكروا ما فيه ، وبقي الحال كذلك إلى عصرنا هذا الذي نحن فيه (القرن الخامس عشر الهجري) ، ولولا ثقتنا بأولئك الطاعنين عليه والرادين ، وتقديرنا لمكانتهم العلمية وصدقهم وإمامتهم ، لكان من الصعب جدا التصديق بأن أحدا من أتباع المذاهب الأربعة يكتب مثل هذا الكتاب ، أوينطق بما نقلوه عنه ، والحاصل أن الزمان قد استدار ليرجع الكتاب إلى الظهور ثانية في حلة قشيبة وجرأة عجيبة .

ففي سنة (1408هـ) عثروا على مخطوطة الكتاب في مكتبة عباس العزاوي بالعراق ، وكانت ناقصة ، وفي سنة (

1409هـ) ظفر محقق الكتاب (1) الذي باء بإثم نشره ووزره ظفر بمصورة من نسخة كاملة منه في مكتبة حماد الأنصاري ، وهكذا شرع في إخراج الكتاب فتم طبعه سنة (1410هـ) وقد وُضعت عليه ملصقة مكتوب عليها : (الناشر دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع) ويظهر من تحت الملصق : (مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع) كما هو مثبت على جانب الكتاب ، والناشران من الكويت ، ورأيت أنا الكتاب يباع في المملكة وغيرها ، والذي طبع منه حتى الآن جزءان فقط ، والمحقق يَعِد في آخر الجزء الثاني بإصدار الجزء الثالث .

ولقد قام المحقق بإخراج الكتاب والتقديم له بجرأة متناهية وبشكل ملفت للنظر يقتضي منا موقفا لوجه الله تعالى ، وذودا عن عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهج السلف .

وليس التفخيم من شأن الكتاب بالزخارف والنقوش والعناوين الرنانة الملفتة للنظر ، وليس ذلك الثناء العظيم ، وذلك الإطراء الزائد لأبي يعلى بأنه (**القاضي الإمام الأوحد .. نور الله وجهه آمين**) ثم طرحه للبيع بتحقيق أبي عبدالله النجدي !! ليس ذلك إلا محاولة مكشوفة لإغراء الجهال والبسطاء الغافلين بشراء هذا الكتاب واقتنائه لِتَعَلُّم العقيدة الصحيحة السلفية النقية من شوائب التجسيم والتشبيه !! والحاصل أن كثيرا من صغار طلاب العلم باتوا يعانون من ضعف المناعة الفطرية المقاومة للتشبيه والتجسيم ، بسبب تكسر كريات التنـزيه البيضاء الناشئ من تناول الوجبات الدسمة ، ولعلهم لا

يجدون مدى الدهر مثل هذا الكتاب القاضي على ما تبقى من آثار فطرة التوحيد والتنـزيه .

ويواصل المحقق محاولة إقناع القراء بعظمة الكتاب فيقول بعد خطبة الكتاب ص4 :

((وبعد ، فإن كتاب (إبطال التأويلات لأخبار الصفات) للقاضي أبي يعلى الفراء كان يعد إلى زمن قريب من الكتب المفقودة ، وهو كتاب فريد في بابه ، إذ تضمن الرد على تأويلات الأشاعرة والمعتزلة والجهمية لأخبار الصفات الإلهية ، الواردة على لسان رسوله e وأعلم الخلق به ، وبيان مذهب السلف فيها وهو إثباتها والإيمان بها ، ونفي التكييف عنها والتمثيل لها ، فهذا هو التوحيد الذي بينه الله تعالى ..)) اهـ .

فأما قول المحقق : (**يعد إلى زمن قريب من الكتب المفقودة**) فنعم هو كذلك في حكم المفقود منذ ألف سنة ، وما نال أحد من المسلمين شرف إظهاره من حكم العدم إلى الوجود إلا هذا المحقق المسكين ، فهنيئا له هذا العمل الصالح الذي سيسجل في صحائف أعماله الخالدة والذي يجد بشارته في قوله e : ((من سن سنة ..)) ، وقول المحقق عن كتاب أبي يعلى هذا بأنه : (**فريد في بابه**) فلا شك أنه فريد في بابه نادر الوجود ، وما تقدم من كلام أهل العلم دليل صادق على أنه فريد وحيد !! وهل تجرأ أحد من المسلمين على تصنيف كتاب ككتاب أبي يعلى

هذا ؟! بل هل فقد المسلمون الحياء والعقل معا حتى يصفوا الله تعالى وتقدس بما وصفه به أبو يعلى مما سيطلع عليه القارئ الكريم ؟! بل ومحققه فريد أيضا بين المحققين ، وأما قوله : (**تضمن الرد على تأويلات الأشاعرة (1) والمعتزلة والجهمية**) فإي والله لقد رد على الأشاعرة والماتريدية أهل السنة أهل الحديث ، وهدم دين المسلمين وداس العقل والفهم ، واجتث التوحيد والتنـزيه من أصوله ، ووصف الله تعالى وتقدس بما لم يسبقه إليه إلا الإغريق واليهود وأهل التجسيم ، وصار سبة وعارا على الأمة ، وخري به على أهل السنة عامة ، وعلى الحنابلة خاصة كما قال رزق الله الحنبلي وقد صدق ، وقد كال له العلماء الصاع صاعين لا سيما أهل مذهبه ، ومحققنا العظيم قد قلد أبا يعلى بعد ألف سنة فشنع بتحقيقه لهذا الكتاب على أهل السنة عامة وعلى أهل الحديث والسلفية خاصة ، وإلى الله المشتكى منه ، ثم قال المحقق العظيم : (**الواردة على لسان رسوله**) فعجبا لهذا المجازف ، وهل كان إنكار أهل العلم على هذا الكتاب لأنه مشتمل على ما صح وثبت ؟؟!! فسيرى القارئ الكريم كم طار المحقق بعيدا عن الواقع المؤلم ، فورب السماوات إن الكتاب لموبوء بالموضوعات ، وكيف يَتَصَوَّر من نور الله قلبه بالإيمان أن النبيe ينطق ببعض ما نطق به أبو يعلى ؟!! فوالذي خلق الخلق ما يقول ذلك إلا كذاب أشر ، ثم قال : (**وبيان مذهب السلف فيها .. فهذا هو التوحيد ..**) يقصد أن أبا يعلى أبان في كتابه مذهب السلف !! وأنه حقق فيه عين التوحيد !! وهذا الكلام من المحقق من أوضح الأدلة على أن الانتساب لمذهب السلف قد صار لعبة يتلهى بها كل من هب ودب لِيُرَوِّجَ بدعته ، فالمجسم يقول نحن

نتبع السلف ، والمعطل يقول نحن نتبع السلف ، و الخارجي السفاح يقول ذلك ، وهكذا كل مخرف ينسب دجله إلى السلف لِتَنْفُقَ سوقه عند العوام من الناس ، وأنا أقول هنا : من قال بأن كتاب أبي يعلى هذا هو مذهب السلف فعليه لعنة الله ، لأنه بقوله هذا قد نسب السلف إلى التشبيه والتجسيم قطعا ويقينا ، والمحقق يرى ما في كتاب أبي يعلى من الجرأة على ذات العظيم سبحانه مجرد هفوات فيقول ص6 : ((**والكتاب لا يخلو من هفوات ، كما هو شأن جميع الكتب فقد أبى الله أن يتم إلا كتابه**)) اهـ ، فهل رأيتم يأيها المسلمون كتابا قط يصف الله تعالى بأنه (**شاب أمرد**) ؟؟!!! (1) ، وهل هذه هفوات، أم تجسيمات وتشبيهات يونانيات أو يهوديات من أوضح الكفريات ؟؟!! ، اللهم لا تؤاخذنا بما قاله السفهاء منا .

والحاصل أن المحقق قد أتى جرما عظيما بإخراج هذا الكتاب من مقبرة التشبيه ، وإذا كان المحقق يقول إن كتاب أبي يعلى (**لا يخلو من هفوات**) فغيره ممن عميت قلوبهم لا يرون هذه الهفوات !! فقد جاء من (2) وصف (إبطال التأويلات) بـ : (**المستطاب**) !!! فليفرح المحقق فقد آتى الكتاب أكله ! وظهرت منافع طباعته ونشره فهنيئا له ، وما أعظم دعوته إلى منهج السلف !!! فسبحانك يا مولاي ، كيف استطابوا كتابا ينتقصك ؟؟!! وبالباطل يصفك ؟؟!! فإنا لله وإنا إليه راجعون .

أفهكذا تزداد قافلة المستطيبين لهذه المخازي ؟! فالله المحاسب والمجازي ، والذي نخشاه أن يتسع الخرق على الراتق ، ويفلت الزمام من قبضة الإحكام ، فينتشر التشبيه باسم التوحيد

والتنـزيه ، ويُعزى كل ما عطب وتلف إلى مذهب السلف ، والسلف الصالح برآء من كل هذا الهراء .

وفيما يلي أمثلة لما تضمنه الكتاب من التعرض لعظمة الذات القدسية ، بوصف الجبار المنتقم بالنعوت الوقحة الردية !! بل ونسبة ذلك بكل صفاقة ووقاحة إلى صاحب الخلق الأعظم ، والمقام الأفخم ، سيد العرب والعجم ، صلوات ربي وسلامه عليه ، وهو بأبي وأمي بريء من هذا المختلق المكذوب ، براءة الحق من السِّنَة واللُّغوب ، وإلى الله المصير .

+ + +

[نقولات من إبطال التأويلات]

اعلم أن محقق الكتاب قد صنع عناوين وضعها بين معقوفين هكذا [ ] لبعض الصفات ، ولم يفعل ذلك لكل الصفات التي أثبتها أبو يعلى !! لأن أكثرها نقائص واضحة لا تليق بالله ، فاستحيى المحقق من إبرازها في عناوين ظاهرة ، فاختفت في طيات الكتاب ، والآن سأذكر الصفات التي صنع لها المحقق أبوابا دون تعليق ، ثم ننظر فيما أهمله المحقق مما أثبته أبو يعلى في جملة الصفات ، بوب المحقق لـ :

إثبات صفة الساق / الشخص والغيرة / اليد واليمين والقبض / الرجل والقدم / الضحك / العُلُوّ / الفرح / العَجَب / النـزول /

رؤية المؤمنين لربهم / الكَفّ / الأصابع / القبض والبسط / السمع والبصر / العينين / الحياء / النَّفس .. اهـ (1) .

هذا ما بوب له المحقق من الصفات في الجزءين الأول والثاني ، والمحقق يعتبر هذه صفات يجب التسليم بها كلها على حد سواء !! وهذا خطأ ، والحاصل أن المحقق قد خلط أمورا كثيرة ، خلط ما هو من الصفات بإجماع ، مع ما ليس بصفة أصلا ، مع أمور فسرها السلف على ما لا يهوى المحقق ، وأشياء أخرى محل نزاع ، كما ترك أشياء أخرى عدها أبو يعلى صفات وتحرج المحقق من التبويب لها ، ونحن الآن بصدد فضحها .

(قعود النبي e على العرش مع الله) !!

في ج1/ص72 و ج2/ص476 ذكر أبو يعلى أن النبيe يقعد على العرش يوم القيامة مع الله تعالى !! وأن هذا هو المقام المحمود الذي وعده به ربه ، وذكر في ذلك روايات ، وقد تقدم عن ابن تيمية أنها كلها موضوعة ، وقال أبو يعلى في 485/2 معتمدا على الروايات الموضوعة : ((**فلزمنا الإنكار على من رد هذه الفضيلة التي قالتها العلماء وتلقوها بالقبول ، فمن ردها فهو من الفرق الهالكة**)) اهـ !!! بل ونقل أبو يعلى عن بعضهم تكفير منكر ذلك !! .

(الاستلقاء والاتكاء والقعود ، ورفع إحدى الرجلين على الأخرى) !!

ذكر أبو يعلى في 73/1 ، وفي 187/1 الرواية الموضوعة التالية :

((**إن الله لما فرغ من خلقه استوى على عرشه واستلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال : إنها لا تصلح لبشر**)) اهـ !!! ، وذكر ص188 عن كعب الأحبار أنه قال لمن سأله أين ربنا : ((**هو على العرش العظيم متكئ واضع إحدى رجليه على الأخرى**)) اهـ !! ، وقد أثبت أبو يعلى بهذا وذاك وغيره من الباطل صفات لله تعالى وتقدس عن إفكه فقال ص190 :

((**اعلم أن هذا الخبر يفيد أشياء : منها جواز إطلاق الاستلقاء عليه ، لا على وجه الاستراحة بل على صفة لا نعقل** (1) **معناها ، وأن له رجلين كما له يدان ، وأنه يضع إحداهما على الأخرى على صفة لا نعقلها**)) اهـ !!! .

وذكر ص 191 الرواية الواهية التالية :

((**ما تعجبون من رجل نصر الله ورسوله ، لقي الله غدا متكئا فقعد له**)) ثم قال على إثرها : ((**والكلام فيه كالكلام في الذي قبله في الاستلقاء سواء**)) اهـ ، فأثبت بهذا لله سبحانه الاتكاء والقعود !!! وهذه الجرأة من أبي يعلى لا تحتاج منا إلى تعليق .

(الصورة) !!

في 77/1 أورد أبو يعلى رواية : ((**إن الله خلق آدم على صورته**)) ، ثم قال في 80/1 ما نصه : ((**.. والكلام فيه في فصلين : أحدهما جواز إطلاق تسمية الصورة عليه سبحانه ..**)) اهـ !! ، ومع ذلك فقد أَوَّلَ أبو يعلى الصورة فقال 81/1 : ((**الصورة ليست في حقيقة اللغة عبارة عن التخاطيط ، وإنما هي عبارة عن حقيقة الشيء ، ولهذا يقول : عرفني صورة هذا الأمر**)) اهـ ، ولست أدري كيف يتفق هذا التأويل للصورة من أبي يعلى مع الحديث المتقدم ؟! فهل يقال ـ على هذا التأويل ـ إن الله خلق آدم على حقيقته هو تعالى ؟!! وأقبح من هذا قول أبي يعلى 83/1 مستدلا برواية موضوعة : ((**فقد نص على أنه نحله صورته**)) اهـ !! ، فيأيها القارئ العاقل ، قل لي بربك كيف يصح أن يقال : إن الله نحل ـ أي أعطى ـ صورته هو تعالى وتقدس لآدم ؟؟! مع ملاحظة أن صورته عند أبي يعلى تعني (**حقيقته**) !!! فهل حقيقة آدم هي حقيقة الله ؟!! فأي تجسيم بقي بعد هذا ؟؟!! (1) .

وأعجب من ذاك أن أبا يعلى يستدل بالرواية الباطلة التالية 97/1 : ((**.. غضب موسى على قومه في بعض ما كانوا يسألونه ، فلما نزل الحَجَر قال : اشربوا يا حمير ، فأوحى الله إليه : تعمد إلى عبيد من عبيدي خلقتهم على مثل صورتي**

فتقول اشربوا يا حمير ، قال : فما برح حتى أصابته عقوبة)) اهـ فانظر إلى انتقاص الله ورسوله !!! .

(التدلي) !!

استدل أبو يعلى بقوله تعالى : (**ثم دنا فتدلى**) على أن المتدلي هو الله !! فقال في 125/1 : ((**فعلم أن المتدلي هو الذي يوحي وهو الله تعالى**)) اهـ !! . يقول هذا مع أن أئمة اللغة قد أجمعوا على أن الضمائر تعود على ما يناسبها ولو بعدت .

(شاب ، أمرد ، أجعد ، في حلة حمراء ، عليه تاج ، ونعلان من ذهب ، وعلى وجهه فَرَاش من ذهب) !!

أنفق أبو يعلى صفحات كثيرة من الكتاب 133/1 ليثبت هذه الأوصاف لله ـ تعالى وتقدس عن إفكه ـ وقد شحنها بالروايات الموضوعة ، ونقل في 144/1 أن من لم يؤمن بهذه الصفات العظيمة !! فهو : (**زنديق**) ، (**معتزلي**) ، (**جهمي**) ، (**لا تقبل شهادته**) ، (**لا يسلم عليه**) ، (**لا يعاد**) ، ثم قال أبو يعلى في 146/1 :

((**وليس في قوله : شاب وأمرد وجعد وقطط وموفور إثبات تشبيه ، لأننا نثبت ذلك تسمية كما جاء الخبر لا نعقل معناها ، كما أثبتنا ذاتا ونفسا ، ولأنه ليس في إثبات الفَرَاش والنعلين**

والتاج وأخضر أكثر من تقريب المحدث من القديم ، وهذا غير ممتنع كما لم يمتنع وصفه بالجلوس على العرش ..)) اهـ !!!! .

وهذا الكلام (1) لو قاله المشركون ، أو اليهود ونحوهم فلا عجب ، فهم أهل هذه المخازي ، أما أن يقوله رجل من أتباع المذاهب الأربعة ، فهذا والله الخزي والعار علينا معشر المسلمين ، أن يكون قائل ذلك واحدا منا ، فيا شماتة الأعداء ، ويا فرحة الملاحدة والزنادقة بأفكار أبي يعلى هذه ، وأنا أخشى أن يُترجم هذا الكتاب إلى اللغات الأجنبية كما ترجموا غيره ، فيشنع به المتربصون الحاقدون على الإسلام والمسلمين .

(الشمال) !!

في 178/1 و 328/2 لم يتورع أبو يعلى من إطلاق الشمال على الله ، والمحقق تظاهر في البداية بمخالفة أبي يعلى فقال : ((**كلام المصنف رحمه الله يدل على أنه لا يرى بأسا في تسمية اليد الأخرى لربنا سبحانه بالشمال ، وقد أنكر هذا ابن خزيمة في كتابه التوحيد ص66 ..**)) اهـ ، ثم بعد هذا تكلم المحقق بكلام وجاء بنصوص يضيع معها القارئ البسيط ، ولا يصل إلى نتيجة معينة من خلالها (1) .

(وطء الصخرة وأرض الطائف) !!

ذكر أبو يعلى في 202/1 عن كعب الأحبار أنه قال : ((**إن الله تعالى نظر إلى الأرض فقال : إني واط على بعضك ، فانتسفت إليه الجبال فتضعضعت الصخرة فشكر الله لها ذلك فوضع عليها قدمه**)) اهـ ، والمحقق يقول : ((**الخبر من الإسرائيليات**)) اهـ ، لكن أبا يعلى لا يتورع عن إثبات صفات بمثل هذا ، ففي 377/2 يذكر أبو يعلى الرواية الواهية التالية : ((**.. آخر وطأة وطئها رب العالمين بوَجّ** (2))) اهـ ، ثم يذكر قول كعب الأحبار ـ الذي ينقل عن كتب اليهود ـ 379/2 : ((**وَجّ مقدس ، منه عَرَجَ الرب إلى السماء يوم قضى خلق الأرض**)) اهـ !! ، ثم يقول أبو يعلى : ((**اعلم أنه غير ممتنع على أصولنا** (3) **حمل هذا الخبر على ظاهره ، وأن ذلك على معنى يليق بالذات دون الفعل ..**)) اهـ . وفي هذا النقل والفهم السقيم من أبي يعلى دليل على بطلان أصوله وقواعده التي بنى عليها ، فلا ينتج الباطلَ إلا باطلٌ مثله .

ومما يتعلق بهذا المقام أن أبا يعلى مغرم بنسبة كل شيء إلى الذات ! لا يتردد أبدا في ذلك فتراه يذكر في 227/1 رواية (**إن الله يدني العبد يوم القيامة**) فيقول : ((**المراد من دنوه الدنو من الذات**)) !! ، وفي 265/1 يذكر : ((**نزول ذاته**)) !! تعالى وتقدس ، يستدل لذلك بخبر موضوع : ((**إن الله جل اسمه إذا أراد أن ينـزل نزل بذاته**)) !! وفي 266/1 يذكر : ((**هبوط الذات**)) !! ، وفي 297/2 : ((**الدنو والقرب من الذات**)) !! وفي 334/2 : ((**فأما التجلي فهو راجع إلى**

الذات)) !! وهكذا يختلق أبو يعلى أمورا لا صلة لها بكتاب الله ولا بسنة رسوله ولا بهدي السلف (1) .

(الذراعان والصدر والساعد) !!

أثبت أبو يعلى الذراع صفة ذات في 203/1 بروايات لا تثبت ، وليست صريحة فيما أراده ، وفي 221/1 استدل بأثر باطل نصه : ((**خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر**)) !! (2) ثم قال : ((**الكلام في هذا الخبر في فصلين : أحدهما في إثبات الذراعين والصدر ، والثاني في خلق الملائكة من نوره**)) اهـ !! فأثبت الذراعين والصدر والنور صفات ، كما ذكر في 343/2 قول النبيe لمن شق آذان الأنعام محذرا إياه من غضب الله : ((**موسى الله أَحَدٌّ من موساك ، وساعد الله أشد من ساعدك**)) فأثبت به صفة الساعد ، لأن الساعد مضاف إلى الله ، وقد امتنع من إثبات (**الموسى**) صفة ، مع أن الموسى مضاف إلى الله أيضا ، لأن الموسى آلة والله منـزه عن الآلات بزعمه ، لكن على منطق أبي يعلى يمكن الرد عليه بأن الموسى آلة عندنا نحن في الشاهد ، ولا يلزم ذلك في الغائب عنا ، وهو موسى الله ، فلا يمتنع على منطقه إثبات الموسى صفة أيضا !! .

(الفخذ والأمام والخلف) !!!!

يستدل أبو يعلى في 206/1 بالرواية الباطلة التالية : ((**إذا كان يوم القيامة يذكر داود ذنبه فيقول الله عز وجل له : كن أمامي ، فيقول : رب ذنبي ، فيقول الله : كن خلفي فيقول : رب ذنبي ذنبي ، فيقول الله له خذ بقدمي**)) اهـ ، ثم يذكر الرواية الباطلة التالية : ((**إن الله عز وجل ليقرب داود حتى يضع يده على فخذه يقول : ادن منا أزلفت لدينا**)) اهـ ، أثبت أبو يعلى بهذا صفات لله وحمل الخبر ـ مع بطلانه ـ على ظاهره !! فقال : ((**اعلم أنه غير ممتنع حمل هذا الخبر على ظاهره ، إذ ليس فيه ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه لأنا لا نثبت قدما وفخذا جارحة ولا أبعاضا ، بل نثبت ذلك صفة كما أثبتنا الذات والوجه واليدين ... ولا نثبت أيضا أماما وخلفا على وجه الحد والجهة ، بل نثبت ذلك صفة غير محدودة ...**)) اهـ !!! .

فأبو يعلى لم يستحيي من جعل الفخذ صفة لله تعالى وتقدس ، مع أن إضافة الفخذ إليه تعالى نقص محض لا يمكن أن يكون كمالا بحال من الأحوال ، فكما لا يمكن وجود نوم أو نسيان أوغفلة تليق به تعالى أبدا ، فكذلك لا يمكن وجود فخذ تليق به لأن ذلك نقص محض ، والفخذ من العورة في شريعة الإسلام ، وكذا الحال بالنسبة للخلف والأمام (1) .

(الحقو) !!

وفي 208/1 و 420/2 أثبت أبو يعلى الحَقْو (1) صفة لله برواية ((**.. قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن ..**)) اهـ وهي رواية صحيحة ، والمقصود بالحقو هنا قائمة العرش كما جاء التصريح به في رواية مسلم (2) ، وذلك على سبيل الاستعارة وهي من أجمل الصور البلاغية عند العرب ، أما أبو يعلى فقد حمل ذلك على ظاهره كعادته فقال في 420/2 : ((**اعلم أنه غير ممتنع حمل هذا الخبر على ظاهره ، وأن الحقو والحجزة صفة ذات لا على وجه الجارحة والبعض**)) اهـ !! ، فاسمع إلى هذا الهراء واحمد الله .

(الإبهام والخنصر والسبابة والتي تليها) !!

أثبت أبو يعلى الإبهام صفة فقال 210/1 مستدلا بمرسل باطل من رواية سعيد بن زَرْبى وهو منكر الحديث نصه : ((**أوحى الله إلى داود : ارفع رأسك فقد غفرت لك .. ومحوت خطيئتك بإبهام يميني**)) اهـ !! ، ثم قال أبو يعلى : ((**وهذه الزيادة تقتضي إثبات الإبهام ..**)) اهـ ، وبمثل هذا المنهج المعوج والأصول التالفة الباطلة قال في 316/2 : ((**الخبر على ظاهره في إثبات الأصابع والسبابة والتى تليها**)) اهـ ، ويقول في 335/2 : ((**.. الخنصر وهو على ظاهره ، إذ ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته**)) اهـ ، وهكذا يتجاوز أبو يعلى الحدود فيثبت بالموضوعات والبواطيل صفات لله تعالى وتقدس عما يقول الظالمون .

(اللهوات والأضراس) !!

في 214/1 يذكر أبو يعلى خبرا باطلا نصه : ((**يضحك الله .. حتى بدت لهواته وأضراسه**)) اهـ !! ، ثم يقول أبو يعلى 218/1 : ((**لا نثبت أضراسا ولهوات هي جارحة ولا أبعاضا ، بل نثبت ذلك صفة كما أثبتنا الوجه واليدين والسمع والبصر ، وإن لم نعقل معناها** (1))) اهـ .

ولا أدري أي قيمة لنفي الجوارح والأبعاض بعد تجويز وصف الله بهذا ؟! فإن مجرد وصفه تعالى بهذا عبث واستهزاء .

(الملل) !!

استدل أبو يعلى في 369/2 برواية : ((**إن الله لا يمل حتى تملوا**)) فأثبت الملل له تعالى صفة ، قال 370/2 : ((**اعلم أنه غيرممتنع إطلاق وصفه تعالى بالملل لا على معنى السآمة والاستثقال ..**)) اهـ !!! .

ولست أدري كيف يمكن أن يفهم أبو يعلى الملل على ظاهره ـ كما هي قاعدة أبي يعلى في أشباه هذا ـ ثم لا يكون بمعنى السآمة ؟!! لأنه إذا لم يكن الملل بهذا المعنى فليس على ظاهره

، ومع هذا فقد رفض أبو يعلى تأويل الخبر وتفسيره بمعنى مفهوم ، بل ترك الخبر دون معنى على صفة لا يعقل معناها ، وكأن الشارع يخاطب المجانين والمهابيل !! اللهم احفظ علينا عقولنا .

(الفم) !!

استدل أبو يعلى بأثر لا يصح كعادته فأثبت به صفة ، ففي 387/2 ذكر الأثر الباطل التالي : ((**كأن الناس إذا سمعوا القرآن من في الرحمن عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك**)) اهـ وهذا مع كونه أثرا لا يثبت ، فقد أثبت به أبو يعلى دون خشية من الله صفة (**الفم**) فقال مقولته المُمِلَّةَ على عادته : ((**اعلم أنه غير ممتنع إطلاق الفي عليه سبحانه**)) اهـ !! وأنه : ((**صفة قد ورد الخبر بها**)) اهـ !! .

(الجنب) !!

قال أبو يعلى 427/2 : ((**وأما قوله تعالى : (يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله) فحكى شيخنا أبو عبدالله (1) رحمه الله في كتابه عن جماعة من أصحابنا الأخذ بظاهر الآية في إثبات الجنب صفة لله سبحانه**)) اهـ !!! .

وهذا يدل على سخافة عقول هؤلاء وغباوتهم ، وإلا فكيف يُتَصور أن يقع التفريط في جنب الله بمعنى الصفة ؟؟! وأبو يعلى وإن نقل هذا عن شيوخه لكنه لم يوافقهم ، فَأَوَّل الجنب بأنه أمر الله ، لأن التفريط إنما يقع فيه ، وإنما نقلنا هذا لتعرف منـزلة شيوخه .

(الهجو والاستهزاء والسخرية) !!

أثبت أبو يعلى ذلك من جملة الصفات في 462/2 وقال : ((**واعلم أنه غير ممتنع على أصولنا إطلاق الهجو عليه سبحانه .. وكذلك الاستهزاء والسخرية**)) اهـ !! ويؤيد أبويعلى قوله هذا بأن الله تعالى يذم الكفار ويستهزئ بهم ، وغفل عن كون الصفات توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها ، وعن كون العرب تسمي الجزاء باسم العمل ، فيسمون جزاء الاستهزاء بالاستهزاء ، وجزاء المكر بالمكر ، وإن لم يكن مثله ، فالله سمى جزاءه الكفار على مكرهم سماه مكرا ، لا أنه كذلك على الحقيقة ، فالمكر الحقيقي المذموم ما كان مبتدءا لا ما كان عقوبة ومقابلة بالمثل ، فلا يجوز أن يسمى الله تعالى أو يوصف بالمستهزئ أو الماكر .. تعالى الله عن ذلك ، ولو وُصِف إنسان بمثل هذا لغضب ولو كان أخس الناس ، فكيف بالله تعالى ؟!! .

[الروايات الباطلة]

أبو يعلى لا يتورع عن إيراد الموضوعات في كتاب خصصه لصفات الله تعالى ، وهذا من أعظم أبواب الاعتقاد (1) ، ولو شرعت في ذكر الأخبار الباطلة التي جاء بها أبو يعلى مستدلا محتجا ، فأثبت صفات لله تعالى بناء عليها ، فلو رُحْتُ أسرد هذه الواهيات والموضوعات لطال الأمر جدا ، لأنها منثورة على طول الجزءين الأول والثاني ، لكن سأكتفي بمثالين ينمان عما وراءهما ، ويشفان عما تحتهما .

(الرواية عن مقاتل بن سليمان) !!

أورد أبو يعلى في كتابه 161/1 من طريق مقاتل بن سليمان قال : ((**قال عبدالله بن مسعود في قوله عز وجل : (يوم يكشف عن ساق) يعني ساقه اليمين ، فيضيء من نور ساقه الأرض ، فذلك قوله : (وأشرقت الأرض بنور ربها) ، يعني نور ساقه اليمين**)) اهـ !! ، ويكفي تعليقا على هذا ما قاله محقق الكتاب نفسه ، قال : ((**إسناده ضعيف جدا ، مقاتل بن سليمان متهم ورمي بالتجسيم**)) اهـ .

لكن أبا يعلى لا يبالي بهذا كله ، ولا شأن له بعلم الجرح والتعديل ، فميزان صحة الحديث عنده هو مجرد وروده في كتب شيوخه أو على ألسنتهم أمثال أبي عبدالله بن حامد وغيره !! .

(على حوت من نور) !!

لم يتورع أبو يعلى من إيراد الرواية التالية في كتابه 237/1 على بطلان سندها ومتنها :

((.. **عن عبدالله بن الحسين المِصِّيصي قال : دخلت طَرَسُوسَ ، فقيل لي ههنا امرأة قد رأت الجن الذين وفدوا إلى النبي e ، فأتيتها ، فإذا هي امرأة مستلقية على قفاها فقلت : رأيت أحدا من الجن الذين وفدوا إلى رسول الله e ؟ قالت : نعم ، حدثني عبدالله سمحج قال : قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال : (على حوت من نور يتلجلج في النور)** ..)) اهـ !! (1) .

فلو أورد هذا يهودي أو نصراني أو وثني مشرك محتجا به على صفات خالقه لكان أهلا لهذه المصائب والمخازي ، أما أن يحتج به من ينتسب إلى شيخ السنة الإمام المبجل أحمد بن حنبل فهو والله العار والشنار والفضيحة الكبرى ، والغريب أن أبا يعلى كان يقرأ كتابه هذا على عامة الناس في المساجد في بغداد ـ قبل محاكمته ـ فكيف ساغ له ذلك ؟؟!! ، فالمتشابهات لا يجوز

ذكرها أمام العامة ولو صحت أسانيدها كما تقرر في (آداب المحدث) من كتب مصطلح الحديث (2) ، فكيف وهي موضوعات بواطيل ؟؟!! ، وفي هذين المثالين مقنع للمتبصرين ، ودلالة للمتوسمين ، على قلة المخافة من الله عند أمثال هؤلاء ، وعدم تنـزيههم ، وضعف أفهامهم ، وانتكاس عقولهم ، ومرض قلوبهم ، والشيء بالشيء يعرف ويكتشف .

هذا وكما حدث بالأمس البعيد قبل ألف سنة أن تأثر بكتاب أبي يعلى هذا جماعة من أصحابه وأحبابه ، الطالبين العلم من غير بابه ، فنسجوا على منواله ، وقلدوه في أحواله وأقواله ، فنشروا بدعه بين العامة (1) ، فلا يبعد أبدا أن يحدث هذا الآن ، وكيف لا ونحن من الساعة على اقتراب !! أم كيف لا وقد جاء الآن من وصف كتاب (**إبطال التأويلات**) لأبي يعلى بـ(**المستطاب**) !! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

[الخاتمة]

أعتقد والله أعلم ، أن القارئ المتبصر لا يشك ـ بعد كل ما تقدم ـ في خطورة هذا الكتاب وما شابهه على العقيدة الصحيحة التي لم تخالطها شوائب التشبيه ، والتي هي على فطرتها غافلة عما يراد بها ، ولا يرتاب الفطن في آثاره الوبيلة على المسلمين إذا ما تم نشره والتصفيق له ، ولو على تمهل وخفية ، لأنه حتما سيؤدي إلى نتائج مؤسفة ولو بعد حين ، فالتأثر بمثل هذه الكتب الآن أمر متوقع ، لا سيما بعد حملات كثيرة متعددة قصد من ورائها سحق الفطرة ، وتدمير المناعة الدينية ضد أمراض

التجسيم والتشبيه ، حتى نشأ شباب ممسوخ الفهم والفطرة منكوس العقل ، من السهل اجتذابه إلى مهاوي التشبيه ، حتى لقد رأينا منهم من نقل الشريك والولد من قسم المستحيلات في حق الخالق سبحانه إلى قسم الجائزات !! وهذه والله حالقة الدين ، وسالخة اليقين ، ولعل من وهبه الله حسن التفكر ، لا يخالفني بأن أيديا خفية تعمل لبعث فرقة التشبيه والتجسيم مرة أخرى ، واعية لجرمها أو غافلة عنه ، فإنه تُشم منذ مدة روائح هذه الرمم البالية من ثنايا كتب ومنشورات ، يتبوأ كتاب (إبطال التأويلات) المكانة الكبرى بينها حتى الآن ، ولست مترددا في أن هذا الكتاب وأشباهه أولى بالمنع والقمع من القصص والروايات والكتب العلمانية ، ذلك لأن هذه الأخيرة إنما تنخر في فئات هي أصلا نخرة ، أما تلك فتعمل في أبنية المجتمع المسلم ، ولأن العقول المسلمة لا تزال مناعتها قوية قادرة على مقاومة الإلحاد والعلمانية ولو وجدانيا ، ولكن لا تبدو هذه القدرة واضحة تجاه كتب التشبيه ، لأن سمها خفي لا يتبينه السذج من الناس سريعا ، لذلك وغيره وجب على كل ذي غيرة على دينه وعقيدته محاربة هذه السموم والأوبئة بكل ما أوتي من قوة ، قبل أن يسبق السيف العذل ، ولات ساعة مندم ، وقد آن للقلم أن يرتفع بعد خالص النصح ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

كتبه

الأزهري عفا الله عنه

(الموضوعات)

المقدمة (3)

[الكتاب وتاريخه] (4)

[كتاب أبي يعلى يظهر من جديد] (10)

[نقولات من إبطال التأويلات] (15)

قعود النبي e على العرش (16)

الاستلقاء والاتكاء .. (16)

الصورة (17)

التدلي (18)

شاب أمرد أجعد .. (18)

الشمال (19)

وطء الصخرة وأرض الطائف (19)

الذراعان والصدر والساعد (22)
الفخذ والأمام والخلف (22)
الحقو (23)
الإبهام والخنصر والسبابة .. (23)
اللهوات والأضراس (24)
الملل (24)
الفم (25)
الجنب (26)
الهجو والاستهزاء والسخرية (26)
[الروايات الباطلة] (27)
الرواية عن مقاتل بن سليمان (29)
على حوت من نور (30)
الخاتمة
الموضوعات

(1) ـ هو غير الإمام أبي يعلى الموصلي صاحب المسند المشهور فتنبه .

(2) ـ رأيت بعض هؤلاء ممن جوزت لهم عقولهم أن يكون من جملة صفات الحق ـ تعالى وتقدس ـ القرنان والذيل والولد إذا جاء بذلك الخبر بزعمهم !! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(3) ـ كما بلغني أن بعض المتسرعين ترجم كتاب شرح السنة المنسوب للبربهاري إلى لغة أجنبية ، والحقيقة أن الكتاب لغلام خليل الوضاع المشهور ، والموصوف بدجال بغداد !! .

(1) ـ إمام قدوة توفي سنة 442هـ ، وترجمته في طبقات الشافعية ، وانظر سير أعلام النبلاء 609/17 .

(1) ـ وفي كلام الذهبي أخطاء ، **أولها** في اسم الكتاب ، **وثانيها** قوله : (**لما فيه من الواهي والموضوع**) والحق أن الموضوعات كانت منتشرة في ذلك الوقت خصوصا في بغداد فلم يكن النكير من أجلها بل لكون الكتاب يصف الله بما لا يليق ، **وثالثها** قوله : (**من القادر بالله**) والصواب أن الخليفة الشاهد للحادثة هو القائم بأمر الله بن القادر بالله ، أما أبوه الخليفة القادر بالله فقد توفي في سنة (422هـ) ، قبل الحادثة بسنين ، **ورابعها** قوله : (**فأعجبه**) وهذا غير ممكن لأن هذا الكتاب هو سبب الفتنة ، وفيه ما لا يمكن تحمله من النقائص

المنسوبة لله تعالى ، فكيف يُعْجِبُ خليفةَ المسلمين ؟! ويبدو أن هذا ما فهمه الذهبي من عبارة (طبقات الحنابلة) السابقة القائلة : (**وكان قبل ذلك قد التمس منه حمل كتاب (إبطال التأويلات) ليتأمل فأعيد إلى الوالد ، وشكر له تصانيفه**) اهـ لكن هذه العبارة لا ينبغي للذهبي أن يفهم منها إعجاب الخليفة بالكتاب ، لأن الخليفة قد رد الكتاب ولم يقبله على عادة الخلفاء ، وفي هذا إشارة إلى عدم رضاه عنه ، لكنه شكر له تصانيفه غير هذا الكتاب ، **وخامسها** قوله : (**ثم أصلح بين الفريقين الوزير علي بن المسلمة**) وهذا كان في حادثة أخرى جرت سنة (445هـ) غير حادثتنا هذه الكائنة في 432هـ ، وعلى كل حال يجب أن نلاحظ في نقل (طبقات الحنابلة) ميل الولد لأبيه ، أما الذهبي فتصرفه في العبارة له سبب معروف عند أهل العلم .

(2) ـ قال الأستاذ الكوثري في (السيف الصقيل) ص149 : ((ولأبي يعلى هذا كتاب (المعتمد في المعتقد) وهو قريب إلى السنة ، ونرجوا أن يكون هذا آخر مؤلفاته ليكون قاضيا على ما سلف منه ..)) اهـ .

(1) ـ إمام متفق على جلالته وعظيم مكانته ، توفي سنة 488هـ ، وترجمته واسعة ، انظر السير 609/18 .

(2) ـ ذكره الذهبي في السير 561/18 ووصفه بالواعظ العالم وذكر قصته .

(1) ـ نشره علامة الجزائر عبدالحميد بن باديس كاملا سنة 1940 ، ثم نشر الأستاذ محب الدين الخطيب من هذا الكتاب ما يتعلق بالرد على الرافضة فقط سنة 1970 وهو جزء صغير من الكتاب ، وكثيرون يظنونه الكتاب كله لشهرة هذه الطبعة ، وقد اعتمدنا على طبعة دار الثقافة بالدوحة ، وهي كاملة بحمد الله .

(2) ـ هذه العبارة فيها قصور عن الحقيقة ، فسيأتي أن أبا يعلى قد أثبت شيئا من العورة !! .

(1) ـ سترى أن ذلك كله وأكثر منه موجود في كتاب أبي يعلى ! .

(1) ـ قد تقدمت عبارة رزق الله الحنبلي في أبي يعلى ، وإليها يشير ابن تيمية هنا .

(2) ـ قول ابن تيمية : (ولهذا وغيره) يُفْهَم منه أن سبب الإنكار على الكتاب هو إيراد الموضوعات ، وأن هناك أسبابا أخرى أشار إليها بقوله : (وغيره) لم تستحق الذكر عنده فأبهمها كما ترى !! والحق أن الموضوعات كانت منتشرة خاصة في زمن أبي يعلى ، فلم تكن هي أساس الإنكار ، بل

لكون أبي يعلى وصف الله بما لا يليق وهذا ما أهمل ابن تيمية توضيحه والسبب معروف ، وقد حذفت من كلامه ما لا يعنينا ، وإنما ذكرت محل الاتفاق بينه وبين غيره .

(1) ـ لقد دُعِي محقق الكتاب بكل أسف إلى بلدنا الآمن وقام بإلقاء محاضرة عن منهج السلف !! مع أن هذا المحقق قد أساء غاية الإساءة إلى منهج السلف بإخراج كتاب أبي يعلى وطبعه، هذا الذي يعد بحق عارا على الإسلام والمسلمين، ولا شك أن من يسعى في نشر كتاب كهذا يطعن فيه على أهل السنة والجماعة لهو إلى التعرف على منهج السلف أحوج منه إلى التعريف به ، ولا يكون داعيا إلى منهج السلف بل إلى غيره ، وفي هذا الأمر عبرة لمن كان له عقل ، وعلامة من علامات الساعة دون ريب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(1) ـ انظر كيف جمع الأشاعرة الذين هم أهل السنة والجماعة مع المعتزلة والجهمية الذين هم أهل البدعة !! وما ذلك إلا لكونه مائلا إلى التشبيه ، فهو لا يتفق مع اعتدال أهل السنة ، ولا مع تعطيل أهل البدعة ، والدليل على ميله إلى التشبيه ، هو إخراجه لكتاب أبي يعلى هذا ، الذي صب العلماء عليه سخطهم وغضبهم ووصفوه بأنه كتاب تشبيه وتجسيم وكذب على الله ورسوله .

(1) ـ قد كنا نسمع ونقرأ أن هناك من يصف الله بذلك فلا نصدق ، ولكن النقلة لهذه الحقائق علماء كبار لا يسعنا الشك فيما نقلوه كالإمام الحافظ ابن عساكر في (تبيين كذب المفتري) والإمام الحافظ أبي بكر بن العربي في (العواصم من

القواصم) والإمام أبي الفرج بن الجوزي في (دفع شبه التشبيه) والإمام ابن الأثير في (الكامل في التاريخ) وكثيرون غيرهم ، فالأمر متواتر ، وأنت الآن أيها القارئ الكريم أمام دليل مادي لا يدع مجالا للشك في صدقهم ، هذا الدليل هو كتاب (إبطال التأويلات) لأبي يعلى بن الفراء .

(2) ـ وصفه بذلك الهلالي في (المنهل الرقراق في تخريج ما روي عن الصحابة والتابعين في تفسير يوم يكشف عن ساق ..) ص35 ـ ط1 ـ 1412هـ / دار ابن الجوزي / الدمام .

(1) ـ هذا ما بوب له المحقق من الصفات في الجزءين الأول والثاني ، وبعض ما ذكره من الصفات حق وصدق ثابت بإجماع لا ينازع فيه أحد من أهل السنة كـ(**السمع والبصر**) ، وبعض ما ذكره حق ثابت لكن لا مدخل له في الصفات كـ(**رؤية المؤمنين لربهم في الجنة**) ، وكذلك (**النفس**) لا مدخل لها في الصفات لأن نفس الله أي ذات الله ، فالنفس هي التي توصف وليست صفة ، وكذلك (**الساق**) لأن الثابت تأويل ابن عباس وتلاميذه لها بشدة يوم القيامة فلا تعلق لها بصفات الله تعالى ، وأما ما يوهم ظاهره النقص كـ(**الغيرة أو العجب أو الضحك ونحوها**) مما أضيف إلى الله فهذا لا يجوز حمله على ظاهره ، لأن ظاهره نقص محض لا يليق بالله تعالى وتقدس ، فهذه وأشباهها مما صحت أدلتها فيها نزاع بين الأئمة ، هل هي صفات لا على ظاهرها بل على معنى يليق بالله ؟ أم تُأَوَّل وتفسر بمعان لائقة به مما يسوغ في كلام العرب وإن أخرجها

ذلك عن كونها صفات مستقلة ؟ أم يُسْكَتُ عنها فلا يقال صفات ولا تأول ؟ ثلاثة مذاهب كلها حق وصدق ، ولكنها خارجة عن كونها صفات ضرورية ، فهي ليست كالصفات الثابتة المجمع عليها والتي يكفر منكرها بل والجاهل بها **كما لو جهل إنسان أن الله موجود ، واحد ، حي ، قديم بلا ابتداء ، دائم بلا انتهاء ، عليم ، قدير ، متكلم ، غني ، فعال لما يريد ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير** ، فهذه لا يحكم بإسلام جاهلها ، بخلاف تلك المتنازع فيها ، فعامة المسلمين بين جاهل بها أو منكر لها كما لا يخفى ، فمن قال بضلالهم فهو الضال ، ومن قال بكفرهم فهو الكافر .

(1) ـ قد تقدم قول ابن الجوزي عن أبي يعلى وأمثاله : ((ثم إنهم يرضون العوام بقولهم : لا كما يعقل !)) .

(1) ـ تقدم كلام ابن الجوزي الدال على أن هذه الفرقة قالت هذا ، ونحوه عند الإمام أبي بكر بن العربي المالكي في العواصم من القواصم ص210 وكذا عند غيرهم ، ومما تمسك به أبو يعلى رواية أخرى جاء فيها : ((.. على صورة الرحمن)) ، وهي رواية لا تصح ، وقد قال ابن خزيمة في كتاب (التوحيد) ص38 ما نصه : ((وقد افتتن بهذه اللفظة التي في خبر عطاء عالم ممن لم يتحر العلم ، وتوهموا أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر من إضافة صفات الذات فغلطوا في هذا غلطا بينا ، وقالوا مقالة شنيعة مضاهية لقول المشبهة أعاذنا الله وكل المسلمين من قولهم ، والذي عندي في تأويل هذا الخبر إن صح من جهة النقل موصولا ـ فإن في الخبر عللا ... فمعنى الخبر إن صح من طريق النقل مسندا

فإن ابن آدم خُلق على الصورة التي خَلَقها الرحمن حين صور آدم ثم نفخ فيه الروح ، قال الله جل وعلا : (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) ..)) اهـ ، وهذا الكلام من ابن خزيمة يُعد مردودا عند الحشوية لأنهم يتدينون بالروايات الباطلة أولا ، ويحملونها على ظاهرها ويأبون تأويلها ثانيا .

(1) ـ ومع كل هذا الذي يدعيه أبو يعلى وأتباعه ، فإن المحقق يلوم أهل السنة لأنهم يقولون عن أفكار أبي يعلى هذه بأنها من الحشو !! وأن أصحاب هذه المقالات حشوية !! وما عسانا أن نقول فيمن فاه بهذا الهراء ؟! وأين الغضب لله ؟! وأين ذهبت عظمة الله من قلوب هؤلاء ؟! وهل الدفاع عن هذا الكتاب ومؤلفه وأشباهه مما يخدم منهج السلف الصالح ويؤيده ؟!! أم هي دعوة جديدة لإحياء التجسيم والتشبيه والشرك بالله بين المسلمين ؟؟!! .

(1) ـ لكني لا أشك في أن هوى المحقق يدور مع أبي يعلى ، لأن بينهما علاقة حميمة .

(2) ـ وج : اسم موضع بالطائف .

(3) ـ قال ابن الجوزي ردا عليه في دفع الشبه ص51 : ((هذا الرجل يشير بأصولهم إلى ما يوجب التجسيم والتشبيه والانتقال والحركة ، وهذا مع التشبيه بعيد عن اللغة ومعرفة التواريخ وأدلة العقول ..)) اهـ .

(1) ـ لا أدري كيف يجمع أبو يعلى وطائفته بين قولهم عن الله بأنه وطأ الصخرة وأرض الطائف وأنه ينـزل ويهبط بذاته إلى السماء الدنيا كل ذلك على الظاهر والحقيقة ، كيف يجمعون بين هذا وبين صفة العلو التي يثبتونها على الظاهر والحقيقة أيضا !! ، علو ونزول وهبوط ووطء في آن واحد وكل ذلك على الظاهر والحقيقة ، فسبحان الله ، كيف ضاعت الحقائق عند هؤلاء الناس ؟؟!! .

(2) ـ رأيتُ ابن مَنْده ذكر في الرد على الجهمية هذه الرواية بلفظ ((.. من شعر الذراعين والصدر)) !!! ولا يخفى على القارئ الكريم أن حمل هذا الخبر على ظاهره يجر قطعا إلى الكفر ، وذلك أن من اعتقد أن شيئا من خلق الله تعالى قد خُلق من ذات الله ، وأن حقيقة هذا المخلوق من حقيقة الله فقد كفر كفرا أعظم ينقله عن الملة ، فهذا القول لا يختلف عن قول النصارى بأن المسيح روح الله على الحقيقة وأنه من ذاته ، فكذلك من حمل هذا الخبر على ظاهره فقد زعم أن الله خلق الملائكة من صفته ـ فالنور صفة من صفات الله عند أبي يعلى وأصحابه ـ ولهذا اضطر أبو يعلى إلى تأويل (من نور ..) بمعنى خَلَقَ بنوره ، فالله يخلق بنوره تشريفا كما يخلق بيده تشريفا ، كذا قال أبو يعلى ، وهذا تأويل جيد ، ولكن الخبر باطل فلا حاجة إلى ذلك .

(1) ـ قد تقدم قول الإمام أبي بكر بن العربي في كتابه الشهير (العواصم من القواصم) ص209 ما نصه :

((.. وأخبرني من أثق به من مشيختي أن أبا يعلى محمد بن الحسين الفراء رئيس الحنابلة ببغداد كان يقول إذا ذكر الله تعالى وما ورد من هذه الظواهر في صفاته يقول : ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه إلا اللحية والعورة !! ..)) اهـ وأنت رأيت وسترى بعد أن أبا يعلى لم يدع شيئا من أعضاء الإنسان الظاهرة إلا وأثبته صفة لله عز وجل >> >> وحسب ما نقله الإمام أبو بكر بن العربي المالكي يكون أبو يعلى متحرجا من إثبات العورة لله تعالى ، ولكنك تراه هنا في كتابه ((إبطال التأويلات)) يثبت الفخذ !! والفخذ من العورة ، وحينئذ يكون ما نقله الإمام أبو بكر المالكي عمن يثق به من شيوخه فيه شيء من التقصير ، لأن أبا يعلى قد أثبت من العورة (الفخذ) !! .

وأنا متعجب من ابن تيمية فإنه قال في (درء تعارض العقل والنقل) 5/237-239 ما نصه : ((وما نقله عنه أبو بكر بن العربي في العواصم كذب عليه عن مجهول لم يذكره أبو بكر ، وهو من الكذب عليه)) اهـ ، فكيف يُكَذِّبُ ما نقله الإمام أبو بكر بن العربي بعد كل ما قاله أبو يعلى في كتابه هذا ؟! فهو لم يدع شيئا إلا وجعله صفة لله حتى الفخذ !! فالحاصل أن الواقع أشد وأنكى وأمر مما نقله الإمام ابن العربي المالكي ، ولكن عين الرضى عن كل عيب كليلة .

---

(1) ـ الحقو هو الموضع البارز من الجنبين ، وهو المكان الذي يشد عليه الإزار ، وهما حقوتان اثنتان .

(2) ـ انظر فتح الباري 10/ 417 ـ 418 .

(1) ـ والمحقق البارع يخالف أبا يعلى في أصل النهج الذي أكد عليه غير مرة فيقول : (بل الصواب أنه يعقل معناها لكن لا يعلم كيفيتها ، وهذا هو مذهب السلف ، تفويض الكيفية لا تفويض المعنى) اهـ !! فانظر إلى تناقض منهجهم ، ذاك يقول لا تعقل ، وهذا يقول بل تعقل !! .

(1) ـ أبو عبدالله هذا هو الحسن بن حامد بن علي البغدادي المتوفى سنة ثلاث وأربعمائه ، له طامات من جنس هذه الأقوال ، وقد سجل ابن الجوزي بعضها في دفع شبه التشبيه منها قوله : (نؤمن بأن لله جنبا بهذه الآية) وقال أيضا : (ينزل بذاته بانتقال) وقال : (هو على العرش بذاته مماس له وينزل من مكانه الذي هو فيه وينتقل) وقال : (يجب الإيمان بما ورد من المماسة والقرب من الحق تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في إقعاده على العرش) وقال : (رأيت بعض أصحابنا يثبتون لله تعالى وصفا في ذاته بأنه يتنفس ، وقالوا : الرياح الهابة مثل العاصف والعقيم والجنوب والشمال والصبا والدبور مخلوقة ، إلا ريحا من صفاته ، هي ذات نسيم خيالي ، وهي من نفس الرحمن) هذه بعض أقوال ابن حامد ، قال ابن الجوزي بعد هذا ص66 : (على من يعتقد هذا اللعنة ، لأنه يثبت جسدا مخلوقا ، ما هؤلاء بمسلمين) اهـ . فهذا هو أبو عبدالله شيخ أبي يعلى !! .

(1) ـ العجيب أن أصحاب هذا المنهج يتشددون غاية التشدد في تنفير الناس من الأخبار الضعيفة ولو كانت في فضائل

الأعمال ، بل تجدهم في فضائل الأعمال أشد وأشد ، ويحذرون من كتب الزهديات ، والرقائق ونحوها ككتاب (إحياء علوم الدين) للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي بحجة أنها كتب حوت الضعيف والموضوع !! الذي أكثره في الفضائل بحيث لا يتضرر العامي كثيرا من قراءتها ، ولكنهم في نفس الوقت يتقاتلون على إخراج كتب محشوة بالباطل الواهي الموضوع المتعلق بالعقائد وذات الله جل وعلا ككتاب أبي يعلى هذا والنقض المنسوب لعثمان بن سعيد والأربعين للهروي الصوفي ومختصر البيان للسجزي الصوفي وكثير غيرها مما الموضوعات فيها تتعلق بالعقائد وتتكلم بالباطل عن ذات الله تعالى مباشرة ـ سبحانه ـ وتنتقص بعض الأنبياء ، ولا تجد مع هذا غيرة من ناشريها على الدين ، بل تسارعا إلى طبعها وتوزيعها بكل جرأة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(1) ـ جاءت هذه الرواية في كتاب (الغَيْلانِيَّات) ط1/ دار ابن الجوزي 543/1 ، وعنه نقل أبو يعلى هنا ، وكذلك نقلها ابن القيم عن الغيلانيات في اجتماع الجيوش في باب (ذكر أقوال الجن المؤمنين المثبتين) ساكتا مقرا !! ، وقد رأيت طبعتين من (اجتماع الجيوش) قد حُذفت منهما العبارة التالية لقبحها عمدا : (على حوت من نور يتلجلج) !! ، وهي ثابتة في الغيلانيات الذي نقل منه ابن القيم ، كما هي ثابتة لدى أبي يعلى ، وقد أوردها كذلك بهذا اللفظ الحافظ ابن حجر في (الإصابة) 130/3 وعزاها للدارقطني في الأفراد ، والشيرازي في الألقاب ، والطبراني في الكبير ، ثم قال الحافظ ابن حجر رحمه : ((وعبدالله بن الحسين من شيوخ الطبراني ، وقد ذكره ابن حبان في كتاب الضعفاء فقال : يقلب الأخبار

ويسرقها لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد .. وقال : له نسخة أكثرها مقلوبة اهـ)) اهـ كلام الحافظ .

(2) ـ قال إمام الحفاظ وسيد أهل الحديث في عصره ـ مَن العلماء عيالٌ على كتبه في الحديث ـ الإمام الكبير أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفى سنة (463هـ) في كتابه الجليل : (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) 107/2 ـ ط المعارف ـ الرياض ـ 1403هـ : ((ويتجنب المحدث في أماليه رواية ما لا تحتمله عقول العوام ، لما لا يُؤمَن عليهم فيه من دخول الخطأ والأوهام وأن يشبهوا الله تعالى بخلقه >> >> ويلحقوا به ما يستحيل في وصفه وذلك نحو أحاديث الصفات التي ظاهرها يقتضي التشبيه والتجسيم وإثبات الجوارح والأعضاء للأزلي القديم ، وإن كانت الأحاديث صحاحا ولها في التأويل طرق ووجوه ، إلا أن من حقها أن لا تروى إلا لأهلها خوفا من أن يضل بها من جهل معانيها فيحملها على ظاهرها أو يستنكرها فيردها ويكذب رواتها ونقلتها ..)) اهـ ، وهذا كلام جليل القدر ، فانظر كيف تجاوز أبو يعلى الصحاح إلى الموضوعات !!! .

---

(1) ـ لم يقف الأمر عند أبي يعلى ، بل قلده من بعده جماعة من تلاميذه في منهجه ، وقد لقي الإمام أبو بكر بن العربي المالكي جماعة منهم في رحلته فقال في (العواصم من القواصم) ص210 : ((وكان رأس هذه الطائفة بالشام أبو

الفرج الحنبلي بدمشق ، وابن الرميلي المحدث ببيت المقدس ، والقطرواني بنواحي نابلس ، والفاخوري بديار مصر ، ولحقت منهم ببغداد أبا الحسين بن أبي يعلى الفراء ، وكل منهم ذو أتباع من العوام ، جمعا غفيرا ، عصبة عصية عن الحق ، وعصبية على الخلق ، ولو كانت لهم أفهام ، ورزقوا معرفة بدين الإسلام ، لكان لهم من أنفسهم وازع ، لظهور التهافت على مقالاتهم ، وعموم البطلان لكلماتهم ، ولكن الفدامة استولت عليهم ، فليس لهم قلوب يعقلون بها ، ولا أعين يبصرون بها ، ولا آذان يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ..)) اهـ ، رحم الله هذا الإمام ، فكيف يصنع لو رأى كتب أبي إسماعيل الهروي الصوفي ، أو أبي نصر السجزي الصوفي ، وكانوا من أصحاب أبي يعلى ، بل كيف لو رأى كتب ذي المعايب والمخازي أبي علي الأهوازي ـ وحاله في الميزان واللسان مفضوح وهو من أصحاب ابن حامد وأبي يعلى ـ الذي يقول عنه إمام أهل الحديث سيد الحفاظ الإمام الكبير أبو القاسم بن عساكر في (تبيين كذب المفتري) ص369 ما صورته : ((فأغص الله الأهوازي بريقه وفض فاه ، فإنه كان في اعتقاده سالميا مشبها مجشما حشويا ، ومن وقف على كتابه الذي سماه كتاب (البيان في شرح عقود أهل الإيمان) الذي صنفه في أحاديث الصفات ، واطلع على ما فيه من الآفات ، ورأى ما فيه من الأحاديث الموضوعة ، والروايات المستنكرة المدفوعة ، والأخبار الواهية الضعيفة ، والمعاني المتنافية السخيفة ، كحديث ركوب الجمل !! وعرق الخيل !! قضى عليه في اعتقاده بالويل ، وبعض هذا الكتاب موجود بدمشق بخط يده ، فمن أراد الوقوف عليه فليقف ليتحقق سوء

معتقده ..)) اهـ كلام الحافظ ، وهو صادق ، ولعلهم يطبعون كتاب التلميذ يوما ما ، كما طبعوا كتاب الأستاذ !! ، (بأبه اقتدى عدي في الكرم ـ ومن يشابه أبه فما ظلم) .

عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ

تصنيف

الإِمَامِ
حُجَّةِ الإِسْلَامِ
أبي حامدٍ محَمَّدِ بنِ محَمَّدٍ الغَزَّالي
رحمه الله (505هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي رحمه الله:
الحمد للّه المبدئ المعيد ، الفعال لما يريد ، ذي العرش المجيد ، والبطش الشديد ، الهادي صفوة العبيد ، إلى المنهج الرشيد ، والمسلك السديد ، المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد ، بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد ، السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد ، المتجلي لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه

التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد ، المعرف إياهم أنه في ذاته واحد لا شريك له ، فرد لا مثيل له ، صمد لا ضد له ، منفرد لا ند له وأنه واحد قديم لا أول له ، أزلي لا بداية له ، مستمر الوجود لا آخر له ، أبدي لا نهاية له ، قيوم لا انقطاع له ، دائم لا انصرام له ، لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال ، لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال ، بتصرم الآباد وانقراض الآجال ، بل {هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم} ، وأنه ليس بجسم مصور ، ولا جوهر محدود مقدر ، وأنه لا يماثل الأجسام ، لا في التقدير ولا في قبول الانقسام ، وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ، ولا بعرض ولا تحله الأعراض ، بل لا يماثل موجوداً ، ولا يماثله موجود {ليس كمثله شيء} ولا هو مثل شيء ، وأنه لا يحده المقدار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تحيط به الجهات ، ولا تكتنفه الأرضون ولا السماوات ، وأنه مستو على العرش ، على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواء منـزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال ، لا يحمله العرش ، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون في قبضته ، وهو فوق العرش والسماء ، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى ، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء ، كما لا تزيده بعداً عن الأرض والثرى ، بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء ، كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد {وهو على كل شيء شهيد} إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام ، كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام ، وأنه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء ، تعالى عن أن يحويه

مكان ، كما تقدس عن أن يحده زمان ، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ما عليه كان ، وأنه بائن عن خلقه بصفاته ، ليس في ذاته سواه ، ولا في سواه ذاته ، وأنه مقدس عن التغير والانتقال ، لا تحله الحوادث ، ولا تعتريه العوارض ، بل لا يزال في نعوت جلاله منـزهاً عن الزوال ، وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال ، وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول ، مرئي الذات بالأبصار نعمة منه ولطفاً بالأبرار في دار القرار ، وإتماماً منه للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم ، وأنه تعالى حي قادر ، جبار قاهر ، لا يعتريه قصور ولا عجز ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يعارضه فناء ولا موت ، وأنه ذو الملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، له السلطان والقهر ، والخلق والأمر ، والسماوات مطويات بيمينه ، والخلائق مقهورون في قبضته ، وأنه المنفرد بالخلق والاختراع ، المتوحد بالإيجاد والإبداع.

خلق الخلق وأعمالهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم ، لا يشذ عن قبضته مقدور ، ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور ، لا تحصى مقدوراته ، ولا تتناهى معلوماته ، وأنه عالم بجميع المعلومات ، محيط بما يجري من تخوم الأرضين إلى أعلى السماوات ، وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر وأخفى ، ويطلع على هواجس الضمائر ، وحركات الخواطر ، وخفيات السرائر ، بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفاً به في أزل الآزال ، لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال ، وأنه تعالى مريد للكائنات ، مدبر للحادثات

، فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير ، صغير أو كبير ، خير أو شر ، نفع أو ضر ، إيمان أو كفر عرفان أو نكر ، فوز أو خسران ، زيادة أو نقصان ، طاعة أو عصيان ، إلا بقضائه وقدره ، وحكمته ومشيئته ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر ، بل هو المبدئ المعيد ، الفعال لما يريد ، لا راد لأمره ، ولا معقب لقضائه ، ولا مهرب لعبد عن معصيته ، إلا بتوفيقه ورحمته ، ولا قوة له على طاعته ، إلا بمشيئته وإرادته ، فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك ، وأن إرادته قائمة بذاته في جملة صفاته ، لم يزل كذلك موصوفاً بها ، مريداً في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها فوجدت في أوقاتها كما أراده في أزله ، من غير تقدم ولا تأخر ، بل وقعت على وفق علمه وإرادته ، من غير تبدل ولا تغير ، دبر الأمور لا بترتيب الأفكار ولا تربص زمان ، فلذلك لم يشغله شأن عن شأن ، وأنه تعالى سميع بصير ، يسمع ويرى ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي ، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق ، ولا يحجب سمعه بُعد ولا يدفع رؤيته ظلام ، يرى من غير حدقة وأجفان ، ويسمع من غير أصمخة وآذان ، كما يعلم بغير قلب ، ويبطش بغير جارحة ، ويخلق بغير آلة ، إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق ، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق ، وأنه تعالى متكلم آمر ناه ، واعد متوعد بكلام أزلي قديم قائم بذاته ، لا يشبه كلام الخلق ، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ، ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان ، وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه

المنـزلة على رسله عليهم السلام ، وأن القرآن مقروء بالألسنة ، مكتوب في المصاحف ، محفوظ في القلوب ، وأنه مع ذلك قديم ، قائم بذات اللّه تعالى ، لا يقبل الانفصال والافتراق ، بالانتقال إلى القلوب والأوراق ، وأن موسى صلى اللّه عليه وسلم سمع كلام اللّه بغير صوت ولا حرف ، كما يرى الأبرار ذات اللّه تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عرض.

وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله ، على أحسن الوجوه وأكملها ، وأتمها وأعدلها ، وأنه حكيم في أفعاله عادل في أقضيته ، لا يقاس عدله بعدل العباد ، إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من اللّه تعالى ، فإنه لا يصادف لغيره ملكاً حتى يكون تصرفه فيه ظلماً ، فكل ما سواه من إنسٍ وجن ومَلَكٍ وشيطان وسماءٍ وأرض وحيوانٍ ونبات وجماد وجوهرٍ وعَرَض ومدركٍ ومحسوس حادثٌ اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا ، وأنشأه إنشاء بعد أن لم يكن شيئا ، إذ كان موجوداً وحده ولم يكن معه غيره ، فأحدث الخلق بعد ذلك إظهاراً لقدرته ، وتحقيقاً لما سبق من إرادته ، ولِمَا حق في الأزل من كلمته ، لا لافتقاره إليه وحاجته ، وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ، ومتطول بالإنعام والإصلاح لا عن لزوم ، فله الفضل والإحسان والنعمة والامتنان ، إذ كان قادراً على أن يصب على عباده أنواع العذاب ، ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب ، ولو فعل ذلك لكان منه عدلاً ولم يكن منه قبيحاً ولا ظلماً ، وأنه عز وجل يُثَبّت عبادَهُ المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد ، لا بحكم الاستحقاق واللزوم ، إذ لا يجب عليه لأحد فعل ، ولا

يتصور منه ظلم ، ولا يجب لأحد عليه حق ، وأن حقه في الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على ألسنة أنبيائه عليهم السلام ، لا بمجرد العقل ، ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة ، فبلّغوا أمره ونهيه ، ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به ، وأنه بعث النبي الأمي القرشي محمداً صلى اللّه عليه وسلم برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس فنسخ بشريعته الشرائع إلا ما قرره منها ، وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر ، ومنع كمال الإيمان بشهادة التوحيد ، وهو قول "لا إله إلا اللّه" ما لم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك "محمد رسول اللّه" وألزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة ، وأنه لا يُقبل إيمانُ عبدٍ حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت ، وأوله سؤال منكر ونكير ، وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له : من ربك وما دينك ومن نبيك ، وهما فتانا القبر وسؤالهما أول فتنة بعد الموت ، وأن يؤمن بعذاب القبر ، وأنه حق ، وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء ، وأن يؤمن بالميزان ذي الكفتين واللسان ، وصِفَتُهُ في العِظَم أنه مثل طبقات السماوات والأرض ، توزن الأعمال بقدرة اللّه تعالى والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقاً لتمام العدل ، وتوضع صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند اللّه بفضل اللّه ، وتطرح صحائف السيئات في صورة قبيحة في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل اللّه ، وأن يؤمن بأن الصراط حق ، وهو جسر ممدود على متن جهنم ، أحدّ من

السيف وأدق من الشعرة ، تزل عليه أقدام الكافرين بحكم اللّه سبحانه فتهوي بهم إلى النار ، وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل اللّه فيساقون إلى دار القرار ، وأن يؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى اللّه عليه وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، عرضه مسيرة شهر ، وماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، حوله أباريق عددها بعدد نجوم السماء ، فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر ، وأن يؤمن بالحساب ، وتفاوت الناس فيه إلى مناقَش في الحساب ، وإلى مسامح فيه ، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب ، وهم المقربون فيسألُ اللّهُ تعالى من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ، ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ، ويسأل المبتدعة عن السنة ، ويسأل المسلمين عن الأعمال ، وأن يؤمن بإخراج المُوَحِّدين من النار بعد الانتقام ، حتى لا يبقى في جهنم مُوَحّدٌ بفضل اللّه تعالى ، فلا يخلد في النار موحّد ، وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ، ثم سائر المؤمنين ،كل على حسب جاهه ومنـزلته عند اللّه تعالى ، ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أُخْرِجَ بفضل اللّه عز وجل فلا يخلد في النار مؤمن ، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ، وأن يعتقد فضل الصحابة رضي اللّه عنهم وترتيبهم ، وأن أفضل الناس بعد النبي صلى اللّه عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي اللّه عنهم ، وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما أثنى اللّه عز وجل ورسوله صلى اللّه عليه وسلم عليهم أجمعين ، فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار ، فمن اعتقد جميع ذلك موقناً به ، كان من

أهل الحق وعصابة السنة ، وفارَقَ رَهْطَ الضلال وحِزْبَ البدعة ، فنسأل اللّه كمال اليقين وحسن الثبات ، لنا ولكافة المسلمين ، برحمته إنه أرحم الراحمين ، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين.

من فتاوى علماء الأزهر الشريف

في معتقد الحلول والجهة الحسية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام العلامة المحدث المجدد أبو محمد محمود بن محمد بن أحمد بن خطاب السبكي الأزهري مؤسس الجمعية الشرعية بمصر وصاحب (المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود) المتوفى سنة 1352هـ رحمه الله تعالى قال في كتابه (إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات) .. ص2 :

الحمد لله رب العالمين ، المنـزه عن صفات المخلوقين ، كالجهة والجسمية والمكان والفوقية ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، الذي جاء بمحو الشرك والإلحاد وأمرنا بتنزيه الله

تعالى عن صفات العباد ، والنـزل عليه (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد) وقوله : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

أما بعد) فيقول : محمود بن محمد بن أحمد خطاب السبكي : قد سألني بعض الراغبين في معرفة عقائد الدين ، والوقوف على مذهب السلف والخلف في المتشابه من الآيات والأحاديث بما نصه :

نص سؤال السائل:

ما قول السادة العلماء حفظهم الله تعالى فيمن يعتقد أن الله عز وجل له جهة !! وأنه جالس على العرش في مكان مخصوص !! ويقول : ذلك هو عقيدة السلف !! ويحمل الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد ويقول لهم من لم يعتقد ذلك يكون كافرا !! مستدلا بقوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) وقوله عز وجل : (ءأمنتم من في السماء) أهذا الاعتقاد صحيح أم باطل ؟؟؟ وعلى كونه باطلا أيكفر ذلك القائل باعتقاده المذكور ويبطل كل عمله من صلاة وصيام وغير ذلك من الأعمال الدينية وتبين منه زوجه ؟؟؟ وإن مات على هذه الحال قبل أن يتوب لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ؟؟؟ وهل مَنْ صَدّقَه في ذلك الاعتقاد يكون كافرا مثله ؟؟ وما قولكم فيما يقوله بعض الناس من أن القول بنفي الجهات الست عن الله تعالى باطل لأنه يلزم عليه نفي وجود الله تعالى ؟؟؟

أفيدونا مأجورين مع بيان مذهب السلف والخلف في هاتين الآيتين ونحوهما من الآيات المتشابهات كـ(إليه يصعد الكلم الطيب) وأحاديث الصفات كحديث (ينـزل ربنا إلى السماء الدنيا) وحديث البجارية بيانا شافيا مع ذكر أقوال علماء التفسير والحديث والفقه والتوحيد مع الإيضاح الكامل لتنقطع ألسنة المجازفين الذين يشبهون الله تعالى بخلقه ويعتقدون أن ما ذهب إليه علماء الخلف من التأويل كفر زاعمين أنه مذهب الجهمية الكفرة ، وأشاعوا ذلك بين العوام !! جزاكم الله تعالى عن الدين وأهله أحسن الجزاء .

نص جواب الإمام أبي محمد محمود خطاب السبكي رحمه الله:

فأجبت بعون الله تعالى فقلت :
بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الهادي إلى الصواب ، والصلاة والسلام على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب ، وعلى آله وأصحابه الذين هداهم الله ورزقهم التوفيق والسداد ، أما بعد ،
فالحكم أن هذا الاعتقاد باطل ومعتقده كافر بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين ، والدليل العقلي على ذلك : قدم الله تعالى ومخالفته للحوادث ، والنقلي قال تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فكل من اعتقد أنه تعالى حل في مكان أو اتصل به أو بشيء من الحوادث كالعرش أوالكرسي أو السماء أو الأرض أو غير ذلك فهو كافر قطعا ، ويبطل جميع عمله من صلاة وصيام وحج وغير ذلك ، وتبين منه زوجه وعليه أن يتوب فورا ، وإذا مات على هذا الاعتقاد ـ والعياذ بالله تعالى ـ

لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ، ومثله في ذلك كله من صدقه في اعتقاده أعاذنا الله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وأما حمله الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد المكفر وقوله لهم من لم يعتقد ذلك يكون كافرا !! فهو كفر وبهتان عظيم ، واستدلاله على زعمه الباطل بهاتين الآيتين ونحوهما أن الله عز وجل يحل في عرشه أو يجلس عليه أو يحل في سماء أو نحو ذلك مما تزعمه تلك الشرذمة ، مع أن كلام الله غير مخلوق وهو من صفات الله تعالى القديمة الموجودة قبل وجود العرش والسماوات ، فالله تعالى موصوف بأنه استوى على العرش قبل وجود العرش ، وهل كان جالسا ـ على زعمهم ـ على العرش المعدوم قبل وجوده ؟؟!! وهل جل جلاله في السماء قبل خلق السماء ؟؟!! هذا مما لا يتوهمه عاقل ، وهل العقل يصدق بحلول القديم في شيء من الحوادث ؟؟!! فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وعلى الجملة فهذا القائل المجازف وأمثاله قد ادعوا ما لا يقبل الثبوت لا عقلا ولا نقلا ، وقد كفروا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، والطامة الكبرى التي نـزلت بهؤلاء دعواهم أنهم سلفيون !!!!! ، وهم عن سبيل الحق زائغون ، وعلى خيار المسلمين يعيبون ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وأما مذهب السلف والخلف بالنسبة للآيات والأحاديث المتشابهة فقد اتفق الكل على أن الله تعالى منـزه عن صفات الحوادث ، فليس له عز وجل مكان في العرش ولا في السماء ولا في غيرهما ، ولا يتصف بالحلول في شيء من الحوادث ، ولا بالاتصال بشيء منها ، ولا بالتحول والانتقال ونحوهما من صفات الحوادث ، بل هو سبحانه وتعالى على ما كان عليه قبل

خلق العرش والكرسي والسماوات وغيرها من الحوادث ، (قال الحافظ في الفتح) :
((اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير)) اهـ .
وإنما اختلفوا في بيان المعنى المراد من هذه الآيات والأحاديث ، فالسلف رضي الله عنهم يؤمنون بها كما وردت معتقدين أنها مصروفة عن ظاهرها لقوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ويفوضون علم المراد منها إلى الله تعالى لقوله : (وما يعلم تأويله إلا الله) فيقولون في آية (الرحمن على العرش استوى) استوى استواء يليق به لا يعلمه إلا هو عز وجل ، وفي آية (ءأمنتم من في السماء) نؤمن بها على المعنى الذي أراده سبحانه وتعالى مع كمال التنـزيه عن صفات الحوادث والحلول ويقولون في آية (يد الله فوق أيديهم) له يد لا كأيدينا ولا يعلمها إلا هو تعالى ، وهكذا في سائر الآيات المتشابهة ، قال الإمام الجليل السلفي ابن كثير في الجزء الثالث من تفسيره صفحة 488 ما نصه :
((وأما قوله تعالى : (ثم استوى على العرش) فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها ، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله تعالى ، فإن الله لا يشبهه

شيء من خلقه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال : من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى ونفى عن الله النقائص فقد سلك سبيل الهدى)) اهـ .

ونحوه في سائر تفاسير الأئمة المحققين ، ويقولون في حديث (ينـزل ربنا إلى سماء الدنيا) ينـزل نزولا يليق به لا يعلمه إلا هو تعالى ، وأما حديث الجارية وهو ما أخرجه مسلم وأبو داود في باب نسخ الكلام في الصلاة من طريق معاوية بن الحكم ، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للجارية : (أين الله ؟) قالت : (في السماء) قال : (من أنا ؟) قالت : (أنت رسول الله) قال أعتقها فإنها مؤمنة ، فيقولون فيه ما قالوه في آية (ءأمنتم من في السماء) وهكذا سائر أحاديث الصفات المتشابهة ، واستدلوا على ذلك بقول الله عز وجل (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله) قالوا الوقف هنا تام ، وأما الراسخون في العلم إلخ فكلام مستأنف لبيان أن أكابر ذوي العلم مصدقون بثبوت المتشابه في القرآن .
وأما الخلف رحمهم الله تعالى فيقولون في هذه الآيات والأحاديث هي معروفة المعنى ، فمعنى (الرحمن على العرش استوى) استولى بالقهر والتصرف ، ومعنى(ءأمنتم من في

السماء) من في السماء عذابه أو سلطانه ومصدر أمره ، أو هو كناية عن تعظيم الله تعالى بوصفه بالعلو والعظمة ، وتنـزيهه عن السفل والتحت لا أنه سبحانه وتعالى حال فيها !! لأن الحلول من صفات الأجسام وأمارات الحدوث والله منـزه عن ذلك ، ومعنى (ينـزل ربنا إلى سماء الدنيا) ينـزل رسوله أو رحمته ، وأما إقرار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الجارية على إشارتها نحو السماء فاكتفاء منها بما يدل على عدم شركها لتعتق ، لأنه بإشارتها إلى السماء علم أنها ليست ممن يعبد الأصنام التي في الأرض ، وهكذا في سائر الآيات والأحاديث بناء منهم على كون الوقف في الآية الشريفة على قوله تعالى (والراسخون في العلم) مستدلين على ذلك بكون القرآن عربيا ، ولغة العرب ناطقة بتلك المعاني ، والفضل الزائد للسلف .

فمن نسب إلى علماء السلف أو الخلف شيئا خلاف ذلك فهو ضال مضل ، ومن قال إن مذهب علماء الخلف هو مذهب الجهمية فهو مفتر كذاب ، فإن الجهمية أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات كلها ، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان ، وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط ، وقال لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز ، كما يقال زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به ، وزعم أيضا أن علم الله تعالى حادث ، وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء حي أوعالم أو مريد ، وقال لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء موجود وحي وعالم ومريد ونحو ذلك ، ووصفه بأنه قادر وموجد وفاعل

وخالق ومحيي ومميت ، لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده ، وقال بحدوث كلام الله تعالى كما قالته القدرية ، ولم يسم الله تعالى متكلما به ، وأكفره أصحابنا في جميع ضلالاته وأكفرته القدرية في قوله بأن الله تعالى خالق أفعال العباد ، فاتفق أصناف الأمة على تكفيره انتهى من (الفرق بين الفرق) للإمام أبي منصور عبدالقاهر بن طاهر البغدادي صفحة تسع وتسعين ومائة ، ومنه تعلم أن علماء الخلف برآء من هذا المذهب ومن أهله .

وأما ما قيل من أنه يلزم من نفي الجهات الست عن الله نفي وجوده !! فهو قول باطل بالبداهة لما هو معلوم من أن الله عز وجل كان موجودا قبل وجود الجهات الست المذكورة ، وهي فوق وتحت وأمام وخلف ويمين وشمال ، بل كان موجودا قبل وجود العالم كله بإجماع السابقين واللاحقين ، فكيف يتوهم من عنده أدنى شائبة عقل أنه يلزم من نفي تلك الجهات عنه سبحانه وتعالى نفي وجوده جل وعلا ؟؟!! وكيف يتصور أن الله عز وجل القديم يتوقف وجوده على وجود بعض الحوادث أو كل الحوادث التي خلقها ؟؟!! سبحانك هذا بهتان عظيم ، كيف وقد قال جمع من السلف والخلف إن من اعتقد أن الله في جهة فهو كافر كما صرح به العراقي ، وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي وأبو الحسن الأشعري والباقلاني ، ذكره العلامة ملا علي قاري في (شرح المشكاة) من الجزء الثاني صفحة 137 ، قال الله تعالى : (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وقال تعالى : (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) نسأل الله تعالى أن يهدينا جميعا إلى الطريق

المستقيم ويحول بيننا وبين نزعات الشيطان الرجيم ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى من كان بهديه من العاملين .

هذا وقد عرضت هذه الإجابة على جمع من أفاضل علماء الأزهر فأقروها وكتبوا عليها أسماءهم وهم أصحاب الفضيلة : الشيخ محمد النجدي شيخ السادة الشافعية ، والشيخ محمد سبيع الذهبي شيخ السادة الحنابلة ، والشيخ محمد العزبي رزق المدرس بالقسم العالي ، والشيخ عبدالحميد عمار المدرس بالقسم العالي ، والشيخ علي النحراوي المدرس بالقسم العالي ، والشيخ دسوقي عبدالله العربي من هيئة كبار العلماء ، والشيخ علي محفوظ المدرس بقسم التخصص بالأزهر ، والشيخ إبراهيم عيارة الدلجموني المدرس بقسم التخصص بالأزهر ، والشيخ محمد عليان من كبار علماء الأزهر ، والشيخ أحمد مكي المدرس بقسم التخصص بالأزهر ، والشيخ محمد حسين حمدان. انتهت الفتوى .

موقف القرآن من التجسيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بين المولى سبحانه وتعالى ما في المسيح وأمه عليهما السلام من نقص فطري فقال جل من قائل :

((ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام)) .

فمن المحال أن يكون الله جل وعلا إنما أراد أن يخبرنا فقط بأنهما يأكلان الطعام ، بل أراد أن ينبهنا إلى احتياجهما إلى الطعام وهو نقص يجل الله تعالى عنه ويتعالى ، فمن كانت هذه صفته فلا يكون إلها ، ومن ثم أجمع المسلمون على أن الله منزه عن الطعام ، فمن زعم أن الطعام جائز على الله ، أو قال لا نثبته ولا ننفيه فقد كفر لتجويزه النقص على الله ولعدم نفيه ما نفى الله .

فكما دلنا الله على أن الطعام نقص لا يجوز عليه وأنه منزه عنه فكذلك دلنا على أن العجل الذي عبده بنو إسرائيل كان محل الخلل والنقص فقال تعالى : ((واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ..)) وقال تعالى : ((فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار ..)) .

أراد المولى جل وعز أن ينبهنا على مواطن النقص في هذا المعبود بالباطل فهو (جسد) .

قال الإمام ابن جرير الطبري :
((يُخْبِر جَلَّ ذِكْره عَنْهُمْ أَنَّهُمْ ضَلُّوا بِمَا لَا يَضِلّ بِمِثْلِهِ أَهْل الْعَقْل , وَذَلِكَ أَنَّ الرَّبّ جَلَّ جَلَاله الَّذِي لَهُ مُلْك السَّمَوَات وَالْأَرْض وَمُدَبِّر ذَلِكَ , لَا يَجُوز أَنْ يَكُون جَسَدًا لَهُ خُوَار ..)) اهـ .

وهذا نقص والجسد عند العرب هو الجسم لا يختلفون فيه بينهم ، فمن زعم أن الله جسد !! أو قال لا أدري إذا كان جسدا أم لا ، أو قال لا أثبته ولا أنفيه فقد جوز على الله ما عابه الله على العجل ، فكذلك من قال لا أثبت الجسم ولا أنفيه عن الله هو مكذب لكتاب الله راد له لأن الجسم والجسد شيء واحد في لسان العرب وتخاطبهم فمن فرق فقد ابتدع ومن لم يفرق لزمه نفي هذا النقص عن الله وإلا كفر بمعاندته لربه جل وعلا .
ولا يقال ننفي الجسد ونسكت عن الجسم !! لأن هذا كمن قال أنفي عن الله الطعام أما الأكل فلا ننفي ولا نثبت !! أو كمن قال أنفي عنه السنة والنوم ولا أنفي عنه الرقاد !! وذلك أنه لا يختلف العرب أن النوم والرقاد شيء واحد وأن الطعام والأكل شيء واحد ، فكذلك لا يختلفون فيما بينهم أن الجسد والجسم شيء واحد .

ففي القاموس المحيط للفيروزآبادي :
((الجَسَدُ، محركةً: جِسْمُ الإِنْسَانِ والجِنِّ والملائِكَةِ، والزَّعْفَرَانُ، كالجِسَادِ، ككِتابٍ، وعِجْلُ بني إسرائيلَ، والدَّمُ اليَابِسُ، كالجَسِدِ والجاسِدِ والجَسِيدِ.)) اهـ .

وفي مختار الصحاح ومختصره :
((جسد ، ج س د: الجَسَدُ البدن تقول منه تَجَسَّدَ كما تقول من الجسم تجسم و الجَسَدُ أيضا الزعفران ونحوه من الصبغ وقيل في قوله تعالى ((عجلا جسدا)) أي أحمر من ذهب ..)) اهـ .

وفيه أيضا :
((جسم ، ج س م: أبو زيد الجِسْمُ الجسد وكذا الجُسْمانُ و الجُثْمانُ وقال الأصمعي الجسم والجسمان الجسد والجثمان الشخص ..)) اهـ .

وفي لسان العرب :
((الجسد: جسم الإِنسان ولا يقال لغيره من الأَجسام المغتذية، ولا يقال لغير الإِنسان: جسد من خلق الأَرض...)) اهـ .

فمن عرف الجسم ما هو فقال بعد هذا لا أنفي ولا أثبت فقد جوز على الله أن يكون جسما وكفر .

ومن نفى معنى الجسم عن الله ولم ينف لفظ الجسم وزعم أنه يجوز أيكون له معنى غير معنى جسد وجرم وبدن مما لعله يجوز على الله فقد ابتدع وضل وفارق السنة والجماعة .

فائدة تاريخية

متى ومن سمع بكتب المجسمين في الأزهر ؟

مذكرات الشيخ يوسف القرضاوي مفيدة جدا لمعرفة منهجه وعقيدته شرط ألا تقرأها بعيون الآخرين ، يقول الأستاذ:

بداية الدراسة بالكلية.. والإفراج عن ابن تيمية

بدأت الدراسة بالكلية مع بداية العام الدراسي، وانتظمت صفوف الدراسة من أول يوم، وأقبلت على الدراسة بشغف وحرص وعزم، بعد أن سلمونا عددًا من الكتب، واشترينا عددًا منها، وكانت سُنَّة حميدة من الكلية أن تسلم الطلاب معظم الكتب المقررة، وكتبًا أخرى للمطالعة والاستزادة.

وكان من هذه الكتب الإضافية كتاب (زاد المعاد) للإمام ابن

القيم (طبعة صبيح) وهي طبعة غير محققة، ولكنها أفادتني كثيرًا.

وكان هذا من التطور الذي حدث في عهد الإمام المراغي: أن تُقبل كتب ابن تيمية وابن القيم وتوزع على طلاب الأزهر، فقد كان الأزهر قبل ذلك يقاوم فكر هؤلاء، ويحشرهم في زمرة (المجسِّمين).

وكان يدرسنا عدد من الأساتذة بعضهم من خريجي (تخصص المادة) أو حملة (العالمية من درجة أستاذ) وأكثرهم مشايخ الأزهر القدماء.

وكان من الأولين الأستاذ الشيخ محمد بيصار، (الذي عُيِّن شيخًا للأزهر فيما بعد) الذي كان يدرسنا علم التوحيد في كتاب (العقائد النسفية)، وهو كتاب قديم مصوغ صياغة مركَّزة على مذهب الأشاعرة، وقد شرحه علامة عصره سعد الدين التفتازاني، ثم وضعت عليه حاشيتان: حاشية للخيالي، وحاشية أخرى للعصام الإسفراييني، ووضعت على حاشية الخيالي حاشية أيضًا لعبد الحكيم السيالكوني، فكانت هذه الكتب الخمسة: المتن، والشرح، والحواشي الثلاثة كلها في صفحة واحدة، بعضها في الصلب، وبعضها في الحاشية، وبعضها في الهامش، ويفصل بينها بخطوط حاجزة.

التحفة الأزهرية

إطلالة على مصطلح حشوية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن تيمية كما في (المنتقى من منهاج السنة) ط1418هـ أوقاف المملكة ص122
((والكتاب والسنة ليس فيهما ، لفظة (ناصبة) ولا (مشبهة) ولا (حشوية) بل ولا فيهما لفظ (رافضي) فنحن إذا قلنا (رافضة) نذكره للتعريف ، لدخول أنواع مذمومة بالنص فيه ، فيبقى علما على هؤلاء الجهلة الذين عدموا الصدق والتوفيق)) اهـ .

فإذا علمت هذا بان لك أن كل هذه الألفاظ ليست في الكتاب ولا

السنة فكيف جاز إطلاقها ؟؟ نعم لا مشاحة في الاصطلاح وهذا ما عناه ابن تيمية .

فإن قلت : (الحشوية) أطلقته المعتزلة أولا .
فالجواب من وجوه :

أولا : كلمة (الرافضة) أول من أطلقها الزيدية أيضا وهم يرون الخروج أولا ، ثم هم على رأي واصل بن عطاء ثانيا ، فلو لم يجز إطلاق حشوية لأن أول من نطق بها المعتزلة وهم مبتدعة ، لما جاز إطلاق رافضة لأن أول من أطلقها الزيدية ، فالجواب على هذا هو جوابنا على ذاك .

ثانيا : القول بأن أول من أطلق حشوية هم المعتزلة ، مبناه على ما نقل من قول عمرو بن عبيد عن عبدالله بن عمر بأنه حشوي كما نقله ابن تيمية مقلدا لغيره وقد عبر في منهاج السنة520/2 بلفظ : ((وقد قيل : إن أول من تكلم بهذا اللفظ عمرو بن عبيد ...)) وقيل صيغة تمريض تفيد الضعف ، ولا يروى عن عمرو بن عبيد بإسناد صحيح . !!

ثالثا : لا نسلم بأن عمرو بن عبيد أول من أطلقها لما نقل من إطلاق أهل السنة إياها في مجلس الحسن البصري ، ففي شرح المنهاج للإمام الإسنوي 309/1 :

((فائدة : اختلف في الحشوية ، فقيل بإسكان الشين ، لأن منهم المجسمة ، والجسم محشو ، والمشهور أنه بفتحها ، نسبة إلى

الحشا ، لأنهم كانوا يجلسون أمام الحسن البصري في حلقته فوجد كلامهم رديئا فقال ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة ، أي جانبها ، والجانب يسمى حشا ومنه الأحشاء لجوانب البطن)) اهـ .

فإن قلت : هذا نقل بلا سند ، قلنا : وذاك نقل بلا سند ، لكن هذا مشهور بصيغة الجزم ، وذاك غير مشهور بصيغة التمريض ، فأنت بين ثلاثة أمور ، إما الجمع بينهما ، أو الترجيح ، أو إسقاطهما والتوقف ، أما الجمع فنقول عمرو بن عبيد كان أحد المعتزلين لحلقة الحسن البصري وأحد من لقبهم الناس من أهل السنة بالحشوية لرداءة كلامهم ، فقال عمرو بن عبيد عن ابن عمر بأنه حشوي ، يقصد إن كان ما نقول في القدر ونحوه حشو فعبدالله بن عمر حشوي ، وهذا لسوء فهمه وضعف عقله ، فيكون المعتزلة قابلوا بها أهل السنة بعد أن أطلقها عليهم أهل السنة ، كما فعل القدرية لما سماهم أهل السنة بذلك فقالوا لأهل السنة بل أنتم القدرية لأنكم تقولون بالقدر .
وأما الترجيح وهو بالقرائن أو بالشواهد ، فليس عندك ما يرجح قولك على قولنا ، فلا يكون قولك أولى من قولنا ، ونحن عندنا لأنا مثبتون لقولها من الأقدم وأنتم نافون ، والمثبت مقدم على النافي ، ولأن قولنا هو المشهور كما قال الإسنوي ، وقولكم غير مشهور ، ولأن أهل السنة أطلقوه على المبتدعة وهذا كله مرجح لقولنا دون قولكم .
وأما التوقف في النقلين بإسقاطهما ، ثم النظر في غيرهما ، فقد وجدنا نحن من أطلقها من أهل السنة من أئمة أهل الحديث ، فقد روى الحاكم في (علوم الحديث) ص137 في باب (معرفة

مذاهب المحدثين) وقد ذكر الجـهـميـة والقدرية والشيعة والإرجاء .. ثم قال :
أخبرني أبو علي الحافظ قال أخبرني علي بن مسلم الإصبهاني قال حدثنا عقيل بن يحيى الإصبهاني قال سمعت أبا داود يقول : ((كان جرير بن حازم إذا قدم قال شعبة : قد جاءكم هذا الحشوي)) اهـ .

وهذا إسناد صحيح متصل ورجاله كلهم ثقات ، وقد روى هذا عبدالله بن أحمد في العلل والعقيلي في الضعفاء في ترجمة جرير ، وسنده كالشمس .
فهذا شعبة إمام من أئمة أهل السنة أطلق هذا على جرير بن حازم .

ثانيا :
إذا تقرر هذا فالنظر فيمن تطلق عليه هذه الكلمة ، فقد تطلق بحق كما يطلقها أهل السنة على بعض جهلة أهل الحديث ، وقد تطلق بباطل كما يطلقها المعتزلة على جميع أهل السنة لا سيما الأشاعرة لفرط العداوة بينهم وبين المعتزلة ، يقول ابن تيمية في المجموع 4/ 23 :

((فالذي يعيب بعض أهل الحديث وأهل الجماعة بحشو القول إنما يعيبهم بقلة المعرفة أو بقلة الفهم ، أما الأول فبأن يحتجوا بأحاديث ضعيفة أو موضوعة .. وأما الثاني فبأن لا يفهموا معنى الأحاديث الصحيحة ، بل قد يقولون القولين المتناقضين ... ولا ريب أن هذا موجود في بعضهم ... ثم إنهم بهذا المنقول الضعيف والمعقول السخيف قد يكفرون ويضللون ويبدعون

أقواما من أعيان الأمة ويجهلونم ، ففي بعضهم من التفريط في الحق والتعدي على الخلق ما قد يكون بعضه خطأ مغفورا ، وقد يكون منكرا من القول وزورا ، وقد يكون من البدع والضلالات التي توجب غليظ العقوبات ، فهذا لا ينكره إلا جاهل أو ظالم ، وقد رأيت من هذا العجائب ...)) اهـ كلام ابن تيمية .

فإذا تقرر هذا علمت أن إطلاق هذا اللقب على من يستحقه لا غضاضة فيه كما لا غضاضة في إطلاق لفظ الرافضة على من طعن في الصحب الكرام ..وقد جرى على هذا أئمة الزمان في كل آن..

قال ابن قتيبة في كتاب (الاختلاف في اللفظ) ط1/العلمية ص40 : ((ولمّا رأى قوم من الناس إفراط هؤلاء [يعني الجهمية] في النفي ، عارضوهم في التمثيل ، فقالوا بالتشبيه المحض ! ، والأقطار ! والحدود ! ، وحملوا الألفاظ الجائية في الحديث كما ظاهرها !! ، وقالوا بالكيفية فيها ، وحملوا من مستشنع الحديث : (عَرَق الخيل) ! ، و(حديث عرفات) ! ، وأشباه هذا من الموضوع ..)) اهـ ، وانظر (مع ابن قتيبة في العقيدة الإسلامية) ط الشركة العالمية ص122 .

وقد لقي الإمام القاضي أبو بكر بن العربي المالكي جماعة من الحشوية في رحلته فقال عنهم في (العواصم من القواصم) ص210 :

((وكان رأس هذه الطائفة بالشام أبو الفرج الحنبلي بدمشق ، وابن الرميلي المحدث ببيت المقدس ، والقطرواني بنواحي نابلس ، والفاخوري بديار مصر ، ولحقت منهم ببغداد أبا الحسين بن أبي يعلى الفراء ، وكل منهم ذو أتباع من العوام ، جمعا غفيرا ، عصبة عصية عن الحق ، وعصبية على الخلق ، ولو كانت لهم أفهام ، ورزقوا معرفة بدين الإسلام ، لكان لهم من أنفسهم وازع ، لظهور التهافت على مقالاتهم ، وعموم البطلان لكلماتهم ، ولكن الفدامة استولت عليهم ، فليس لهم قلوب يعقلون بها ، ولا أعين يبصرون بها ، ولا آذان يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ..)) اهـ .

ويقول إمام أهل الحديث سيد الحفاظ الإمام الكبير أبو القاسم بن عساكر في (تبيين كذب المفتري) ص369 عن الأهوازي وكان من كبار أهل الحشو ما صورته :

((فأغص الله الأهوازي بريقه وفض فاه ، فإنه كان في اعتقاده سالميا مشبها مجشما حشويا ، ومن وقف على كتابه الذي سماه كتاب (البيان في شرح عقود أهل الإيمان) الذي صنفه في أحاديث الصفات ، واطلع على ما فيه من الآفات ، ورأى ما فيه من الأحاديث الموضوعة ، والروايات المستنكرة المدفوعة ، والأخبار الواهية الضعيفة ، والمعاني المتنافية السخيفة ، كحديث ركوب الجمل !! وعرق الخيل !! قضى عليه في اعتقاده بالويل ، وبعض هذا الكتاب موجود بدمشق بخط يده ، فمن أراد الوقوف عليه فليقف ليتحقق سوء معتقده ..)) اهـ كلام الحافظ .

وهذا الإمام الهمام ابن الجوزي رحمه الله يرد عليهم ويرميهم بالتشبيه والتجسيم فيقول في كتابه (دفع شُبَهِ التشبيه ..) ط الكليات الأزهرية ص8 ردًّا على المشبهة :

((وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات .. ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى ، ولا إلى إلغاء ما توجبه الظواهر من سمات الحَدَث ، ولم يَقْنَعُوا بأن قالوا : (صفة فعل) حتى قالوا : (صفة ذات) ، ثم لما أثبتوا أنها صفات ، قالوا : (لا نحملها على توجيه اللغة ، مثل (يد) على معنى نعمة وقدرة ، ولا (مجيء وإتيان) على معنى بِرٍّ ولطف ، ولا (ساق) على شدة) ، بل قالوا : (نحملها على ظواهرها المتعارفة) !! ، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين .. ثم يتحرجون من التشبيه ، ويَأْنَفُون من إضافته إليهم ، ويقولون : (نحن أهل السنة) !! ، وكلامهم صريح في التشبيه ، وقد تبعهم خلق من العوام ، وقد نصحت التابع والمتبوع ، فقلت لهم : يا أصحابنا ، أنتم أصحاب نقل واتباع ، وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل رحمه الله يقول وهو تحت السياط : (كيف أقول ما لم يُقَل ؟) ، فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه ، ثم قلتم في الأحاديث : (تُحْمَل على ظاهرها) !! ، وظاهر القدم الجارحة ، فإنه لما قيل في عيسى عليه الصلاة والسلام : (روح الله) ، اعتقدت النصارى لعنهم الله تعالى أن لله سبحانه وتعالى صفةً هي روح وَلَجَت في مريم !! ، ومن قال : (استوى بذاته المقدسة) فقد أجراه سبحانه مجرى الحِسِّيَّات !! ، وينبغي أن لا يُهْمَل ما ثبت به الأصل ،

وهو العقل ، فإنا به عرفنا الله تعالى ، وحكمنا له بالقِدَم ، فلو أنكم قلتم : (نقرأ الأحاديث ونسكت) ، لما أنكر أحد عليكم ، وإنما حَمْلُكُم إياها على الظاهر قبيح)) اهـ كلام ابن الجوزي ، وكان سيفا مسلولا على أهل البدع رحمه الله تعالى .

ثم تصدى لهم الإمام سلطان العلماء عز الدين بن عبدالسلام فقال في ملحة الاعتقاد :

((والحشويّة المشبهِة الذين يشبِّهون الله بخلقه ضربان أحدهما لا يتحاشى من إظهار الحشو (ويَحسبَونَ أنَّهم على شيءٍ ألا إنهم همُ الكاذِبون) والآخَرُ يتستّر بمذهب السلف لسُحتٍ يأكله أو حطامٍ يأخذه:
(أظهروا للناسِ نُسكا % وعلى المنقوشِ دارُوا)
(يُريدونَ أنْ يأمَنوكُم ويَأمَنوا قَومَهُم) ومذهب السلف إنما هو التوحيد والتنزيه دون التجسيم والتشبيه ..)) اهـ من ملحة الاعتقاد .

وتكلم عنهم الإمام المجتهد شيخ الإسلام بدر الدين بن جَمَاعة الكِناني الشافعي في كتابه (إيضاح الدليل) ط1/دار السلام ص93 فقال :
((ومن انتحل قول السلف ، وقال بتشبيه ، أو تكييف ، أو حَمْلِ اللفظ على ظاهره مما يتعالى الله عنه من صفات المحدثين ، فهو كاذب في انتحاله ، بريء من قول السلف واعتداله ..)) اهـ .

وقد تكلم عنهم الإمام تاج الدين السبكي مستعملا لفظ المجسمة بكلام غاية في المتانة والدقة وكأنه يلاحظ حال الحشوية اليوم في طعنهم بأهل السنة فقال في طبقاته ما نصه 192/1 :

((.. وفي المبتدعة لا سيما المجسمة زيادة لا توجد في غيرهم ، وهو أنهم يرون الكذب لنصرة مذهبهم ، والشهادة على من يخالفهم في العقيدة بما يسوءه في نفسه وماله بالكذب تأييدا لاعتقادهم ، ويزداد حنقهم وتقربهم إلى الله بالكذب عليه بمقدار زيادته في النيل منهم ، فهؤلاء لا يحل لمسلم أن يعتبر كلامهم ... وقد تزايد الحال بالخطابية وهم المجسمة في زماننا هذا ، فصاروا يرون الكذب على مخالفيهم في العقيدة لا سيما القائم عليهم ، بكل ما يسوءه في نفسه وماله .

وبلغني أن كبيرهم استفتي في شافعي : أيشهد عليه بالكذب ؟؟ فقال : ألست تعتقد أن دمه حلال ؟؟ قال : نعم ، قال : فما دون ذلك دون دمه فاشهد وادفع فساده عن المسلمين !!!
فهذه عقيدتهم ، ويرون أنهم المسلمون وأنهم أهل السنة ، ولو عُدوا عددا لما بلغ علماؤهم ولا عالم فيهم على الحقيقة مبلغا يعتبر ، ويكفرون غالب علماء الأمة ثم يعتزون إلى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه !!! وهو منهم بريء ، ولكنه كما قال بعض العارفين ، ورأيته بخط تقي الدين بن الصلاح : إمامان ابتلاهما الله بأصحابهما ، وهما بريئان منهم : أحمد بن حنبل ابتلي بالمجسمة ، وجعفر الصادق ابتلي بالرافضة .... وقد وصل حال بعض المجسمة في زماننا إلى أن كتب (شرح

صحيح مسلم) للشيخ محي الدين النووي ، وحذف من كلام النووي ما تكلم به على أحاديث الصفات ، فإن النووي أشعري العقيدة ، فلم تحمل قوى هذا الكاتب أن يكتب الكتاب على الوضع الذي صنفه مصنفه ، وهذا عندي من كبائر الذنوب ، فإنه تحريف للشريعة ، وفتح باب لا يؤمن معه بكتب الناس وما في أيديهم من المصنفات ، فقبح الله فاعله وأخزاه ، وقد كان في غنية عن كتابة هذا الشرح ، وكان الشرح في غنية عنه ..)) اهـ . كلام الإمام السبكي مختصرا .

فانظر كيف وصفهم قبل 700 سنة وكأنه يرى حال مجسمة اليوم رحمه الله تعالى ، وهكذا كلما ظهروا ونشروا التشبيه والتجسيم قام عليهم الأئمة والعلماء فأجحروهم وبينوا لناس أمرهم وكشفوا عن حقيقة عقائدهم وسمهوهم باسمهم الحقيقي وهو المجسمة والحشوية المشبهة ، هذا وكما رد عليهم الأئمة في سالف الزمان وفي كل آن كما قدمنا فكذلك سار العلماء القريبون من عصرنا وعلى رؤوسهم علماء الزهر الشريف ، وهذه إحدى فتاوى علماء الأزهر الشريف تفضح عقائد الحشوية المشبهة وتبين أساليبهم وادعائهم أنهم سلفية !! وهذه كانت دعواهم قديما كما قال الإمام سلطان العلماء عز الدين بن عبدالسلام ، فإليكم هذه الفتيا :

قال الإمام العلامة المحدث المجدد أبو محمد محمود بن محمد بن أحمد بن خطاب السبكي الأزهري مؤسس الجمعية الشرعية بمصر وصاحب (المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود) المتوفى سنة 1352هـ رحمه الله تعالى قال في كتابه [إتحاف

الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات ..] ص2 :

الحمد لله رب العالمين ، المنـزه عن صفات المخلوقين ، كالجهة والجسمية والمكان والفوقية ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، الذي جاء بمحو الشرك والإلحاد وأمرنا بتنزيه الله تعالى عن صفات العباد ، والمنـزل عليه (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد) وقوله : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

(أما بعد) فيقول : محمود بن محمد بن أحمد خطاب السبكي : قد سألني بعض الراغبين في معرفة عقائد الدين ، والوقوف على مذهب السلف والخلف في المتشابه من الآيات والأحاديث بما نصه :

(نص سؤال السائل) :

ما قول السادة العلماء حفظهم الله تعالى فيمن يعتقد أن الله عز وجل له جهة !! وأنه جالس على العرش في مكان مخصوص !! ويقول : ذلك هو عقيدة السلف !! ويحمل الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد ويقول لهم من لم يعتقد ذلك يكون كافرا !! مستدلا بقوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) وقوله عز وجل : (ءأمنتم من في السماء) أهذا الاعتقاد صحيح أم

باطل ؟؟؟ وعلى كونه باطلا أيكفر ذلك القائل باعتقاده المذكور ويبطل كل عمله من صلاة وصيام وغير ذلك من الأعمال الدينية وتبين منه زوجه ؟؟؟ وإن مات على هذه الحال قبل أن يتوب لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ؟؟؟ وهل مَنْ صَدّقَه في ذلك الاعتقاد يكون كافرا مثله ؟؟ وما قولكم فيما يقوله بعض الناس من أن القول بنفي الجهات الست عن الله تعالى باطل لأنه يلزم عليه نفي وجود الله تعالى ؟؟؟ أفيدونا مأجورين مع بيان مذهب السلف والخلف في هاتين الآيتين ونحوهما من الآيات المتشابهات كـ(إليه يصعد الكلم الطيب) وأحاديث الصفات كحديث (ينـزل ربنا إلى السماء الدنيا) وحديث البجارية بيانا شافيا مع ذكر أقوال علماء التفسير والحديث والفقه والتوحيد مع الإيضاح الكامل لتنقطع ألسنة المجازفين الذين يشبهون الله تعالى بخلقه ويعتقدون أن ما ذهب إليه علماء الخلف من التأويل كفر زاعمين أنه مذهب الجـهـمـيـة الكفرة ، وأشاعوا ذلك بين العوام !! جزاكم الله تعالى عن الدين وأهله أحسن الجزاء .

(نص جواب الإمام أبي محمد محمود خطاب السبكي رحمه الله) :

فأجبت بعون الله تعالى فقلت :
بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الهادي إلى الصواب ، والصلاة والسلام على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب ، وعلى آله وأصحابه الذين هداهم الله ورزقهم التوفيق والسداد ، أما بعد ،
فالحكم أن هذا الاعتقاد باطل ومعتقده كافر بإجماع من يعتد به

من علماء المسلمين ، والدليل العقلي على ذلك : قدم الله تعالى ومخالفته للحوادث ، والنقلي قال تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فكل من اعتقد أنه تعالى حل في مكان أو اتصل به أو بشيء من الحوادث كالعرش أوالكرسي أو السماء أو الأرض أو غير ذلك فهو كافر قطعا ، ويبطل جميع عمله من صلاة وصيام وحج وغير ذلك ، وتبين منه زوجه وعليه أن يتوب فورا ، وإذا مات على هذا الاعتقاد ـ والعياذ بالله تعالى ـ لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ، ومثله في ذلك كله من صدقه في اعتقاده أعاذنا الله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وأما حمله الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد المكفر وقوله لهم من لم يعتقد ذلك يكون كافرا !! فهو كفر وبهتان عظيم ، واستدلاله على زعمه الباطل بهاتين الآيتين ونحوهما أن الله عز وجل يحل في عرشه أو يجلس عليه أو يحل في سماء أو نحو ذلك مما تزعمه تلك الشرذمة ، مع أن كلام الله غير مخلوق وهو من صفات الله تعالى القديمة الموجودة قبل وجود العرش والسماوات ، فالله تعالى موصوف بأنه استوى على العرش قبل وجود العرش ، وهل كان جالسا ـ على زعمهم ـ على العرش المعدوم قبل وجوده ؟؟!! وهل جل جلاله في السماء قبل خلق السماء ؟؟!! هذا مما لا يتوهمه عاقل ، وهل العقل يصدق بحلول القديم في شيء من الحوادث ؟؟!! فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وعلى الجملة فهذا القائل المجازف وأمثاله قد ادعوا ما لا يقبل الثبوت لا عقلا ولا نقلا ، وقد كفروا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، والطامة الكبرى التي نـزلت بهؤلاء دعواهم أنهم (سلفيون) !!!!! ، وهم عن سبيل الحق زائغون ، وعلى خيار المسلمين يعيبون ، فلا حول ولا

قوة إلا بالله العلي العظيم .
وأما مذهب السلف والخلف بالنسبة للآيات والأحاديث المتشابهة فقد اتفق الكل على أن الله تعالى منـزه عن صفات الحوادث ، فليس له عز وجل مكان في العرش ولا في السماء ولا في غيرهما ، ولا يتصف بالحلول في شيء من الحوادث ، ولا بالاتصال بشيء منها ، ولا بالتحول والانتقال ونحوهما من صفات الحوادث ، بل هو سبحانه وتعالى على ما كان عليه قبل خلق العرش والكرسي والسماوات وغيرها من الحوادث ، (قال الحافظ في الفتح) :
((اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير)) اهـ .
وإنما اختلفوا في بيان المعنى المراد من هذه الآيات والأحاديث ، فالسلف رضي الله عنهم يؤمنون بها كما وردت معتقدين أنها مصروفة عن ظاهرها لقوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ويفوضون علم المراد منها إلى الله تعالى لقوله : (وما يعلم تأويله إلا الله) فيقولون في آية (الرحمن على العرش استوى) استوى استواء يليق به لا يعلمه إلا هو عز وجل ، وفي آية (ءأمنتم من في السماء) نؤمن بها على المعنى الذي أراده سبحانه وتعالى مع كمال التنـزيه عن صفات الحوادث والحلول ويقولون في آية (يد الله فوق أيديهم) له يد لا كأيدينا ولا يعلمها إلا هو تعالى ، وهكذا في سائر الآيات المتشابهة ، قال الإمام الجليل السلفي ابن كثير في الجزء الثالث من تفسيره صفحة 488 ما نصه :

((وأما قوله تعالى : (ثم استوى على العرش) فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها ، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله تعالى ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال : من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى ونفى عن الله النقائص فقد سلك سبيل الهدى)) اهـ .

ونحوه في سائر تفاسير الأئمة المحققين ، ويقولون في حديث (ينـزول ربنا إلى سماء الدنيا) ينـزل نزولا يليق به لا يعلمه إلا هو تعالى ، وأما حديث الجارية وهو ما أخرجه مسلم وأبو داود في باب نسخ الكلام في الصلاة من طريق معاوية بن الحكم ، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للجارية : (أين الله ؟) قالت : (في السماء) قال : (من أنا ؟) قالت : (أنت رسول الله) قال أعتقها فإنها مؤمنة ، فيقولون فيه ما قالوه في آية (ءأمنتم من في السماء) وهكذا سائر أحاديث الصفات المتشابهة ، واستدلوا على ذلك بقول الله عز وجل (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما

الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله) قالوا الوقف هنا تام ، وأما الراسخون في العلم إلخ فكلام مستأنف لبيان أن أكابر ذوي العلم مصدقون بثبوت المتشابه في القرآن .
وأما الخلف رحمهم الله تعالى فيقولون في هذه الآيات والأحاديث هي معروفة المعنى ، فمعنى (الرحمن على العرش استوى) استولى بالقهر والتصرف ، ومعنى (ءأمنتم من في السماء) من في السماء عذابه أو سلطانه ومصدر أمره ، أو هو كناية عن تعظيم الله تعالى بوصفه بالعلو والعظمة ، وتنزيهه عن السفل والتحت لا أنه سبحانه وتعالى حال فيها !! لأن الحلول من صفات الأجسام وأمارات الحدوث والله منزه عن ذلك ، ومعنى (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا) ينزل رسوله أو رحمته ، وأما إقرار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الجارية على إشارتها نحو السماء فاكتفاء منها بما يدل على عدم شركها لتعتق ، لأنه بإشارتها إلى السماء علم أنها ليست ممن يعبد الأصنام التي في الأرض ، وهكذا في سائر الآيات والأحاديث بناء منهم على كون الوقف في الآية الشريفة على قوله تعالى (والراسخون في العلم) مستدلين على ذلك بكون القرآن عربيا ، ولغة العرب ناطقة بتلك المعاني ، والفضل الزائد للسلف .
فمن نسب إلى علماء السلف أو الخلف شيئا خلاف ذلك فهو ضال مضل ، ومن قال إن مذهب علماء الخلف هو مذهب الجهمية فهو مفتر كذاب ، فإن الة أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات كلها ، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان ، وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط ، وأن الكفر هو الجهل

به فقط ، وقال لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز ، كما يقال زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به ، وزعم أيضا أن علم الله تعالى حادث ، وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء حي أوعالم أو مريد ، وقال لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء موجود وحي وعالم ومريد ونحو ذلك ، ووصفه بأنه قادر وموجد وفاعل وخالق ومحيي ومميت ، لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده ، وقال بحدوث كلام الله تعالى كما قالته القدرية ، ولم يسم الله تعالى متكلما به ، وأكفره أصحابنا في جميع ضلالاته وأكفرته القدرية في قوله بأن الله تعالى خالق أفعال العباد ، فاتفق أصناف الأمة على تكفيره انتهى من (الفرق بين الفرق) للإمام أبي منصور عبدالقاهر بن طاهر البغدادي صفحة تسع وتسعين ومائة ، ومنه تعلم أن علماء الخلف برآء من هذا المذهب ومن أهله .

وأما ما قيل من أنه يلزم من نفي الجهات الست عن الله نفي وجوده !! فهو قول باطل بالبداهة لما هو معلوم من أن الله عز وجل كان موجودا قبل وجود الجهات الست المذكورة ، وهي فوق وتحت وأمام وخلف ويمين وشمال ، بل كان موجودا قبل وجود العالم كله بإجماع السابقين واللاحقين ، فكيف يتوهم من عنده أدنى شائبة عقل أنه يلزم من نفي تلك الجهات عنه سبحانه وتعالى نفي وجوده جل وعلا ؟؟!! وكيف يتصور أن الله عز وجل القديم يتوقف وجوده على وجود بعض الحوادث أو كل الحوادث التي خلقها ؟؟!! سبحانك هذا بهتان عظيم ، كيف وقد قال جمع من السلف والخلف إن من اعتقد أن الله في جهة فهو

كافر كما صرح به العراقي ، وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي وأبو الحسن الأشعري والباقلاني ، ذكره العلامة ملا علي قاري في (شرح المشكاة) من الجزء الثاني صفحة 137 ، قال الله تعالى : (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وقال تعالى : (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) نسأل الله تعالى أن يهدينا جميعا إلى الطريق المستقيم ويحول بيننا وبين نزعات الشيطان الرجيم ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى من كان بهديه من العاملين .

هذا وقد عرضت هذه الإجابة على جمع من أفاضل علماء الأزهر فأقروها وكتبوا عليها أسماءهم وهم أصحاب الفضيلة : الشيخ محمد النجدي شيخ السادة الشافعية ، والشيخ محمد سبيع الذهبي شيخ السادة الحنابلة ، والشيخ محمد العزبي رزق المدرس بالقسم العالي ، والشيخ عبدالحميد عمار المدرس بالقسم العالي ، والشيخ علي النحراوي المدرس بالقسم العالي ، والشيخ دسوقي عبدالله العربي من هيئة كبار العلماء ، والشيخ علي محفوظ المدرس بقسم التخصص بالأزهر ، والشيخ إبراهيم عيارة الدلجموني المدرس بقسم التخصص بالأزهر ، والشيخ محمد عليان من كبار علماء الأزهر ، والشيخ أحمد مكي المدرس بقسم التخصص بالأزهر ، والشيخ محمد حسين حمدان .

تقي الدين أبو العباس

أحمد بن تيمية 728هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سبق لي أن تحدثت عن ابن تيمية عرضا هنا في بعض الموضوعات ، ولولا تلك القدسية التي يضفيها عليه أتباعه من الوهابية اليوم ولولا ما تزخر به كتبه من القضايا الخطرة التي تهدم الدين لما تطرقت أصلا لمقالات ابن تيمية وذلك لسبب منطقي وهو أن ابن تيمية في سنة 707 هـ رجع رجوعا صادقا عن الشذوذ العقدي وشهد على نفسه بأنه أشعري ، وانتهى أمر الشذوذ العقدي عنده ، ومن تاب تاب الله عليه ، وهذا نص التوبة المذكورة معزوة إلى مواضعها من كتب التاريخ المعتبرة والتي غفل عنها كثيرون أو أغفلوها ، أنقل هنا تاريخ ونص التوبة من (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) من تصنيف أمير المؤمنين في الحديث الإمام الحافظ شيخ شيوخنا الأقدمين أبي الفضل ابن حجر العسقلاني ط1414هـ ـ دار الجيل ـ ج1 / ص148 ، ومن كتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) للإمام القاضي شهاب الدين النويري المعاين للحادثة والمتوفى سنة 733هـ ط دار الكتب المصرية 1998م ج32 / ص115 ـ

116 وهذا نصه :

[[[[وأما تقي الدين فإنه استمر في الجب بقلعة الجبل إلى أن وصل الأمير حسام الدين مهنا إلى الأبواب السلطانية في شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعمائة ، فسأل السلطان في أمره وشفع فيه ، فأمر بإخراجه ، فأخرج في يوم الجمعة الثالث والعشرين من الشهر وأحضر إلى دار النيابة بقلعة الجبل ، وحصل بحث مع الفقهاء ، ثم اجتمع جماعة من أعيان العلماء ولم تحضره القضاة ، وذلك لمرض قاضي القضاة زين الدين المالكي ، ولم يحضر غيره من القضاة ، وحصل البحث ، وكتب خطه ووقع الإشهاد عليه وكتب بصورة المجلس مكتوب مضمونه :
بسم الله الرحمن الرحيم
شهد من يضع خطه آخره أنه لما عقد مجلس لتقي الدين أحمد بن تيمية الحراني الحنبلي بحضرة المقر الأشرف العالي المولوي الأميري الكبيري العالمي العادلي السيفي ملك الأمراء سلار الملكي الناصري نائب السلطنة المعظمة أسبغ الله ظله ، وحضر فيه جماعة من السادة العلماء الفضلاء أهل الفتيا بالديار المصرية بسبب ما نقل عنه ووجد بخطه الذي عرف به قبل ذلك من الأمور المتعلقة باعتقاده أن الله تعالى يتكلم بصوت ، وأن الاستواء على حقيقته ، وغير ذلك مما هو مخالف لأهل الحق ، انتهى المجلس بعد أن جرت فيه مباحث معه ليرجع عن اعتقاده في ذلك ، إلى أن قال بحضرة شهود : (أنا أشعري) ورفع كتاب الأشعرية على رأسه ، وأشهد عليه بما كتب خطا وصورته :
((الحمد لله ، الذي أعتقده أن القرآن معنى قائم بذات الله ، وهو

صفة من صفات ذاته القديمة الأزلية ، وهو غير مخلوق ، وليس بحرف ولا صوت ، كتبه أحمد بن تيمية .

والذي أعتقده من قوله : (الرحمن على العرش استوى) أنه على ما قاله الجماعة ، أنه ليس على حقيقته وظاهره ، ولا أعلم كنه المراد منه ، بل لا يعلم ذلك إلا الله تعالى ، كتبه أحمد بن تيمية .

والقول في النزول كالقول في الاستواء ، أقول فيه ما أقول فيه ، ولا أعلم كنه المراد به بل لا يعلم ذلك إلا الله تعالى ، وليس على حقيقته وظاهره ، كتبه أحمد بن تيمية ، وذلك في يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعمائة))

هذا صورة ما كتبه بخطه ، وأشهد عليه أيضا أنه تاب إلى الله تعالى مما ينافي هذا الاعتقاد في المسائل الأربع المذكورة بخطه ، وتلفظ بالشهادتين المعظمتين ، وأشهد عليه بالطواعية والاختيار في ذلك كله بقلعة الجبل المحروسة من الديار المصرية حرسها الله تعالى بتاريخ يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعمائة ، وشهد عليه في هذا المحضر جماعة من الأعيان المقنتين والعدول ، وأفرج عنه واستقر بالقاهرة ..]]]] اهـ .
هذاكلام الإمام النويري ، ونحوه كلام الحافظ ابن حجر ، ونقل هذه التوبة غيرهما أيضا ، وفيما ذكرنا هنا كفاية .

ولعل جهل هذه الحقيقة ـ أعني رجوع ابن تيمية إلى الحق ـ كان

سببا رئيسا في تأرجح كلمة العلماء فيه بعد وفاته ، ففي القرن التاسع الهجري جاء إلى البلاد المشرقية الإمام الكبير والمناظر الخطير الضارب بسهم وافر في شتى العلوم العلامة محمد بن محمد الشهير بالعلاء ابن البخاري وكان معظما عند أرباب الدولة ، مفخما عند العلماء أشعري الاعتقاد ، سيفا مسلولا على أهل البدع ، وكان ممن يكفرون طائفة ابن عربي الصوفي ويزبد ويرعد فيهم وصنف في إكفاره ، فلما وصل هذا العالم إلى مصر والشام وكان معظما لابن تيمية ، فعارضه البعض بكلام ابن تيمية المخالف لعقائد المسلمين فطالع العلاء البخاري عقيدة ابن تيمية من جديد وصار يحاول الاعتذار عنه وآل الأمر في آخر المطاف إلى أن كفر ابن تيمية وصنف في ذلك كتابا يكفره فيه ، بل ويكفر من سماه بشيخ الإسلام ، فرد عليه ابن ناصر الدين الدمشقي الصوفي الأشعري بكتاب سماه الرد الوافر ، وقد قرض الكتاب الأخير جماعة من كبار علماء مصر منهم الحافظ ابن حجر والبدر العيني والشمس البساطي والبلقيني وغيرهم ، واعترضوا على تكفير ابن تيمية ، متعللين بأنه لم يكن يصر على الباطل ويلمحون إلى رجوعه الذي أسلفناه ، وهذا هو الحق ، فابن تيمية لم يحفظ عليه بعد تاريخ الرجوع المذكور أنه حوكم في العقائد إلى اليوم ، وتلاميذه من بعده مختلفون ليسوا على رأي واحد ، فمنهم قلة قليلة بقيت على آرائه التي كان عليها قبل رجوعه ، ولم يصدقوا بأنه رجع عنها ، وأكثرهم لم يكن يوافقه عليها ، بل البعض منهم لم تكن له دراية بأمور العقائد ، وجماعة من تلاميذه يعلمون بأنه قد تاب مما خالف فيه ، لهذا كانت المدرسة المصرية أعدل الطوائف فيه ، فهي لم تأخذ بشذوذاته العقدية التي يكفر معتقدها ، ولم

تقل بتكفيره أيضا لما ثبت عندهم من رجوعه ، ومع هذا فقد استمر خلاف المسلمين فيه من ذلك الوقت إلى اليوم ، ولم تكن الناس بل ولا العلماء وطلاب العلم يلتفتون إلى هذه المسألة أصلا قرون طويلة ، إلى أن قامت الدعوة الوهابية من نجد الفتنة فتبنت آراءه كلها بشكل مجمل غير مفصل بشكل رهيب ملفت للنظر وقدسوه وعظموه غاية التعظيم ، حتى صار ابن تيمية عندهم مساويا لكلمة السلف !!! والسلف مساوية لكلمة ابن تيمية ، وغلوا فيه غلوا عظيما ، وبدأت كتب ابن تيمية تظهر إلى الوجود مرة أخرى ، بعد ان أعدمت في حياته ونزعت ومزقت وحرقت واندثرت وما كان احد يجرؤ على إظهارها ومدارستها علنا ، فعادت طباعتها من جديد في دولة عبدالعزيز آل سعود !! ولما لقيت الدولة السعودية الجديدة اعترافا دوليا وبدأت علاقاتها بالدول الإسلامية المحيطة تتحسن بدأت كتب ابن تيمية تتدفق من المطابع السلفية بالمملكة ، غير عارفين بمغبة هذا الأمر وما يمكن أن تحدثه كتب ابن تيمية ، ولم تخضع في حينها للدراسة والمناقشة والفحص بل ولا التحقيق والتأكد من صحة نسبتها إلى ابن تيمية ، وهكذا رجع الخلاف من جديد وبدأ الصراع القديم يتجدد بسبب كتب ابن تيمية ، واضطرب الوضع ، وأحس كثير من العلماء بالخطر الذي تحمله كتب ابن تيمية والذي قد تظهر آثاره على المدى البعيد ، فهب جماعة من أهل العلم ـ وما أكثرهم ـ للرد على كتب ابن تيمية وما فيها ، علماء من المغرب وتونس وموريتانيا والجزائر ومصر والسودان وتركيا والهند واليمن ومن كل بلاد الإسلام تقريبا ، والناس البسطاء والشباب المتحمس للصحوة الإسلامية يحسبون أن القضية تقف عند حد مسألة التوسل

والقبور وبعض الألفاظ ومسالة التقليد أو الاجتهاد وأشياء من هذا الباب !!! ولم يعلموا حقيقة الأمر المرير الذي أدركه المحققون من العلماء ، حتى أن بعض العلماء من شدة خوفهم على عقائد الناس آثروا السكوت لظنهم أنه الحل لصرف الناس عن كتب ابن تيمية ، ولكن البعض الآخر كان يرى أن السكوت من شأنه فيما يأتي من الزمن ويستقبل من الوقت أن يوهم الناس رضا العلماء عما في كتب ابن تيمية من المسائل الخطيرة فشرعوا في كتابة الردود والتحذير ، ولو جئنا لحصر هؤلاء العلماء وتفصيل جهودهم في الرد على تنوعها من مؤلف خاص أو مقال أو محاضرات أو بحوث لطال الأمر جدا ونشير في هذه العجالة إلى أهم التصانيف التي كتبت في هذا المجال ، فمنها (شواهد الحق) للعلامة يوسف بن إسماعيل النبهاني الأزهري هذا الكتاب الذي قرضه كبار العلماء بالديار المصرية أنذاك :

العلامة محمد حبيب الله الشنقيطي المالكي ، والعلامة علي محمد الببلاوي الأزهري المالكي ، والعلامة الكبير عبدالقار الرافعي الزهري ، وشيخ الإسلام والجامع الأزهر فضيلة الإمام عبدالرحمن الشربيني ، والعلامة مفتي الديار المصرية بكري بن محمد بن عاشور الصدفي الأزهري ، والعلامة الحافظ الكبير مفخرة المغرب الرحالة الشهير عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني المغربي ، والعلامة الفقيه الكبير السيد أحمد بك الحسيني الشافعي شارح الأم ، والعلامة سليمان العبد الشبراوي الشافعي الأزهري ، والعلامة أحمد بن حسنين البولاقي الشافعي الأزهري ، والعلامة الكبير أحمد البسيوني شيخ السادة الحنابلة الأزهري ، والعلامة محمد الحلبي الشافعي والعلامة سعيد

الموجي ...

وقد قال النبهاني في كتابه المذكور ص53 عن كتب ابن تيمية :

((مع أني وقتئذ لم أكن اطلعت على .. كتب ابن تيمية : منهاج السنة ، وكتابه المعقول والمنقول ... وكلها طبعت أخيرا ... ولكني كنت أرى تلك الأبحاث في كتب أخرى ردوها على ابن تيمية وشنعوا عليه بها ، ككتب الإمام ابن حجر المكي رحمه الله ، وجزاه خير الجزاء عن خدمة الشريعة المحمدية ، ورده تلك المسائل الشنيعة على ابن تيمية وإن لم يكن وحده أقام عليه النكير في ذلك ، بل كثير من العلماء من المذاهب الأربعة شتعوا عليه غاية التشنيع في ذلك رحمهم الله أجمعين ، وغفر له ما ارتكبه من هذا الأمر العظيم الذي ترتب عليه من المفاسد الدينية خصوصا من أتباعه فرقة الوهابية ما لا يعلم غير الله تعالى قدر الأضرار التي وصلت منه إلى الأمة المحمدية : من القتل والقتال وذهاب النفوس والأموال ، وحكمهم على كافة المسلمين من أهل المذاهب الأربعة بالشرك والضلال ، وما زالت أضرارهم إلى الآن سارية في الأمة حسا ومعنى ، وهم ومن أعجبه شأنهم ممن لا خلاق لهم في الدين ، مازالوا إلى الآن يشوشون عقائد كثيرة من ضعاف الطلبة وعوام المسلمين ، ويدعون الاجتهاد ، ويبغون في الأرض الفساد ، ولا يتبعون من مذاهب أهل السنة والجماعة سبيل السداد ، وما زال الشيطان يجهز منهم جماعة بعد جماعة ، وهم كل يوم في ازدياد ، ولله في ذلك قضاء لا يرد وحكم لا يعلمها إلا الأفراد ..)) اهـ المقصود .

وصنف كذلك شيخ الإسلام ومفخرة الزمان مصطفى صبري التوقادي آخر مشايخ الإسلام بالدولة العثمانية في الرد .
وصنف العلامة المحقق الذي لم تكتحل عين الدهر بمثله الإمام الخطير وكيل المشيخة الإسلامية بالدولة العثمانية الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري مصنفات كثيرة في هذا الباب وكل مصنفاته متوفرة في مصر بمكتبة الكليات الأزهرية .
وصنف العلامة منصور عويس الأزهري كتابه ابن تيمية ليس سلفيا ، وغير ذلك من التصانيف التي لا عدد لها ... وقد أوذي هؤلاء الذين كتبوا وردوا وصنفوا وطعن عليهم ولقبوا بألقاب جاهزة من (جهمية) و(معطلة) و (معتزلة) وبأنهم مشركون ووثنيون وكفروا وووووووو واختلط الحابل بالنال ومرج الأمر على الناس وطلاب العلم ، وتشوشت المسائل فما يدرون مع من يقفون ، ولا من يتبعون فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

هذا ويدور الزمان دورته وتكثر ، ويزداد الاطلاع ، ويتسع العلم ، وتكثر الجامعات في بلاد الحرمين ، ويتقدم الطلاب ببحوثهم ورسائلهم وقد ملئت بأفكار ابن تيمية التي رجع عنها ...
وهنا يطلع الطلاب والعلماء على ما كان خافيا عليهم من أقوال ابن تيمية مما كانوا يظنونه مكذوبا عليه أو متقولا على ألسنة الحاقدين ، وتصير الحقائق ماثلة أمامهم ، فهاهم باتوا يرون الغرائب والعجائب في كتب ابن تيمية التي تطبع يوما بعد يوم ،

ويطالعون من المسائل الغريبة ما لا يتصور أن يتجرأ على البوح بها أجهل الناس وأبعدهم عن السنة !!! ويكثر النزاع بين الوهابية أنفسهم (الذين اصطلحوا مؤخرا على تلقيب أنفسهم بالسلفية) ويبدأ العراك السلفي ـ السلفي .

إنها مسائل باتت تتكشف لطلاب العلم والعلماء ، مما لا يسوغ لمسلم القول بها
أبدا ، فصاروا حيص بيص ، فمن هذه المصائب الكبرى والكفريات العظمى التي ظهرت للباحثين وتعرت للمنصفين المتجردين :

1ـ (قيام الحوادث بذات الخالق) سبحانه !! سبحانه !! أي أن صفاته العظيمة تتجدد في ذاته تعالى فتتبدل و تتجدد ولا تستقر على حال ، بل تتتغير في نفسه حالا بعد حال ، وتنقص وتزيد ، هذه الصفات إذا كانت بهذا الشكل يقال لها حوادث ، فجوز ابن تيمية في كتبه هذا المعنى على الله !!!! ونسبه كعادته إلى السلف !!! ولما كان (السلفية) ولا زالوا في خضم جدالهم ومباحثاتهم يكفرون الرافضة بعقيدة (البداء) اكتشف بعضهم فجأة أن ما أنكروه وكفروا الرافضة بسببه من (البداء (وهو التجدد في علم الله تعالى بحيث يصير علمه قابلا للزيادة شيئا بعد شيء ، اكتشفوا أن ابن تيمية يقرر هذا المعنى ويجوزه على الله في صفة (الكلام) و (الغضب (و(الرضا) وما إلى ذلك من صفات الذات ويسمي ذلك الأفعال الاختيارية فسقط في أيديهم ، وانسحب أكثر المتعلمين منهم عن الجدال في هذه المسألة بعينها بل رأيت منهم من نصح أخاه بأن لا يخوض في

هذه المسألة لأن تقريرها صعب بزعمه !!!! والحقيقة أن هذا الاكتشاف الجديد زادهم اضطرابا وخلافا فمنهم من أصر على موقفه من امتناع) البداء) ومنهم من رجع عن ذلك وقال بجواز قيام الحوادث بالذات تبعا لما اكتشفوه من الحق في كتب ابن تيمية ، وهكذا في الوقت الذي نجد الرافضة تتبرأ من القول بالبداء وتتنصل منه ، يتغالى بعض السلفيين ويجاهرون بالقول بهّ!!!!!! وهو كفر محقق لا مرية فيه .

2- (فناء النار) : وفي أثناء الهجمة السلفية الشرسة على المدرسة الصوفية ، والتباري الغريب في تضليل الصوفية والتحذير منهم ، طبعت كتب في تكفير ابن عربي الصوفي الشهير بسبب أقوال كفرية نسبت إليه منها قوله بنجاة فرعون من النار !!!!! ويقرر السلفيون تكفيره من هذا الوجه وغيره لخرقه الإجماع الضروري فيها ، وفجأة يكتشفون ردودا كتبت على ابن تيمية بسبب قوله بفناء نار الكفار ونجاتهم جميعا بما فيهم فرعون من العذاب !!!!! يتقدم البعض من طلاب هذه المدرسة بالبحوث في مسألة فناء النار التي اتهم ابن تيمية بالقول بها ، وينتصر لبراءة ابن تيمية من هذا القول ، ويقرر هو وكثير من أهل العلم من السلفية بأن القول بفناء نار الكفار وتخلص أهلها من العذاب عقيدة باطلة لا يقول بها إلا فرقة ضالة عرفت في علم الفرق بـ)الجهمية) وقد نالت من التكفير والتضليل على ألسنة أهل السنة والجماعة في القرن الثالث الهجري ما يكفي ، وفجأة تظهر كتب ابن تيمية محققة في حلة قشيبة من جامعاتهم والتي ينتصر فيها ابن تيمية للقول بفناء النار بكل جرأة ووضوح !!!! وهنا ينقلب الوضع ويبدأ نزاع

جديد ينتهي بما انتهت إليه مسألة حلول الحوادث بالذات !!
وبدأنا نسمع الآن أن فناء نار الكفار وارتياح أهلها منه كفرعون وهامان وجنودهما إنما هو قول من أقول السلف وأن هذه المسألة فيها قولان !!!!!!!!! فلا فرق إذن بين عصاة المؤمنين وعتاة الكافرين فالكل ناج من العذاب !!!! وهذه شهادة سلفية ، لعلنا لا نجد أبلغ منها في هذا الموضوع ، كتبها من لقبوه بإمام السلفية ومحدث العصر ، وإنما اخترناها مع كثرة شهادات أهل العلم لأننا لو ذكرنا شهادة أحد أهل السنة من علماء الأمة أو الأزهريين لقيل إنهم متعصبون على ابن تيمية حاقدون عليه ، فهذه هي شهادة الشيخ محمد ناصر الألباني شيخ سلفية الشام : قال في مقدمته لكتاب (رفع الستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار) ط1 ـ المكتب الإسلامي عن ابن تيمية ما نصه :

))غفل عن المعلوم يقينا)) وقال : ((حتى استقر ذلك القول في نفسه ، وأخذ بمجامع لبه ، فصار يدافع عنه ، ويحتج له بكل دليل يتوهمه ، ويتكلف في الرد على الأدلة المخالفة له تكلفا ظاهرا خلاف المعروف عنه ، وتبعه في ذلك بل وزاد عليه تلميذه وماشطة كتبه ـ كما يقول البعض ـ ابن قيم الجوزية ، حتى ليبدو للباحث المتجرد المنصف أنهما قد سقطا فيما ينكرانه على أهل البدع والأهواء من الغلو في التأويل ، والابتعاد بالنصوص عن دلالتها الصريحة ، وحملها على ما يؤيد ويتفق مع أهوائهم .. حتى بلغ الأمر بهما إلى تحكيم العقل فيما لا مجال له فيه ، كما يفعل المعتزلة تماما)) ..

وقال الألباني أيضا : ((فكيف يقول ابن تيمية : (ولو قدر

عذاب لا آخر له لم يكن هناك رحمة البتة !!) فكأن الرحمة عنده لا تتحقق إلا بشمولها للكفار المعاندين الطاغين !! أليس هذا من أكبر الأدلة على خطأ ابن تيمية وبعده هو ومن تبعه عن الصواب في هذه المسألة الخطيرة ؟! فغفرانك اللهم)) اهـ ،

ويقول الألباني أيضا عن ابن القيم : ((لم يقنع بميله إلى القول بفناء نار الكفار ، وتخلصهم به من العذاب الأبدي في تلك الدار ، حتى طمع لهم في رحمة الله أن ينزلهم منازل الأبرار ، جنات تجري من تحتها الأنهار ... وإن مما لاشك فيه أن هذا الذي استظهرناه هو في الخطورة والإغراق كقوله بالفناء إن لم يكن أخطر منه لأنه كالثمرة له ، ولأنه لا قائل به من مطلقا من المسلمين ، بل هو من المعلوم من الدين بالضرورة ، للأدلة القاطعة بأن الجنة محرمة على الكفار ..)) اهـ .

ويقول : ((فالحق والحق أقول لقد أصيب ابن القيم في هذه المسألة مع الأسف الشديد بآفة التأويل التي ابتلي بها أهل البدع والأهواء في مقالتهم التي خرجوا بها عن نصوص الكتاب والسنة)) .. اهـ .

بل قال الألباني : ((قل لي بربك : كيف يمكن لابن القيم أن ينكر أبدية النار ببقاء أهلها فيها وعدم دخولهم الجنة مطلقا لولا تشبثه بذلك التأويل البشع ، وهو المعروف بمحاربته لعلماء الكلام من المعتزلة والأشاعرة لتأولهم كثيرا من آيات وأحاديث الصفات كاستواء الله على عرشه ونزوله إلى السماء ومجيئه يوم القيامة وغير ذلك من التأويل الذي هو أيسر من تأويله ،

فقد قال به كثير من المتأخرين خلافا للسلف وأما تأويله فلم يقل به أحد منهم لا من السلف ولا من الخلف إلا تقليدا لشيخه ..)) اهـ

لكننا للأسف رأينا رسائل صغيرة تقرر هذه العقيدة الكفرية وتجعل منها مذهبا للسلف ، بل ولا يستحي مؤلفها الذي يعزو نفسه للسلف من طلب المباهلة ممن خالفه !!! وهكذا بدأت عرى الإسلام تنقض على أيدي هؤلاء عروة عروة .

ولو استرسلنا في ذكر باقي المسائل التي يقف لها شعر الرأس ، ويصاب المرء منقراءتها باليأس لذكرتها هنا ، ولكن فيما تقدم كفاية لمن عقل ورشد .

والحاصل أن كثيرا ممن ردوا على ابن تيمية من السابقين واللاحقين ، حتى ممن سموا أنفسهم بالسلفيين قد غفل كثير منهم عما ثبت في التاريخ وصح ، من رجوع ابن تيمية عما يخالف عقائد أهل السنة من الأشعرية وأقر بذلك وكتبه بخطه سنة 707هـ بحضرة العلماء ، ولم يثبت بعد ذلك أنه حوكم على قضايا العقيدة ، بل حوكم على مسائل فرعية فقهية ، سومح في واحدة وعوقب في الباقي ، وقدر الله أن مات في سجن قلعة صلاح الدين سنة 728هـ بسبب إحداها ، وليست هذه المسائل مما يكفر به المسلم ، ولا كانت هذه المسائل سياسية أو من جملة مواجهة السلاطين كما ظن بعض المغفلين !! .

وهكذا مات ابن تيمية مسلما بعد رجوع صادق ، ولسنا ـ نحن المدرسة الأزهرية ـ ممن يقول بتكفيره لما أوضحناه وأبناه من الرجوع المسجل في التواريخ ، ولا يمكن نقض هذا الرجوع بدليل قاطع ، بل هي شبه يلقيها البعض وقد أجاب عليها المجققون من أهل العلم ، بينما بقيت كتبه التي رجع عنها منهلا لكثير من نواقض الإسلام ، يضل بسببها كثير من الأنام ، فرحمه الله وغفر له ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

التوفيق والتقريب :

فالواجب على المسلمين جميعا في هذا الأمر الكف عن العقائد الكفرية بإجماع المسلمين :

1ـ كالقول بحلول الحوادث في الذات .
2ـ أو إنكار بدء الخلق .
3ـ أو القول بفناء نار الكفار .
4ـ أو القول بحلول الخالق سبحانه في الأماكن العلوية أو السفلية .
5ـ أو ما يؤدي إلى تشبيه أو تجسيم من حمل النصوص على ظواهرها .
وما شابه ذلك من المسائل التي بسطعا أهل العلم والتخصص الموثوقين .

وأما ابن تيمية فيترحم عليه ولا يكفر ، وما له من صالح فعليه

يشكر ، وتجتنب كتبه وتصانيفه في العقيدة لما فيها من زيف واضح أو مدسوس أو مختلق مكذوب أو رأي فاسد رجع عنه وتاب وأناب ، والله الهادي للصواب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سؤال عن مسألة

حلول الحوادث بالذات

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال:

أليس الله تعالى يرى الحوادث ويسمع كلامها وأصواتها فلماذا لا تعد هذه الرؤية والسمع حوادث تحل بالذات تعالى ؟! ألا يلزم أن يكون اسما السميع والبصير حادث وليس بقديم ؟!

الجواب:

ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن الله تعالى وتقدس لا يتغير ولا يزول ولا يتبدل ولا ينتقل من حال إلى حال ، لأن النقص لازم لذلك لزوما بينا ، فأي الحالين قد جد فلا بد وأن يكون كمالا بعد نقص أو كمالا زائد بعد كمال ناقص ، وهذا بعينه الكمال بع النقص المفترض أولا ، فكل هذا محال على الله تعالى وتقدس .

وقد أجمعت الأمة أيضا على أن صفات الله الواجبة قديمة غير حادثة ، والقول بأن لله علما حادثا بسبب حدوث معلوم لم يكن ، أو سمعا حادثا بسبب حدوث مسموع لم يكن أو بصرا حادثا بسبب حدوث مبصر لم يكن أو إرادة حادثة بسبب حدوث مراد لم يكن !!! من قال هذا فقد أنكر الإجماع الضروري على قدم صفات الله ، بجعله إياها حوادث متأثرة في وجودها ووظائفها بالمخلوقات الحادثة ، فبدلا من أن يصير الحادث خاضعا لعلم الله صار علم الله خاضعا للحادث فلا يكون ثم علم إلا بكون الحادث !!!!!! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

والواجب على المسلم الجزم بأن الله قد علم كل شيء وأدركه تمام الإدراك قبل حدوثه أزلا ، على ما هو عليه بعد حدوثه ، بحيث يجزم أن الله لم يحصل له بحدوث المخلوق علم جديد أو سمع أو بصر جديدين .

ومن لم يجزم بهذا ويوقن به فهو كافر ولا يصح إسلامه ، إذ كيف يتصور مسلم بأن الله تعالى قبل ساعة من الآن لم يكن عالما بالحوادث التي ستجد بعد ساعة فلما جدت ووجدت علمها !!!! ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟؟؟!! .

أم يكيف يظن مسلم أن الله قبل ساعة من الآن لم يسمع الأصوات التي حدثت بعد ساعة فلما حدثت سمعها ؟؟!! لأنه على تجويز هذا يكون ـ سبحانه ـ لم يزل غير سامع لها !!! ويعني ذلك بالضرورة أن مسموعاته بعد ساعة قد زادت على مسموعاته قبل ساعة !!!! ويلزم منه أن سمعه قبل ساعة كان ناقصا فازداد !!!! أفيقول هذا مسلم ؟؟!! وكذلك الحال في البصر ..

بل نقول إن الله علم الحوادث وسمعها وأبصرها وأرادها قبل حدوثها فلم يتغير بعد حدوثها سبحانه عما كان عليه قبل ذلك ولم يزدد بكونها وحدوثها شيئا فالحوادث هي الحادثة بإحداث الله إياها وليست صفاته هي الحادثة من علم وسمع وبصر .. ومن جوز هذا المعنى لزمه أن الله يعلم الأمور شيئا بعد شيء كذلك يسمعها شيئا بعد شيء أيضا يبصرها شيئا بعد شيء ، وهذه صفة المخلوق لا صفة الخالق ، ولو طبقنا ذلك المعنى الكفري البدائي على وقتنا هذا الذي نحن فيه لجاز أن يقال بأن الله لم يعلم ويبصر ويسمع ما سيكون بعد ساعة فضلا عما سيكون يوم القيامة !!! فعلمه وسمعه وبصره الآن ناقص !! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا كفر ما بعده كفر ..

هذا ولا يلزم من قولنا بسمعه وبصره الحوادث قبل وجودها أن تكون الحوادث قديمة ، كما لم يلزم من قولنا بعلمه الأشياء قبل حدوثها أن تكون الحوادق قديمة ، فالقديم علمه وسمعه وبصر ، لا المعلوم والمسموع والمبصر ـ بفتح الباء ـ .

فإن قيل : هذا لا يعقل أن يبصر الشيء والشيء لم يكن بعد !!
قلنا : اعقله كما عقلت أنه يعلمه قبل كونه .

ومن الضروري أن يوقن المؤمن أن سمعه تعالى وبصره كما لا يحدهما مكان فهو يسمع كل شيء ويبصر كل شيء أينما كان هذا شيء في أرض أو سماء في ظلمة أو نور ، فكذلك يجب عليه أن يوقن أنه لا يحدهما زمان فيسمع الأصوات التي هي بالنسبة لنا ماضية أو حاضرة أو مستقبلة ، فلا تعترض الأزمنة مهما تقلبت وتصرفت صفات الخالق من علمه وسمعه وبصره وإنما تقف الأمكنة والأزمنة على اختلافها بعدا وقربا حجابا وستارا عن سمع المخلوق وبصره لا عن سمع الخالق ..

وإذا جاز في الشاهد أن يرى النائم حدثا ما فيعاينه بالصوت والصورة قبل وقوعه ثم يراه في اليقضة كما كان في الرؤيا على سبيل خرق العادة فكيف بالخالق والخارق للعادة ؟؟!! .

سبحانه سبحانه ، وهذا مقام لا يحتاج إلى منقول أو نص ، فإما كفر وإما إيمان ولعل في هذا الخبر ما يستأنس به في الختام :

روى الطبراني في الأوسط بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بأعرابي وهو يدعو في صلاته وهو يقول : ((يا من لا تراه العيون ، ولا تخالطه الظنون ، ولا يصفه الواصفون [ولا تغيره الحوادث] ولا يخشى الدوائر ، يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد قطر الأمطار ، وعدد ورق الشجار ، وعدد ما أظلم عليه الليل

، وأشرق عليه النهار ، لا تواري منه سماء سماء ، ولا أرض أرضا ، ولا بحر ما في قعره ، ولا جبل ما في وعره ، اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاك فيه)) فوكل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأعرابي رجلا فقال : إذا صلى فأتني به ، فلما صلى أتاه ـ وقد اهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء ذهب من بعض المعادن ـ فلما أتاه الأعرابي وهب له الذهب وقال : ممن أنت يا أعرابي ؟ قال من بني عامر بن صعصعة يا رسول الله ، قال هل تدري لم وهبت لك الذهب ؟ قال للرحم بيننا وبينك يا رسول الله ، فقال : إن للرحم حقا ، ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل)) اهـ .

سؤال عن الكسب عند أهل السنة و الجماعة

بسم الله الرحمن الرحيم

نص السؤال:

السّلام عليكم ورحمة الله و بركاته
يا حبّذا يا أستاذنا إذا كتبت لنا عن الكسب عند أهل السنّة فقد بحثت في الموضوع لكن ما زلت إلى مزيد بيان عنه وأنتم- إن شاء الله -أهل لذلك ..وبارك الله فيكم.

الجواب:

السلام عليكم ورحمة الله وبركته
أخي الكريم: أحسن الله إليكم ورفع مقامكم وجزاكم خير الجزاء على حسن ظنكم بالفقير الذي هو لا في العير ولا النفير ، ولكن الحقائق قد تخفى ، وإني أعتذر عن الجواب عن شيء بعد هذا لأني لست أهلا لذلك وأنا اعرف بحالي من غيري ، وأقول هنا استجابة طلبكم وتحقيقا لرغبتكم :

ما سألتم عنه وهو الكسب ، وما هيته ، فأحسن من وقفت على كلام له يثلج الصدر ويغذي العقل ويقنع الجدران هو مولانا سيد المتكلمين على الإطلاق ولا أستثني ولا أبالي شيخ الإسلام بالدولة العثمانية مصطفى صبري التوقادي الذي كان العلامة

المحقق البحر محمد زاهد الكوثري وكيلا له وناهيك بهذا للتعرف على منزلة الموكل ، فقد شرح مسائل القدر في كتاب مستقل سماه ((تحت سلطان القدر)) عظيم جدا ، وترى المهم من مباحثه أيضا مدرجا في كتابه العظيم الذي لم يؤلف في علم الكلام مثله في الأعصار المتأخرة ((موقف العقل والعلم والعالم ..)) ويقع في 4 مجلدات وهو مطبوع تجده في مكتبة الإيمان بمصر أو المكتبات الأزهرية ، وقد أنبأنا عن هذا الإمام تلميذه العلامة علي القونوي ..

وحاصل المسألة على سبيل التوضيح المتناهي ، أن تعلم أن المسلمين قد أجمعوا على أمرين وآمنوا بهما معا :
الأول : أن الله خالق كل شيء كل شيء بلا استثناء فمن ذلك أفعال العباد .

الثاني : أن العبد محاسب ومسؤول عن أفعاله التي قامت به مسؤولية كاملة مع كون أفعاله من خلق الله .

هذان الأصلان يجب الإيمان بهما معا ، وإلا لم يكن المسلم سنيا بإخلاله بواحد منها .
فمن أنكر عموم الأول فزعم أن أفعال العباد خارجة من مخلوقات الله تعالى ـ ليصح التكليف بزعمه الفاسد ـ فقد وقع في القدر وكأنه جعل مع الله خالقا آخر هو العبد الذي يخلق أفعاله . !!!
ومن أنكر الثاني أي المسؤولية بناء على الأصل الأول وهو كون أفعال العباد مخلوقة لله ـ ليؤكد القدر بزعمه ـ فقد وقع في

التجهم والجبر الصريح. !!!
وكلا الأمرين ضلالة ، وإنما ضل من ضل لكونه لم يجمع في قلبه الإيمان بالأصلين المقدمين معا .

فإن قيل : إن كون فعل العبد مخلوقا لله مطلقا حتى خطرات القلب ، وكون العبد مع هذا مسؤولا عن أفعاله القائمة به أمر صعب التصور ، إذ كيف يكون مسؤولا عن فعل هو مخلوق لغيره ؟؟؟

فالجواب : هنا يقع خطر هذه المسألة ويكمن سرها وهنا يرتكز سر القدر الأعظم ، الذي أمرنا بالتسليم له ، ومن أراد كسف هذا السر كشف الله ستره ، هنا تقف العقول البشرية ، وتتعطل الأذهان العبقرية ، هنا نهاية الأقدام ومنهى الأفكار ، ولهذا نهينا عن الخوض فيه ، وطولبنا بالإيمان به ، ولولا هذا السر الغيبي وتلك العقدة التي لا تطيق العقول حلها لما كان القدر من العظمة بحيث يصير من أركان الإيمان ، وكل أركان الإيمان لها من الغيب نصيب وافر .

ولكن أقواما لم تصبر عقولهم المريضة على هذا حتى أرادت أن تكشف السر الأعظم فزلت في المآل الأوخم ، فصمم قوم منهم على تعيين جهة المسؤولية أي كشف ما ارتكزت عليه المسؤولية والمحاسبة فزعموا أن العبد هو خالق الفعل وليس الله !!! فانظر كيف جعلوا مع الله خالقا من حيث أرادوا تنزيهه عن ظلم العباد. !!
وآخرون لما عجزت عقولهم عن تحرير مناط المسؤولية

والمحاسبة لأنهم آمنوا بأن الله خالق كل شيء أسقطوا المسؤولية عن العبد وزعموا أن لا وجه لها ما دام ليس هو الخالق وزعموا أنهم كريشة في مهب الريح وأن الله لذلك لن يعذبهم وما نرسل بالآيات إلا تخويفا. !!!

وثبت أهل السنة على الجادة وآمنوا بالأصلين معا ، وسمو هذا السر المكتوم الذي لا تدرك العقول حقيقته وما هيته ، سموه كسبا أخذا من قول الله تعالى : ((فبما كسبت أيديكم)) فليس الكسب على هذا فعلا من الأفعال بل هو السر الذي ترتكز عليه المسؤولية هو الغيب الذي أمرنا بالإيمان به فالعبد مسؤول ومناط المسؤولية ليس كون العبد خالقا ، لا ، بل كونه كاسبا فقط ، وسمى السادة الأحناف الماتريدية هذا المعنى الغيبي سموه (اختيارا) وبقي هذا المعنى الغيبي المسمى عند الأشاعرة بالكسب وعند الماتريدية بالاختيار بقي غيبا غير مفهوم ، كل ما يمكن أن يقال عنه أنه مستند المسؤولية أو ما ارتكزت عليه المسؤولية والمحاسبة ، أما ما حقيقته فهنا لا كلام ، قال الطحاوي في عقيدته :
((وأفعال العباد خلق الله ، وكسب من العباد))

ومن هنا يتبين لك مدى سفاهة بعض الناس من الحاقدين والجاهلين الذين أرادوا الطعن على أهل السنة ـ كسفر تبعا لآراء ابن تيمية ـ والذين زلوا زلة القدرية ، فهلاء ظنوا أن الكسب الذي يقول به أهل السنة ظنوه عندنا فعلا من أفعال العبد !!! ولهذا اتهمونا بالتناقض لأننا أبقينا فعلا من أفعال العبد ـ وهو الكسب بزعمهم ـ غير داخل في جملة المخلوقات !!!

ولما صعب عليهم فهم هذا ما لوا إلى كون العبد فاعلا أي خالقا لفعله والعياذ بالله.!!!

بل واتشهدوا بقول أحد الزنادقة ـ لذلك لا يصرحون باسمه ـ إذ قال :

مما يقال ولا حقيقة تحته ... معلومة تدنوا من الأفهام

وهذه كلمة حق أريد بها باطل ، فكون الكسب غير مكشوف ولا معروف سره حق وصدق ، ولكن هذا القائل أراد أن يتوصل من خلال غموض سر القدر وهو الكسب إلى إنكاره ورده لتبقى المسألة تحت سلطة العبد الكفور وليتجرأ هو وزمرته على ما حذر النبي أمته من التجرؤ عليه والخوض فيه ، فهؤلاء لم يبالوا بالغيب ، وهم مصممون على كشف السر ، ولا يرضون بأن يكون القدر من جملة الأمور الخطرة الغيبية التي يجب علينا التسليم بها دون محاولة استكناه حقيقتها فوقعوا فيما ترى !!!

وهكذا تعرف في الختام أن (الكسب) هو اسم لمناط مسؤولية العبد ، اسم لذلك السر الذي استحق به العبد العقوبة على فعله ، وأن هذا الكسب غيب لا يمكن للعباد كشفه ، فكونك يا أخي الكريم لم تستطع فهمه حق الفهم عين الإيمان ، ومحاولة تفسيره بأكثر مما ذكرنا هو باب الزندقة وقنطرة الانزلاق في القدر أو الجبر والإرجاء وأب ت الإلحاد .. وفي هذا كفاية وعليك

بالكتاب الذي أرشدتك إليه ففيه الغنية والشفاء .
هذا وقد رأيت لك أخي الكريم سؤالا آخر انتبهت إليه أخيرا وهو قولك في موضوع ابن تيمية :
((هل أنت متأكّد من أشعرية الحافظ ناصر الدين الدمشقي مؤلف الرد الوافر؟))
والجواب أن هذا هو الظاهر لقرائن كثيرة منها أنه ولي مشيخة دار الحديث الشرفية التي من شرطها أن يكون متوليها أشعريا كما ذكره السبكي في الطبقات ، ولهذا لم يولها الذهبي مع تأهله لها من جهة الحديث وذلك لكونه قيل عنه حشوي ، مع أنه شافعي ، فالشرط أن يكون شافعي الأصول والفروع معا .
ومن اليقيني كون ابن ناصر صوفيا وله مؤلفات في المولد والسيرة وقد أثنى وعظم كثيرا من الأشاعرة ووصفهم بمشايخ الإسلام والتجديد ونحو ذلك ، ولم نقف له على شيء يخالف فيه معتقد الشاعرة ، بالإضافة إلى صداقته للأشاعرة ومخالطته لهم المعروفة والتلمذة عليهم ونحو ذلك ، ولعلكم لو تطالعون ترجمته في (الضوء اللامع) للسخاوي تقفون على بعض تصانيفه وجوانب أكثر من ترجمته ، وكتاب الرد الوافر دفاع عن ابن تيمية على طريقة المصريين كما قلته في المقال ، مع أني أجزم أن ابن ناصر لا يدري عن مسائل الاعتقاد المنسوبة لابن تيمية قليلا ولا كثيرا بل ولا أظنه يستوعبها وهذا خير له ، وهو صاحب البيات الشهيرة :

حبا الله النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه ... لإيمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

ذكره في كتابه (مورد الصادي في مولد الهادي) كما نقله عنه الجلال السيوطي في (التعظيم والمنة ...) وله رسائل في لبس الخرقة الصوفية ونحو ذلك والحاصل أن دفاعه عن ابن تيمية ليس نابعا من تأييد أقواله الخطرة بل ولا من معرفتها أصلا والله أعلم .

العلاقة بين الصوفية الأشاعرة

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال :

هل الصوفية هم الأشاعرة أو هل كل الصوفية أشاعرة ، وماذا عن الأحباش هل هم من الصوفية أو قريباً منهم ..

الجواب :

لا ليس كل الصوفية أشاعرة ، فمنهم أناس لحقوا بأهل البدع والضلالة ، فقد تصوف أناس من الكرامية وهي فرقة ضالة مجسمة ، وزعيمهم محمد بن كرام السجستاني المجسم كان مشهورا بالزهد حتى قال فيه أبو الفتح البستي :

الفقه فقه أبي حنيفة أو زفر ********* والدين دين محمد بن كرام
إن الذين لجهلهم لم يقتدوا ******** في الدين بابن كرام غير كرام

وتصوف أيضا جماعة من الحشوية المائلين إلى التجسيم كأبي نصر الوائلي السجزي الصوفي وهو ممن يعتمد السلفيون على رسالة له في العقيدة على تصوفه ، وأبو إسماعيل الهروي

الملقب عند الحشوية بشيخ الإسلام كان أيضا صوفيا وله شطحات في منازل السائرين وقد شرحه له ابن القيم على طريقة التصوف !! وكان ابن تيمية يغمزه ويتهمه لتصوفه ، لكن يسميه شيخ الإسلام لحشويته !! وكتابه الأربعين ذكر فيه من صفات الله : الهرولة !! والخط !! والحد !! ... لكن والله أعلم لعله تاب في آخر أيامه فإن الباخرزي نقل له أبياتا يمدح فيها الوزير العالم نظام الملك الأشعري الكبير باني المدارس النظامية ، ونقل عن إمام الحرمين الجويني مدح حسن فيه في أخريات أيامه فهذا يرجح توبته ..

ومم تصوفوا أيضا من غير أهل السنة جماعة من الرافضة كالفيض الكاشاني وغيره ..

وكان من الصوفية أيضا معتزلة ، وجهمية ، ومرجئة ، وحلولية ، وقضية أبي المغيث الحلاج معروفة فقد اتهم بالحلول وقتل على هذا في بغداد سنة 309هـ ، ومن الصوفية من كان ظاهري المذهب كمحمد بن طاهر المقدسي وغيره إذن فليس كل الصوفية أشاعرة ، وهؤلاء الصوفية الذين ليسوا بأشاعرة خارجون عن أهل السنة والجماعة بما ابتدعوه من أقوال وأفعال ، ومن الصوفية من هو أشعري المعتقد سديد الطريقة وهم كثيرون منهم كثير مذكورون في طبقات الصوفية لأبي عبدالرحمن السلمي والحلية لأبي نعيم الأصفهاني وغيرهما من الكتب والطباق المثورة ومن هؤلاء الصوفية المعتبرين لاتباعه الكتاب والسنة الجنيد البغدادي والحارث المحاسبي وسهل التستري والسقطي والداراني والشبلي وغيرهم ثم الإمام أبو القاسم القشيري وأولاده ، والإمام البيهقي والغزالي وغيرهم وكثيرون بعدهم .... فهؤلاء الذين كانت عقائدهم عقائد أهل

السنة الجماعة وخلصوا من البدع فمقبولون مقتدى بهم دون غيرهم ..
ومن هنا يعلم أنه ليس الأشاعرة صوفية بالضرورة ، بل قد يكون منهم المتصوف وقد لا يكون يعني قد يكون منهم الزاهد وقد لا يكون ، لأنه سلوك وتقوى والله يؤتي فضله من شياء ، ويعلم أيضا أنه ليس كل صوفي لا بد أن يكون أشعريا فقد يكون الصوفي منتسبا إلى أهل البدع في عقيدته ..

وأما ما يتعلق بالأحباش أتباع الشيخ عبدالله الحبشي الهرري فقد قرأت كتب شيخهم المطبوعة لما كثر الكلام عليهم فما رأيت فيها ما يخالف العقيدة الأشعرية منهج أهل السنة والجماعة غير مواضع نحتاج أن نتبينها منهم لا من غيرهم لكثرة الكذب والافتراء عليهم من قبل الوهابية ، فقد وقع التكفير بينهم واستحل البعض الكذب والافتراء عليهم فيما أعلم كما هو شائع الآن بكثرة على صفحات النت ، والواجب التثبت في هذه الأمور وما ينكر عليهم من تكفيرهم ابن تيمية وابن القيم ... فهذا أمر قديم قبل وجود الأحباش ، فقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا من معاصري ابن تيمية وممن بعدهم ، وقد كانت كتب ابن تيمية وابن القيم ممنوعة في الأزهر الشريف لعدهما من (المجسمين) إلى عهد قريب كما في مذكرات الأستاذ القرضاوي :

وهذا يعني أن الأزهر خلال قرون كان ينظر إلى هذين على

أنهما (مجسمان) ، ثم تم التخفيف من هذه النظرة ليسمح لبعض كتبهما بالتداول كزاد المعاد مثلا لابن القيم وهو كتاب يركز على العبادات بالدرجة الأولى لا العقيدة ... فالحاصل أن هذا الأمر مسألة خلافية لا يجوز إخراج الأحباش ولا غيرهم بسببها من جملة أهل السنة والجماعة فمن مال إلى رأي قدماء الأزهر ـ ولهم قدوتهم في ذلك من أهل العلم ـ فهذا اختياره ومن مال إلى رأي المحدثين من علماء الأزهر ـ ولهم قدوتهم في ذلك من العلماء القدماء ـ فهذا شأنه ، واختيار الفقير الفرار من التكفير ، بضرب من التأويل السائغ المعقول بحق حرمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، والحاصل أنه ينبغي لمن سمع شيئا منكرا ينسب إلى هذه الطائفة أن يسألهم هم دون غيرهم بأن يقصدهم في مواقعهم ويطرح سؤاله عليهم فينظر إلى رأيهم ووجهة نظرهم فيها ، وعليه أن يتحرى ويتثبت فلعل بعضهم يقول قولا عن نفسه لا يرجع في ذلك إلى قول شيخهم وتصانيفه مثلا والله أعلم .

من عجيب ما لَدَيّ

في توجيه "لما خلقت بيدَيّ"

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل أخونا الكريم حسام الإسلام فقال :

((.. أعرف أن فريقاً من الأشاعرة يثبت لله الوجه واليد وعمدتهم في ذلك أن الله قال لإبليس -عليه لعائن الله تتري- : "مامنعك أن تسجد لما خلقت بيديَّ أستكبرت أم كنت من العالين" ص 75 فلو جاز أن تحمل اليد علي القدرة .. لما جاز -في هذا الموضع ثم في غيره- أن تحمل عليها لامتناع وجود قدرتين !
وهم في ذلك فريقان فمنهم من يثبت بعض ماقال بعضهم أنه يوهم التشبيه ، ومنهم من يتأوله ...أرجو الإفادة)) اهـ .

كما اعترضت الأخت المؤمنة بما نصه :

((لو كان المراد باليد القوة ، ماكان لآدم فضل على ابليس ، بل

ولاعلى الحمير والكلاب ، لأنهم كلهم خلقوا بقوة الله ، ولو كان المراد باليد القوة ، ماصح الاحتجاج على ابليس ، إذا إن ابليس سيقول : وأنا يا رب خلقتني بقوتك ، فما فضله علي؟؟)) اهـ .

الجواب:

الحمد لله وكفى ، وصلاة وسلام على نبيه المصطفى وآله وصحبه أولي الجد والعزم والوفا وبعد ..

نعم إن قوله تعالى (لما خلقت بيدي) لا يجوز أن يراد به القدرة ، لأنه لو أريد به القدرة لم يختص آدم بها فإبليس أيضا خلق بقدرة الله ، وكان لإبليس أن يقول : يارب أنا أيضا خلقتني بقدرتك فما الذي ميز آدم علي ؟؟ .

هذا اعتراض صحيح يسقط التأويل هنا بالقدرة ، والسبب في سقوط هذا التأويل أنه لا يسمح بالخصوصية والتمييز لآدم ، والخصوصية والتمييز لآدم أمر لابد منه فبطل ما يضاده وهو تأويل اليدين بالقدرة أو النعمة ونحوهما .

لكن هذا الاعتراض القوي الذي يبطل التأويل بالقدرة مبني على أن هذا التأويل مبطل لتميز آدم ، ومقتضى هذا الاعتراض

القوي أن كل تفسير يعارض تميز آدم يكون مردودا ..

فهل تفسير اليدين بالصفة يعارض التمييز فيبطل ، أم لا فيصح ؟؟

الجواب : إن حمل اليدين في الآية على الصفة يبطل التميز أيضا من وجهين :

الأول :
لا يعتبر خلق آدم باليد تميزا ، لقوله تعالى : ((ألم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما)) فأخبر أنه عمل الأنعام بيده ، فيضطر الخصم إلى التأويل هنا ليسلم له تميز آدم فيؤول اليد هنا فيقول صلة
والإنصاف أنه لافرق بين قوله ((خلقت بيدي)) وقوله ((عملت أيدينا)) إلا عند المتكلفين ، وبالتالي يلزم إما التأويل هنا أو هناك ـ وليس أحد الموضعين بأولى من الآخر عند العقلاء ـ وإما إسقاط تميز آدم لأن الأنعام كلها صارت مشاركة له في هذا التكوين باليد بل يلزم تفضيل الأنعام على باقي الأنبياء الذين لم يخلقوا باليد وهذا باطل فبطل ما أدى إليه وهو حمل اليد في الآيتين على الصفة ، وقد ناقشت بعضهم في مجلس حافل فأبى أن يؤول في الآيتين !! ومع هذا أصر على وجود تميز !! فهدى الله أخوين كريمين إلى الحق .

الثاني :
إن تفسير اليدين في الآية بالصفة لا يعد تمييزا لآدم لأن إبليس

كما يجوز أن يقول : يارب خلقتني بقدرتك وخلقته بقدرتك ولا فضل لقدرتك على قدرتك لأن صفاتك لا تتفاوت أقول : كما يقول إبليس هذا هنا ، فإنه يمكنه أن يقول أيضا : يارب أي فضل لآدم علي بخلقه باليد ؟؟ فأنا خلقتني بقولك كن فكنت ، وكلامك صفتك العظيمة ـ التي استحق موسى عليه السلام التفضيل بسماعها ـ فإن كان آدم خلقته بصفة من صفاتك فأنا أيضا خلقتني بصفة من صفاتك ، وصفاتك أجل وأعظم من أن تتفاوت ويفضل بعضها بعضا فلا وجه لتفضيله علي.

(تنبيه مهم جدا) :

حذار ثم حذار أن يقول قائل : إن ما خلق بصفة اليد أفضل مما خلق بصفة القدرة أو الكلام ، لأن مؤدى هذا إلى تفاضل صفات الله !! ومن يقول بهذا فقد ضل ضلالا مبينا ، ولو جاز لقائل أن يقول بأن صفة اليد أفضل من صفة الكلام والقدرة ، لجاز لقائل أن يقول العكس بل ويقول بأن القدرة التي خلق بها آدم أعظم من القدرة التي خلق بها إبليس وبهذا يحصل التمايز !! ، وهذا كله باطل كما لا يخفى فحذار .

وهناك جواب ثالث يمنع من حمل اليد في هذه الآية على الصفة ، وهو قوله تعالى : ((إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)) فأخبر تعالى أن عيسى وآدم (متماثلان) في الخلق ـ والتماثل هو التشابه من كل وجه ـ وقد علمنا يقينا أن عيسى لم يخلق بصفة اليد واختلفنا في آدم فوجب أن نحمل ما اختلفنا فيه على ما اتفقنا عليه وهو أن عيسى لم

يخلق بصفة اليد قطعا فوجب كذلك في آدم لضرورة كونهما متماثلين في الخلق والتكوين.

فإن قيل : لم لا يجوز أن يكون خلق آدم بصفة اليد وصفة الكلام معا ؟؟ .

فالجواب : أن هذا لو جاز لما كان آدم مثل عيسى في الخلق ، والله أخبر أنه مثله في الخلق وعيسى لم يخلق إلا بكن .

ويجاب أيضا : أتجوزون أن يخلق الله آدم بيدين صفتين اثنتين من جنس واحد أم هما صفة واحدة ؟؟ فإن قالوا : بيدين صفتين !! قلنا : فلم أنكرتم على من قال بقدرتين اثنتين وقلتم لا يجوز أن يكون هناك قدرتان بل قدرة واحدة ؟؟!!.

وإن قالوا : اليدان صفة واحدة لا صفتان ، قلنا : فإن جاز أن تكون اليدان يدا واحدة !! مع أنهما اثنتان كما في الآية جاز لخصومكم أن يقولوا عن القدرتين بأنهما ليستا قدرتين بل قدرة واحدة !! .

فبان بما قدمناه باختصار ـ ولدينا مزيد ـ أن ما يحتج به من يتمسك بهذه الآية يمكن الرد عليه وتبين أيضا أنه من باب الظنيات لا القطعيات ، ومن ثم ارتضينا هذا وذاك ولم نعنف أحدا ممن ذهب إلى هذا أو ذاك وقلنا المسألة اجتهادية فمن قال بالصفة لم ننكر عليه ومن قال بالتأويل الصحيح لم ننكر عليه .

وأختم هنا بتنبيهين :

الأول :
أن تأويل اليد في هذه الآية بالقدرة ليس قول المحققين من الأشاعرة فلا يكون الراد لهذا التأويل رادا على الأشاعرة أصلا ، وكيف ذلك ومحققوهم يمنعون هذا التأويل ؟؟!! لكن منع هذا التأويل بخصوصه لا يعني منع التأويل مطلقا فتنبه ، فالتأويل الباطل يرد ، والتأويل الصحيح يقبل .

الثاني :
أن التأويل الذي لا ينخرم أبدا ولا ترد عليه كل هذه الإشكالات هو تأويل الآية : لما خلقت بعنايتي وتفضيلي ، أي خلقته معتنيا به مفضلا إياه مريدا لتقديمه ، فهذا التأويل بمزيد العناية وقصد التفضيل تفسير قوي جدا لا يمكن نقضه ، وأحسب أن الأئمة الذين أيدوا هذا التأويل الجليل كالإمام ابن الجوزي والإمام شيخ الإسلام بدر الدين بن جماعة والأستاذ العلامة الكوثري قد انتبهوا إلى ما انتبهت إليه من الإيرادات لكني لم أقف على تقرير لهم يشبه ما قدمته ، فالإنصاف أن القارئ إذا أراد أن ينقل هذا الذي قدمته أن ينسبه إلى الفقير إلى الله .

وأنا متأكد أن بعض الإخوة قد يتساءل كيف وقف الأزهري على هذا التوجيه القوي ووفق إليه ؟؟ فأقول هذا له قصة خلاصتها توفيق الله ، وأقول أيضا من باب إرجاع الفضل إلى أصحابه أنني استفدت هذه الدلائل بهذا الشكل بعد تمعن شديد في كلام إمامنا شيخ السنة أبي الحسن الأشعري في الإبانة

رضي الله عنه ، وقطعا لو رجع غير المتخصصين إلى كلام الأشعري فلن يجدوا فيه هذا الذي قررته هنا !! لأنهم لو وجدوه لم يكن فرق بينهم وبين أهل الاختصاص ورضي الله عن الإمام الأشعري ما أدق نظرته وأعمق فكرته ، والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله وسلم على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه .

العلم الحديث يقضي على

عقيدة الجهة الحسية

بسم الله الرحمن الرحيم

دل العلم الحديث القاطع الذي لا جدال فيه على أن الأرض تدور حول نفسها فتختلف الجهات ، فما كان فوق يصير تحت وما كان تحت يصير فوق بسبب حركة الدوران هذه ، وهذه المسألة العلمية التي ليست محلا للجدال لا تتناقض من القرآن ولا مع السنة ولا مع ثوابت العقيدة ، لكن قوما ممن يؤمنون بعقيدة الحشو وهي عقيدة الجهة الحسية التي نشاهد مثلها في الأجرام السماوية المرتفعة ، لكن قوما هذه عقيدتهم أحسوا بالخطر الذي تهددهم من خلال الإيمان بدوران الأرض فسارعوا في يأس إلى التحذير من مسألة دوران الأرض بحجة أنها تفسد العقيدة وتعلم الإلحاد والتعطيل ، فأضحكوا الناس عليهم ، لأن دوران الأرض بات حقيقة علمية لا جدال فيها ولئن كان هذا الدوران مفسدا لشيء ما فهو مفسد لعقيدة الحشو والجهة الحسية بلا ريب ، ولقد أعجبني مقال لطيف للأستاذ أحمد درويش أثبته هنا بحروفه ، قال جزاه الله خيرا :

دوران الأرض يفسد العقيدة الخوارجية

الخوارج يعيشون في حيرة فكرية، حيث وصل بهم التناقض إلى أن العلوم العصرية التجريبية قد تسبب فساداً لعقيدتهم، فهم

معادون لكل علم عصري، ولو كان الأمر بأيديهم لما تعلَّم مسلمٌ في بلاد الحرمين شيئاً من العلوم العصرية، ولِتعلم ذلك من أقوالهم فهذا نقل حرفي من كتاب (هداية الحيران في مسألة الدوران) لمؤلفه عبدالكريم بن صالح الحميد، مطبعة السفير – الرياض، وقد طبع طباعة فاخرة، ويباع بثمن بخس (5 ر.س) ، وسترون فيه دفاع الخوارج المستميت عن القول بأن الأرض لا تدور، وقد ضللوا الشيخ الزنداني علناً في هذا الكتاب، وكأنَّ الشيخ الزنداني هو الوحيد الذي يقول بهذا القول ، وإليكم مقاطع من الكتاب، وأترك ذلك لحكمكم أيها القراء:

من الصفحة (10): (فإن مما عمت به البلوى في هذا الزمان: دخول العلوم العصرية على أهل الإسلام، من أعدائهم الدهرية المعطلة، ومزاحمتها لعلوم الدين، وهذه العلم قسمين :

القسم الأول:

هو علوم مفضولة، زاحمت الشريعة وأضعفتها. وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن العلوم المفضولة إذا زاحمت العلوم الفاضلة فأضعفتها فإنها تُحرّم.

القسم الثاني:

علوم مفسدة للاعتقاد مثل: القول بدوران الأرض، وغيره من علوم الملاحدة)

ثمَّ أفصح بأن القول بدوران الأرض يفضي إلى بطلان العقيدة الإسلامية (و هذا افتراء واضح) فجعل عنوان المقال (القول بدوران الأرض يفضي إلى التعطيل) صفحة (13) والعنوان كاف عمَّا يليه من تهريج.

ثمَّ بدأ يتحدث عن علم الجيولوجيا صفحة (25) فقال: (من هنا ضلَّ القوم وأضلوا غيرهم)!!

وقال مضللاً الشيخ الزنداني في صفحة (26): (ولما كان الزنداني ممن غرتهم علوم الملاحدة، وأرادوا أن يوفقوا بينها وبين علوم الشريعة المطهرة، ولم يوفقوا...) ثم يقول: (قال ابن القيم رحمه الله..) وكأنه إذا قال ابن القيم فلا يجوز لأحد غيره أن يخالفه!!

ويقول ص (32): (واعتقاد دوران الأرض أعظم من اعتقاد تسلسل الإنسان من القرود بكثير) لا تعليق!!

ثمَّ كان العنوان ص(33) كالتالي: (كل دليل من الكتاب والسنة على دوران الأرض فهو تأويل باطل) ولكنه لم يذكر آية واحدة ولا حديثاً نبويا يؤيد ما يزعم!

وقال في ص (36) تحت عنوان (ماذا يعني القول بدوران الأرض): (هذا الاعتقاد ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو مقصود

لغيره، إذ هو حلقة من سلسلة تبدأ من التعطيل وتنتهي إليه، ومُعتقِده يلتزم من أجله لوازم في غاية الخطورة، حيث يلتزم أن ما فوق الأرض من كل جانب فضاء لا نهاية له) وهنا مربط الفرس!
فنقول: أيها الناس لقد حكم هؤلاء القوم ببطلان عقيدتهم، فدوران الأرض وكرويتها لا يحتاج اليوم إلى دليل؟!

ملاحظة: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز يرى أيضاً هذا الرأي، مع زيادة بسيطة وهي أن من أصرّ على القول بدوران الأرض حول الشمس فهو مرتد يستباح دمه، وماله فيء لبيت مال المسلمين ! أما العثيمين الأكثر تفتحاً فإنه ينصح مدرسي مادة الجغرافيا بعدم تدريس دوران الأرض للطلبة .

ولقد تجرأ الكاتب ص (41-45) وبكل وقاحة على رجل بذل روحه رخيصة في سبيل الله، إنه صاحب (معالم على الطريق) شهيد الإسلام سيد قطب، وإن يدي لا تستطيع الخوض فيما كتبه هذا الجريء على أعلام الإسلام، وقد ألفَّ كتاباً آخر سماه (إنارة الدرب لما في تفسير قطب من آثار الغرب) فإنا لله وإنا إليه راجعون، وسبحان من ابتلى المسلمين باستيلاء اليهود على بيت المقدس، وهؤلاء على الحرمين الشريفين.

أيها الاخوة إنني أحس بألم شديد يعتصرني على جرأة هؤلاء على أعلام الأمة، الأحياء منهم والأموات، وأنا موقن بنهاية هؤلاء قبل انتهاء النفط؛ فالله سريع العقاب، والله أكبر، والنصر للإسلام .

الرد على نظرية التولد التي يقول بها بعض الحشوية

السؤال:

ينكر الأشاعرة الربط العادى بإطلاق وان يكون شىء يؤثر فى شيء وأنكروا كل "باء سببية" في القرآن وكفروا ويدعوا من خالفهم وماخذهم فيها هو ماخذهم فى القدر، فمثلا من قال ان النار تحرق بطبعها او هي علة الاحراق فهو كافر مشرك لانه لا فاعل عندهم إلا الله مطلقا ..الخ
ما هو رد السادة الأشاعرة على هذا الموضوع ؟

الجواب:

هذا جزء من جواب على منهج سفر :

((الثالث : قول صحيح لأهل السنة ، وقد فهمه سفر فهما صحيحا ، لكنه مع هذا رده وأنكره وأبطله ميلا منه إلى مذهب القدرية أو الطبائعية الدهرية أو المعتزلة والجهمية مخالفا بذلك أهل السنة زاعما أنه إنما يخالف الأشاعرة ، كزعمه بأن خالق الإحراق هو النار !! وخالق الشبع هو الخبز !! وخالق الري هو الماء !! تعالى الله عن قوله علوا كبيرا ، وهذه مخالفة واضحة لمذهب المسلمين المعتقدين بأن الذي يشبع ويروي ويحدث هذه الآثار من إحراق وتبريد إنما هو الله تعالى دون غيره ، وما

هذه الأشياء من نار وطعام وماء ونحوها إلا أسباب لحصول الأثر بأمر الله فقط فأعجب لمن أشرك مع الله شيئا من خلقه وزعم أن التأثير للأسباب لا لمسبب الأسباب !!! ثم عاب أهل السنة فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ؟؟.!!
وهذا الفهم من سفر سببه ميله إلى مذهب الطبائعيين والدهريين القائلين بخواص الأجسام الكافرين بالله ، فمزج سفر بين قولهم وقول المسلمين بأن جعل الله خالقا أول ، والأسباب هي الخالق الثاني على طريقة المعتزلة ، وهذه النظرية الفلسفية هي التي تسمى بالتولد)).

إلى أن قلت :

((ومن ضلالاتهم قولهم (بالتولد) وهو أن الله تعالى مؤثر بالواسطة والعياذ بالله ، وتفسيرها أن الدواء مثلا فيه خاصية الشفاء وطبيعة الشفاء لا يمكن أن تنفك عنه ، فهي طبيعة فيه ، ومثل ذلك الخبز والماء فهي بطبعها تشبع وتروي فلها مع الله خلق وشأن ، الله خالقها وهي تؤدي وظيفتها مستقلة بعد ذلك !!
أما مذهب المسلمين فهو أن هذه الأشياء محتاجة إلى الله لتأدية الأثر فالنار في وقت الإحراق محتاجة إلى الله ليخلق فيها إحراقا والبطن محتاج إلى الله في وقت صيرورة الخبز فيه ليخلق فيه شبعا ، فالله خالق النار وإحراقها والماء وريه والخبز وإشباعه أما الطبائعيون فيقولون لا بل الخبز مشبع بخاصية فيه والماء كذلك فلا يمكن أن تتغير الخواص فالإشباع بالنار مثلا غير ممكن والإحراق بالماء غير ممكن ، وأما المسلمون فيقولون لو شاء الله لروى بالنار وأحرق بالماء فهو الخالق يفعل

ما يشاء وبالتالي فلا فرق بين النار والماء تحت قدرة الله تعالى ولقد عبر ابن تيمية عن هذا الرأي البدعي بوضوح في الفرقان فقال :

((ومن قال أن قدرة العبد وغيرها من الأسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات ليست أسبابا ، أو أن وجودها كعدمها ، وليس هناك إلا مجرد اقتران عادي كاقتران الدليل بالمدلول فقد جحد ما خلق الله وشرعه من الأسباب والحكم ، ولم يجعل في العين قوة تمتاز بها عن الخد تبصر بها ، ولا في القلب قوة يمتاز بها عن الرجل يعقل بها ، ولا في النار قوة تمتاز بها عن التراب تحرق بها ، وهؤلاء ينكرون ما في الأجسام المطبوعة من الطبائع والغرائز)) !!
هذا كلامه ومقصوده كلام الطبائعيين ، وأنه ليس من الحكمة مثلا لو أن الله جعل النار تروي والماء تحرق !! لماذا ؟؟؟ لأن الخاصية والطبيعة ـ التي يقول بها الملاحدة ـ لا تتلاءم مع هذه الوظائف !!!!! فأين الله إذن ؟؟؟ وهل هذه إلا دعوة للإشراك بالله تعالى ، فانظر إلى هؤلاء القوم وشركهم بالله الماء والخبز ونحو ذلك !!! وفي فتح الباري للحافظ ابن حجر في كتاب النكاح ، باب العزل ، 307/9 :
((وقد أخرج أحمد والبزار وصححه ابن حبان من حديث أنس : (أن رجلا سأل عن العزل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو أن الماء الذي يكون منه الولد أهرقته على صخرة لأخرج الله منها ولدا) وله شاهدان في الكبير للطبراني عن ابن عباس وفي الأوسط عن ابن مسعود وسيأتي مزيد لذلك في كتاب القدر إن شاء الله تعالى)) اهـ من فتح الباري .

ففي هذا الخبر الذي روى البخاري طرفا منه في باب العزل وطرفا في كتاب القدر لدليل واضح على أن الرحم والصخرة متساويان في قدرة الله ، وكيف لا وقد أخرج الباري ناقة صالح من الجبل الأصم !! فقدرة الله لا حدود لها وعلى المؤمن الحذر من اعتقاد الطبائعيين القائلين بالخواص المشركين مع الله الخبز والماء ، فالسلفيون ومنهم سفر المستهزئ بأهل السنة يشركون بالله هذه الأسباب ويرون أن خلق الولد من الصخرة أو الإبصار بالخد أو الإحراق بالماء لا يتأتى وليس من الحكمة فهم في الحقيقة قائلون بالطبع والخواص التي تحدد لله ما يفعل وما يذر وهذا مذهب الحشوية منذ زمن بعيد ، وقد رد عليهم أئمة السنة قال الإمام سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام في ملحة الاعتقاد ط دار القادري ص48 :

((... ولولا ما وجب على العلماء من إعزاز الدين ، وإخمال المبتدعين ، وما طولت به الحشوية ألسنتهم في هذا الزمان من الطعن في أعراض الموحدين ، والإزراء على كلام المنزهين ، لما أطلت النفس في مثل هذا مع إيضاحه ... وما زال المنزهون والموحدون يفتون بذلك على رؤوس الأشهاد ، في المحافل والمشاهد ، ويجهرون به في المدارس والمساجد ، وبدعة الحشوية كامنة خفية ، لا يتمكنون من المجاهرة بها ، بل يدسونها إلى جهلة العوام ، وقد جهروا بها في هذا الأوان ، فنسأل الله تعالى أن يعجل بإخمالها كعادته ، ويقضي بإذلالها على ما سبق من سنته ، وعلى طريقة المنزهين الموحدين درج الخلف والسلف رضي الله عنهم أجمعين .

والعجب أنهم يذمون الأشعري بقوله : (إن الخبز لا يشبع ، والماء لا يروي ، والنار لا تحرق) وهذا كلام أنزل الله معناه

في كتابه ، فإن الشبع والري والإحراق ، حوادث انفرد الرب بخلقها ، فلم يخلق الخبز الشبع ولم يخلق الماء الري ولم تخلق النار الإحراق ، وإن كانت أسبابا في ذلك ، فالخالق هو المسبب دون السبب ، كما قال تعالى : (وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى) نفى أن يكون رسوله خالقا للرمي ، وإن كان سببا فيه ، وقد قال تعالى : (وانه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيى) فاقتطع الإضحاك والإبكاء والإماتة والإحياء عن أسبابها ، وأضافها إليه ، فكذلك اقتطع الأشعري رحمه الله تعالى الشبع والري والإحراق عن أسبابها وأضافها إلى خالقها لقوله تعالى : (خالق كل شيء) وقوله : (هل من خالق غير الله) (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) (أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون)

وكم من عائب قولا صحيحا :::: وآفته من الفهم السقيم

فسبحان من رضي عن قوم فأدناهم ، وسخط عن آخرين فأقصاهم (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون))) اهـ كلام سلطان العلماء .وأصل هذه المسألة أعني القول بالتولد الذي يذهب إليه الحشوية قد قال بها المعتزلة ونقضها عليهم العلماء في كتب المقالات فلتنظر هناك)).

إبطال الاستدلال بقلب النعال

على العلو الحسي للكبير المتعال

بسم الله الرحمن الرحيم

عقيدة النعال تستهوي البعض ، وهي أن العوام يكرهون مواجهة أسفل النعل للسماء والسبب في نظر الحشوية أن العوام لا يريدون أن تكون النعال مقابلة لمكان الله سبحانه وتعالى عما يصفون وعما يفترون على العوام :

فنحن الآن أمام دعويان :

(الأولى) تقول : بأن العوام على الفطرة ويؤمنون بالعلو الحسي بدليل (عقيدة النعال) وبدليل قول العجائز ("سبحانو ععرشو") ، يمثل هذه الدعوى أبو الحسن الشامي والمعتصم بالله انتصارا للحشو .

(والثانية) تقول : بأن العوام والخواص لا يؤمنون بالعلو الحسي المادي ، ولا يؤمنون بأنه على العرش بالمعنى الحسي ، ويمثل هذه الدعوى أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية وهم بقية الأخوة المشاركين .

فما الصواب من بين هاتين الدعويين يا ترى ؟؟؟؟ الجواب ترونه في كلام سلفي من كبار سلفييهم ، نذكر لكم كلامه من باب (من فمك أدينك) ومن باب (والفضل ما شهدت به الأعداء) إنه كلام محمد ناصر الدين الألباني الذي عاش في بلاد الشام وخبره وخبر أهله ، فالرجل لم يشأ أن يتلوى ويتكلف لكي يصح له الاستشهاد بفطرة العوام كما يتكلف غيره ـ والغريق يتعلق بقشة ـ ، لم يعرج على (عقيدة النعال) ولا مقولة (سبحانو ععرشو) بل نظر نظرة أخرى غلبت عليه فرجحها ولم يلتفت إلى سواها ، وهذه النظرة تشهد للدعوى الثانية دعوى أهل السنة والجماعة ، وتكذب الدعوى الأولى دعوى أهل الحشو والرقاعة فاستمتعوا بعباراته :

يقول الألباني في شريط (العلو) بالحرف :

((فقد ذهبت المعتزلة ، وتبعتهم الأشاعرة ، ثم لحقهم في ذلك

جميع المسلمين الذين هم اليوم على وجه الأرض ، إلا قليلا منهم ، وهم أهل الحديث ، فالمعتزلة والأشاعرة وأكثر المسلمين اليوم ينكرون أن يكون الله تبارك وتعالى فوق مخلوقاته كلها ، بل يصرحون بأن الله عز وجل في كل مكان ...)) إلخ كلامه .

ويقول في (مختصر العلو) ص53 :

((ومن هنا تعلم مبلغ ضلال الجهمية ومن تاثر بهم من الخلف الذين أنكروا جميعا أن يكون الله تعالى على عرشه فوق خلقه ثم انقسم هؤلاء على مذهبين :

الأول : مذهب الجهمية الذين ذهبوا إلى أن الله تعالى في كل مكان مخلوق .....

والمذهب الآخر : قول بعض غلاة النفاة للعلو : الله لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا أمام ولا خلف ولا داخل العالم ولا خارجه ، ويزيد بعض فلاسفتهم : ولا متصلا بالعالم ولا منفصلا عنه .....

وهذان المذهبان الباطلان أحدهما ولا بد لازم لكل من أنكر صفة العلو لله على عرشه كما سبق بيانه .

وإن مما يؤسف له شديد الأسف أن المذهب الأول منهما هو السائد اليوم على ألسنة الناس في ((هذه البلاد)) عامتهم

وخاصتهم ، فما تكاد تجلس في مجلس يذكر الله فيه إلا بادرك بعض الجالسين فيه بقوله : (الله موجود في كل مكان) وقد يقول آخر : (الله موجود في كل الوجود) فإذا سارعت إلى بيان بطلان هذا الكلام ..... سارع بعض المتعالمين إلى تأويل ذلك القول بضم جملة (بعلمه) إليه ، كأنما هو آية من كتاب الله أو حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لابد من تأويله ! ولم يدر هؤلاء المساكين أنها كلمة الجهمية والمعتزلة ، وعقيدتهم على ما يدل عليه ظاهر هذا القول دون أي تأويل ، فإذا سمعت تأويلهم إياه (بعلمه) ظننت خيرا ، ولكن سرعان ما يخيب ظنك حينما توجه السؤال الموروث عن النبي المعصوم ... ألا وهو قوله صلى الله عليه وسلم للجارية : أين الله .... فأنت إذا وجهت مثل هذا السؤال ((إلى العامة والخاصة)) وجدتهم يحملقون بأعينهم مستنكرين إياه ... ثم تراهم مع ذلك حيارى لا يدرون بماذا يجيبون ..... وهذا والله من أعظم ما أصاب المسلمين من الانحراف عن عقيدتهم أن لا يعرف أحدهم أين ربه ..... حتى صدق فيهم ..... : أضاعوا معبودهم)) اهـ كلام الألباني باختصار .

إذن هذا هو سلفي الشام يقول بأن فطرة العوام هناك هي نفي العلو الحسي وأن عقيدتهم على عقيدة الأشاعرة عوامهم وخواصهم ولم يأخذ بظاهر (عقيدة النعال) ولا بظاهر (سبحانو ععرشو) !! لأنه عرف أن هذه الألفاظ عند العوام والخواص غير محمولة على ظاهرها الحسي الذي يدعو هو إليه ، لأن العوام والخواص من المسلمين جميعا لا يستنكفون من استعمال ألفاظ القرآن والسنة الصحيحة كالاستواء على

العرش والفوقية والعلو ، لكنهم أيضا لا يفهمون منها ذلكم المعنى الحسي الذي يسعى وراءه الحشوية والمجسمة ، وهذا بعينه هو منهج أهل السنة والجماعة : التصديق والإثبات ثم التفويض والحذر من الحمل على الظاهر الحسي المتبادر إلى أذهان المشبهين .
والآن لماذا لا يتشبث الشامي والمعتصم بهذه الفطرة التي يؤمن بها أهل الشام من وجهة نظر الألباني ؟؟؟ أعني نفي العلو الحسي المصرح به في كلام الخواص والعوام كما يقول الألباني ؟؟؟؟ ألا يحق لنا نحن بالمقابل التمسك بفطرة العوام هذه التي تثبت أنهم معنا وفي صفنا لا مع الحشوية ؟؟؟؟ أم أن فطرة العوام هذه تصلح حجة للحشوية حسب الهوى والتشهي فقط ؟؟؟؟ أقول إن الألباني لم تغب عنه (عقيدة النعال) التي يؤمن بها ولا عقيدة (سبحانو ععرشو) ولكنه عرف أنها لا تمثل حقيقة عقيدة العوام فأطلق أن العوام تابعون في حقيقة الأمر لعقيدة الأشاعرة !!!! ألا تنصفون كما أنصف ؟؟؟ .

مقالات الإمام المحدث الفقيه الحجة الشيخ

محمد زاهد الكوثري

وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية ورئيس العلماء فيها

ولد 1296- وتوفي 1371هـ رحمه الله تعالى

حول المولد النبوي الشريف

المقالة الأولى

مولد خاتم رسل الله

عليه أزكى الصلوات

في مثل هذا الشهر المبارك قبل 1410 من السنين ولد فخر المرسلين بمكة المكرمة، فاستنار الكون بنور طلعته صلى الله عليه وسلم، وأشرقت الأرض بهذا النور الوهاج حتى انقشعت الظلمات المتراكمة على هذا العام، المتوارثة من القرون الهمجية المتوغلة في الجهل.

وكذلك كان مصير الجهالات التي غشيت العقول على تعاقب أدوار الجاهلية حيث أخذت تزول شيئاً فشيئاً بنور هديه صلوات الله عليه، إلى أن عمَّ فيضه البسيطة واستنارت بصائر الذين آمنوا به استنارة تضئ لهم ما وراء الحجب الظلمانية من الضار والنافع، فتركوا الضار وأخذوا النافع، حتى تمكنوا في أيسر مدة من القيام بأعمال عظيمة عجزت عن عشر معشارها الأمم الأخرى طوال قرون في أقطار الأرض.

ومن استعرض ما كان عليه طوائف البشر من الجهل المطبق والتدهور المطلق في شؤونهم كلها أوان البعثة النبوية، ثم فكَّر فيما تمَّ للمسلمين بعد مبعثه -صلوات الله وسلامه عليه- من عِزٍّ منيعٍ ورقيٍّ باهر في جميع مرافق الحياة، واعتلاء شأنٍ في العلوم والأعمال والأخلاق بما يرضى الله ورسوله اعتلاءً يوازن مقدار تمسكهم بأهداب هذا الدين الحنيف، يجد معجزات فخر الرسل صلى الله عليه وسلم تتجدد على توالي القرون وهكذا إلى انتهاء الحياة البشرية في هذا العالم.

فدونك الطوائف البشرية في عهد الجاهلية، فمنهم طائفة كانوا يئدون بناتهم، ويعبدون الأصنام وما عسى أن يأكلوه أيام المجاعة.

ومنهم أمة كانوا يبيعون أرض الجنة شبراً شبراً للذين يستغلونهم، ويعتقدون في الله أنه شيخ أشمط قاعد على كرسي أبيض الرأس واللحية وحوله الأملاك، تعالى الله عما يفترون.

ومنهم أهل دين يقولون بالتثليث والحلول، وهم عن قضايا العقول ذاهلون -تعالى الله عما يأفكون-.

ومنهم شراذم يتعبدون الأجرام العلوية، ويعتقدون أن الإله قاعد على العرش في السماء قعود المَلِك على سرير المُلك في الأرض -تعالى الله عما يختلقون- إلى غير ذلك من الخرافات التي يستبعد العاقل وجود أناس يعتقدون تلك المخازي في غابر الأجيال.

فبإشراق نور هديه صلوات الله عليه انجلت تلك الظلمات عن طريق دعوة سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، حتى تمَّ للمسلمين ما يعلمه الجميع من المفاخر.

وما لهذا الرسول العظيم من نواحي العظمة جدّ عظيم، وقد عجز كبار أهل العلم عن شرح بعض مزاياه العظيمة، وأنى لمثل هذا العاجز أن يتصدى لبيان ناحية من نواحي ما لهذا النبي الشفيع من الذكر الرفيع ؟ وفي بيان ذلك كتب خاصة حافلة تطلع على شيء من نواحي عظمته صلوات الله وسلامه عليه.

وقد أيد الله سبحانه وتعالى أحب خلقه إليه بأكمل المعجزات وأتم البراهين، وبعثه إلى الناس كافة يدعوهم إلى الدين الأكمل والشرع الأتم، فبه ختمت الرسالة من الله.

والقرآن الحكيم هو معجزته الخالدة، وقد خص أحكم الحاكمين بخاتم كتبه المنـزلة خاتمَ رسله، فبه الكمال والتمام، وبه الختام والاختتام، فلا بأس أن نتحدث عن هذا الكتاب الكريم الذي سعدت هذه الأمة باعتصامها بأحكامه أيام مجد الإسلام، وإنما ذلَّ من ذل بإعراضه عن تعاليمه القويمة.

وهذا القرآن هو الذي جعلنا نميز ما يجوز في الله سبحانه وما لا يجوز فننـزهه عما لا يجوز وصفه سبحانه به، وهو الذي حفزنا إلى الاعتلاء في مرافق الحياة، والأخذ بكل ما فيه إعلاء كلمة الله وإسعاد الأمة، وهو الذي هدانا إلى مراضي الله تعالى في العبادات والمعاملات، وإلى طرق اكتساب الملكات الفاضلة والعلوم النافعة.

ولذلك كانت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في غاية من الاعتناء بالقرآن الكريم كتابة وحفظاً وتحفيظاً ومدارسة لعلومه، وكانت صفة المسجد النبوي كدار للقراء يأوي إليها فقراء الصحابة ممن لا أهلَ لهم، يتدارسون القرآن ويتعلمونه، ثم يعلمونه لأهل البلاد المفتوحة على تجدد الفتوح، وكان جماعة من كبار الصحابة تفرغوا لتعليم الناس القرآن في المدينة المنورة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وكان بها دار للقراء خاصة، وكان لمعاذ بن جبل ثم لابن عباس رضي الله عنهم عناية عظمى بتعليم القرآن وعلومه لأناس لا يحصيهم العد في مكة المكرمة.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه قد علم القرآن وعلومه لعدد عظيم من أهل الكوفة، ويُبلِغ بعضُ ثقات أهل العلم عددَ هؤلاء إلى نحو أربعة آلاف قارئ ما بين متلقٍّ منه مباشرة أو آخذ عمن أخذ عنه.

وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه كان أيضاً يصنع صنيعه بالبصرة، وقد حدث الحافظ ابن الضريس أبو عبد الله محمد بن أيوب البجلي في كتابه «فضائل القرآن» عن مسلم بن إبراهيم

عن قرة عن أبي رجاء العطاردي البصري أنه قال: «كان أبو موسى يطوف علينا في هذا المسجد -يعني مسجد البصرة- فيقعدنا حلقاً حلقاً يقرئنا القرآن» اهـ.

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يعلم القرآن في كل يوم من طلوع الشمس إلى الظهر، ويقسم المتعلمين عشرة عشرة ويعين لكل عشرة عريفاً يعلمهم القرآن، وهو يشرف على الجميع يراجعونه إذا غلطوا في شيء، راجع تاريخ دمشق لأبي زرعة وتاريخ ابن عساكر.

ولو أخذنا نسرد ما لأصحاب هؤلاء في الأمصار من السعي الحثيث في تعليم القرآن والتفقيه في الدين في أمصار المسلمين لطال الكلام.

وها هو الإمام ابن عامر الدمشقي صاحب أبي الدرداء وأحد الأئمة السبعة من القراء كان له وحده أربعمائة عريف، يقومون بتعليم القرآن تحت إشرافه -وهو الإمام الذي يجترئ على قراءة مثله الشوكاني والقنوجي بدون وازعٍ لهما، مع خطورة الكلام على القراءة المتواترة.

وفي المجلد الثاني من النشر الكبير لابن الجزري بحثٌ ممتعٌ في هذا الصدد، يردع أمثالهما من الخاطئين أو المخطئين المتحاملين على القراءات المتواترة.

وطريقة ابن عامر هذه هي طريقة الآخرين من أصحاب ابن عباس وأصحاب علي وابن مسعود وأصحاب أبي موسى رضي الله عنهم في التعليم.

وهكذا كان القراء في سائر الأمصار يجرون على هذا النمط في تعليم القرآن.

وكان الصحابة والتابعون يتعلمون فقه القرآن عند تعلمهم آيات القرآن، وقد أخرج الحافظ أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي في كتابه «فضائل القرآن» وقال: «حدثنا محمد بن عبيد بن حساب، ثنا حماد بن زيد، ثنا عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: إنما أخذنا بالقرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الآخر حتى يعلموا ما فيهن من العمل. قال: فتعلما العلم والعمل جميعاً، وإنه سيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز هذا وأشار بيده إلى حنكه » اهـ.

وأبو عبد الرحمن السلمي هذا تلقى القرآن من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو عمدته فيه، وقد عرض القرآن أيضاً على عثمان وزيد رضي الله عنهما، وعنه أخذ السبطان الشهيدان رضي الله عنهما القرآن، وكان ذلك بأمر علي كرم الله وجهه.

وهكذا كانت الصحابة والتابعون في العناية بتعليم القرآن وتفهيم أحكامه وهكذا سار من بعدهم على سننهم مدى القرون يحفظه في كل طبقة من لا يحصيهم العدّ في كل قطر، حتى إذا أخطأ تالٍ في حرف من القرآن في قرى بعيدة عن المدن يجد هناك من يرده إلى الصواب، وهذا أمر لم يسبق لكتاب من الكتب في تاريخ البشر، وهكذا صدق الله وعده في حفظه.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم تتفاوت دلالة آياته على المعاني وضوحاً وخفاء، ولو كانت آياته تتساوى في دركها الأفهام - كمواد القوانين الوضعية- لخمدت الهمم وركدت الأفهام، يشملها الغباء لعدم وجود ما يحمل على الغوص والتفكير العميق.

لكن الله جلت حكمته جعل القرآن بحيث تختلف الأفهام والقرائح في إدراك أسراره واجتلاء معانيه، فاحتيج إلى علوم تساعد في تفهم أسرار الكتاب الحكيم، فلذلك دُوّنت العلوم العربية من مفردات اللغة والاشتقاق والصرف والنحو والبلاغة وما إلى ذلك من علوم اللسان.

ولذلك أيضاً دوّن علم أصول التفسير وعلم أصول الدين وعلم أصول الفقه والجدل والتاريخ ونحو ذلك مما يفيد في معرفة مراتب الحجج والأدلة، وفي إدراك مواطن العبر من أنبائه.

وقد فاض كل هذه العلوم من القرآن الكريم زيادة على ما أفاده من العلم بالله وبمراضيه في العبادات والاعتقادات والمعاملات واكتساب الملكات والنظر في ملكوت السموات.

وما ألفه أهل العلم في اجتلاء روائع المعاني من القرآن الكريم مما لا يكاد يحصيه العد على اختلاف مسالكهم في العناية بالرواية أو الدارية وفنون الأفنان من علوم القرآن، وعلى تفاوت أذواقهم ومشاربهم في الاهتمام بجهة خاصة من مزايا القرآن المجيد.

وأرجو القارئ الكريم أن يسمح لي أن أذكر بعض مؤلفات علماء هذه الأمة في هذا الصدد مما يكون أنموذجًا لمساعيهم الجبارة في مضمار تدوين المؤلفات:

فها هو تفسير الإمام أبي الحسن الأشعري المسمى «المختزن» في سبعين مجلداً على ما يذكره المقريزي في الخطط.

وتفسير القاضي عبد الجبار الهمذاني المسمى «المحيط» في مائة سِفر.

وتفسير أبي يوسف عبد السلام القزوني المسمى «حدائق ذات بهجة» أقل ما يقال فيه إنه في ثلاثمائة مجلد، وكان مؤلفه وقَفَه وجعل مقره مسجد الإمام أبي حنيفة ببغداد ثم صار في عداد الكتب التي ضاعت في أثناء استيلاء المغول على دار الخلافة ببغداد إلا أني سمعت من أحد أدباء الهند: أنه رأى قطعة منه في أحد فهارس الخزانات.

وللحافظ ابن شاهين تفسير في ألف جزء حديثي.

وللقاضي أبي بكر ابن العربي «أنوار الفجر» في التفسير في نحو ثمانين ألف ورقة، والمعروف أنه موجود في بلادنا ، إلا أني لم أظفر به مع طول بحثي عنه.

ولابن النقيب المقدسي أحد مشايخ أبي حيان تفسير يقارب مائة مجلد يوجد بعض مجلدات منه في خزانات اصطنبول، ويوجد من تلك التفاسير بعض مجلدات في بعض الخزانات، فيما أعلم.

وأما أضخم تفسير تام يوجد اليوم -على ما نعلم- فهو تفسير «فتح المنان» المدعو بالتفسير العلامي المنسوب إلى العلامة قطب الدين الشيرازي، وهو في أربعين مجلداً، فالمجلد الأول منه موجود بدار الكتب المصرية، وبه تظهر خطته في التفسير، وفي مكتبتي: محمد أسعد وعلي باشا -حكيم أوغلى- في اصطنبول من مجلداته ما يتم بها نسخة كاملة.

وللعلامة محمد الزاهد البخاري نحو مائة مجلد في التفسير، كما في «المنهل الصافي»، ولعلماء هذه الأمة تفاسير لا تحصى سوى ما تقدم على اختلاف مسالكهم.

فما سردناه هنا نبذة يسيرة مما للعلماء من المساعي الحميدة في سبيل تبيين معاني كتاب الله العزيز وكشف أسراره التي لا تحصى.

ولهم أيضاً مثل هذه الخدمة المشكورة في تدوين السنن الشارحة للكتاب المبينة لوجوه الإجمال فيه.

ومن هذين المعينين -الكتاب والسنة- ينبع شرع الله، وإليهما يستند إجماع المجمعين وقياس القائسين، وقد جعل أئمة هذه الأمة لكل واحد منها سياجاً يضمن حراسته من عدوان المعتدين وتهوس الخاطئين فاستقرت بعنايتهم طرق الاستنباط ووجوه الاستدلال ووسائل الترجيح وسبل الدلالة، حتى أصبحت محجتهم بينة المعالم وأصولهم رصينة القواعد بحيث لا تقبل أي تشغيب.

فمن حاول أن يتخطى ما فهمه جمهرة أئمة العلم سلفاً وخلفاً من تلك الأدلة في أحكام الشرع لا يقع إلا على أمِّ رأسه متردياً في هاوية الردى.

وليس للراسخين في الزيغ في آخر الزمن سبيل ما في المخالفة لجماهير أهل الفقه في الدين في شيء من أحكام الشرع، بل قصارى ما يستطيعون أن يعملوا: أن يفضحوا أنفسهم ويكشفوا للجمهور عن مغيب ما ينطوون عليه من الجهل الفاضح وتوخي الهلاك مع الهالكين.

وليست مخالفة جمهور الفقهاء في فهم كتاب الله وسنة رسوله بالأمر الهين، بل ذلك أمر شديد الخطر.

والله سبحانه أسأل أن يغرس في قلوبنا مخافته، ويوحد كلمتنا في دينه، ويلهمنا الاتباع بدون ابتداع، ويختم لنا بخير، وأن يسدد خطوات قادة الأمة وأدلائها إلى ما فيه سعادة الجميع، بجاه حبيبه ومصطفاه.

المقالة الثانية

المولد الشريف النبوي

ذكرى مولد النبي صلوات الله وسلامه عليه تجعلنا نستعرض ما كانت عليه طوائف البشر من صنوف الزيغ ووجوه الجاهلية

من قبل، وما تمَّ بيده الكريمة من سعادة شاملة لمن تبع دينه، ونور وهّاج يهدي إلى كل خير في الدارين ويكشف صنوف الظلمات المتراكمة على أبصارهم وبصائرهم من عهد الشقاء الذي ليس بعده شقاء، وكل ذلك بيُمن بعثته صلى الله عليه وسلم إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

وشهر ربيع الأول هو رمز ذلك اليوم المسعود، مولد فخر الوجود –صلوات الله وسلامه عليه- فنرى المسلمين طول هذا الشهر المبارك مثابرين على الاحتفاء بذكرى ولادته ومطلع نور هدايته صلى الله عليه وسلم عرفانًا منهم لما فاض عليهم من نور هدى طلعته الميمونة، بعد ظلمة متراكمة وزيغ متواصل وضلال، ليس فوقه ضلال حتى تبدلت الأرض غير الأرض.

وقد أخرج أحمد وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، واستنبئ يوم الاثنين، وخرج مهاجراً يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، وتوفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين».

وقد اتفق جمهرة النقلة على أن مولده كان عام الفيل، وأنه كان يوم الاثنين، وأن شهر مولده هو شهر ربيع الأول -وذكرُ شهرٍ سواه لمولده عليه السلام ليس إلا من قبيل سبْقِ القلم عند النقاد- فيدور الخلاف المعتد به في تعيين اليوم من شهر ربيع الأول أهو عند انقضاء اليوم الثامن أم العاشر أم الثاني عشر ؟

فلا يعتدون برواية تقدم مولده عليه السلام على تلك الأيام، ولا برواية تأخره عنها، لعدم استنادهما على شيء يلتفت إليه.

فدار البحث في ترجيح الراجح من تلك الروايات الثلاث.

فالقول بأن ولادته عليه السلام عند انقضاء ثمانية أيام من الشهر قدَّمه ابن عبد البر في الاستيعاب عند سرده لوجوه الخلاف في مولده عليه السلام، واقتصر عليه قبله أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي، خازن دار الحكمة المأمونية، وقال عنه الحافظ عمر بن دحية في كتابه «التنوير في مولد السراج المنير» -الذي أجازه عليه مظفر الدين صاحب إربل بألف دينار- : «هو الذي لا يصح غيره، وعليه أجمع أهل التاريخ».

فيكون هذا هو الراجح روايةً، بل المتعين درايةً؛ لأن اليوم التاسع عند انقضاء تلك الأيام الثمانية هو الذي تعين لمولده صلى الله عليه وسلم، بعد إجراء تحقيق رياضي لا يتخلف بمعرفة الرياضي المشهور العلامة محمود باشا الفلكي المصري رحمه الله في رسالة له باللغة الفرنسية في تقويم العرب قبل الإسلام.

وقد ابتدأ المشار إليه في تحقيقه القهقرى من يوم كسوف الشمس عند وفاة إبراهيم ابن محمد عليه الصلاة والسلام في السنة العاشرة من الهجرة، والنبي صلى الله عليه وسلم في سن ثلاث وستين سنة كما في صحيح البخاري.

وعيّن أن الكسوف في تلك السنة كان في سلخ شوال واستمر على تتبعه الرجعي إلى أن وصل إلى نتيجة أنه صلى الله عليه وسلم يلزم أن يكون مولوداً في اليوم التاسع من شهر ربيع الأول، لأنَّ يوم الاثنين الذي كانوا اتفقوا عليه هو ذلك اليوم من الشهر المذكور عام الفيل الموافق 20 إبريل سنة 571 م، وأجاد البحث في تحديد يوم ولادته صلى الله عليه وسلم بعد الاستعراض الشامل لأقوال الفلكيين من الشرق والغرب.

فلا معدلَ عن هذا القول لترجحه رواية، وتعيينه دراية؛ لأن التحقيق الرياضي لا يتخلف.

وقد ترجم أحمد زكي باشا تلك الرسالة إلى العربية باسم «نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام وفي تحقيق مولد النبي وعمره عليه الصلاة والسلام» سنة 1305 هـ. وطبعت في تلك السنة بمصر- فجزاهما الله عن العلم خيراً.

وأما القول بأن مولده في اليوم العاشر من الشهر، فقد عزاه ابن سعد في طبقاته إلى محمد الباقر رضي الله عنه، لكن في سنده ثلاثة رجال متكلم فيهم.

وأما القول بأنه اليوم الثاني عشر من الشهر فقول محمد بن إسحاق، لكنَّه غُفْلٌ من السند كما في مستدرك الحاكم، فيكون شأنه شأن الأقوال التي لا أسانيد لها.

لكن أغلب البلاد أخذ بهذا في الاحتفاء بمولده صلى الله عليه وسلم، ليكون في زمن كان بروزه لهذا العالم في مثله أمراً متفقاً عليه عند الجميع.

وأما تأخره عن ذلك اليوم فوهم محض ممن ليس في العير ولا في النفير، ولم يعتد صاحب تلك الرسالة بروايات في وقوع ذلك الكسوف في أيام وشهور غير سلخ شوال لمنافاة ذلك لمسلمات الفن.

فإصرار ابن حجر على تجويز وقوعه في رابع الشهر أو عاشره أو الرابع عشر منه كما ورد في بعض الروايات وردُّه على الفلكيين وضربه المثل بقول الشافعي في الأم من احتمال اجتماع العيد والكسوف، ناشئة من بُعده عن علم الفلك المأخوذ مما جرت عليه سنة الله في اختلاف الأيام والشهور والفصول بطريق جري العادة لا الإمكان العقلي، وقد أصاب البدر العيني في رده على الرواة في رواياتهم وقوع الكسوف في غير أيامه في جاري العادة، ولا عجب في أن يهم الثقة في شيء ليس في متناول علمه.

كما أنه لا عجب في اختلاف الرواة في تاريخ ميلاده صلى الله عليه وسلم؛ لأنه ولد بين أمة أمية لا تحسب ولا تكتب ولا تؤرخ إلا بأحداث معروفة عندهم في مبدأ الأمر.

فلا محل في أن يعيبنا البرنس قيتانو [كيتانو] على هذا الاختلاف، مع سعيه في تكثير الروايات عن كل من هبَّ ودبَّ، في تاريخه الكبير عن الإسلام، متناسياً مبلغ الاختلاف العظيم «بالسنين لا بالأيام» الواقع في ميلاد عيسى عليه السلام، مما لا طريق معه إلى تحديد زمنه أصلاً، لتباعد ما بين رواياتهم، من التفاوت الشاسع الذي لا جامع له، بخلاف ما هنا لأن تحديد

زمن ولادة نبينا صلى الله عليه وسلم ثبت برواية راجحة أيدتها دراية ناجحة كما سبق.

والملك المعظم مظفر الدين كو كبوري «الذئب الأزرق» التركماني صاحب إربل -مبتكر ذلك الاحتفال البالغ بمولد حضرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه المشروح في وفيات ابن خلكان «1-436» وصف احتفاله وسعة أعطياته ونفقاته -كان يحتفل بالمولد الشريف في الليلة الثامنة من شهر ربيع الأول في عام، وفي الليلة الثانية عشرة منه في عام آخر عملاً بالروايتين.

وقد ألَّف أهل العلم مؤلفاه كثيرة في الآثار الواردة في مولده عليه السلام، ومن أجمع الكتب المؤلفة في ذلك: «جامع الآثار في مولد النبي المختار» في ثلاثة مجلدات للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله.

وقد طرقتُ في هذا المقال مباحثَ تغني شهرتها عن ذكرها، لكن توالي عدم ذكر المشهور قد يؤدي إلى نسيانه عند الجمهور، وهذا مما لا يستساغ.

والحاصل بأن طرْقَ هذه المباحث إن لم يكن فيه تذكير ففيه استذكار، والله سبحانه ولي التسديد.

المقالة الثالثة

المولد النبوي والدعوة النبوية

من علم ما كانت طوائف البشر وصلت إليه من التدهور في أبواب الاعتقاد والعمل والخُلُق قبل مولد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، ثم لمح إلى ما تمَّ بيده الكريمة من الإصلاح الشامل في تلك الأبواب في مدة يسيرة بعد قيامه بالدعوة إلى الله سبحانه: ازداد تيقناً بأن الله عز وجل ما أرسله إلا ليكون رحمة للعالمين حقاً.

فها هي بيئته كانت متوغلة كل التوغل في جاهلية جهلاء ووثنية خرقاء تعبد ما تنحت، وتعتقد أن الملائكة بنات الله - تعالى عن ذلك-، ولا تترفع عن اتخاذ الغارات مصدر ارتزاق، ولا تستنكف من وأد البنات مخافة سبي أو خشية إملاق، ولا تأبى أن تبيح اجتماع رجال على امرأة فتعد ولدها ولداً شرعياً لمن يشبهه منهم. ويقول القائل في بني حنيفة إنهم اتخذوا في الجاهلية إلها من حيس فعبدوه دهراً ثم أكلوه في المجاعة، تعالى الله عما يفترون.

وحول تلك البيئة أمم يدينون بأديان محرفة مختلفة، فمنهم أمة تدين بالتثليث وتقول إن الثلاثة واحد، وإن ابن الله قتل ثم رفع إلى السماء وقعد في جنب أبيه. تعالى الله عما يختلقون، ويبيع لهم كهنتهم بقاعاً من الجنة وهم لأربابهم مسخرون.

ومنهم من يعتقد أن الله شيخ أشمط، قاعد على كرسيه في السماء، وحوله الأملاك يهبط إلى الصخرة ويصعد منها إلى السماء، وقد استراح يوم السبت مستلقياً على ظهره رافعاً إحدى

رجليه على الأخرى لنصَب أصابه من خلق الكون، تعالى عما يأفكون!!

ومنهم الصابئة عبدة الأجرام العلوية كأصحاب الهياكل الذين يعتقدون أن الشمس إله كل إله، وكالحرانية الذين يرون أن الخالف واحد كثير، واحد في الأصل كثير بتكثّر الأشخاص في رأي العين... فإنه يظهر بها ويتشخص بأشخاصها ولا تبطل وحدته وذلك بحلول ذاته أو جزء من ذاته فيها. تعالى عما يشركون.

ومنهم المجوس عبدة النار القائلون بخالقين اثنين: النور خالق الخير، والظلمة خالق الشر على اختلاف فرقهم بخلط وتخليط من مانوية وديصانية ومزدكية وغيرها يرون أن النور غير متناه إلا من جهة التحت حيث يلاقي الظلمة، وكان ماني رأس المانوية راهبًا بحَرّان مزج النصرانية بالمجوسية، ورئيس المزدكية هو مزدك الداعي إلى الاشتراك في الأموال والأبضاع تأسيساً للإخاء الشامل بإزالة أسباب العداء في زعمه، وقد بلغت به الوقاحة إلى حد أن يطالب قباد الساساني بتسليم الملكة له فانصاع له قباد الذي كان دان بدينه، لكن صعب ذلك على أنوشروان ابنه فانكب على رجلي مزدك يقبلهما ليعفي أمه من هذا فأعفاها، وبعد أن تولى الابن الملكَ أعمل في المزدكية السيف وقتل رئيسهم شر قتله.

ومزدك هذا هو السبب الأصلي لانهدام ذلك المجد الشامخ لآل ساسان وانهدام المجد نتيجة ضرروية للإباحة المطلقة حيثما حلت ولو بعد حين. ومِن معتقد المزدكية أن المعبود قاعد على

كرسيه في العالم الأعلى على هيئة قعود الملك في العالم الأسفل.

ومن تلك الأمم الدهريون والطبعيون نفاة الصانع المحرومون من تعقُّل الاستدلال بالأثر على المؤثر، وهذا منتهى البلاهة، وهم آفة الفضيلة في كل عصر، والمنـزلون للبشر منـزلة البقر في عدم التكليف.

ومنهم السمَنِيّة والبَراهمة القائلون بنفي ما وراء الحس والمنكرون للنبوة، وفلسفتهم أم الهوان والمذلة في كل دور.

هكذا كان الحجاز وما حوله إلى فلسطين والشام والعراق وبلاد الروم وأرض الفرس والهند وبلاد أفريقية وما والاها حين بعث خاتم رسل الله صلى الله عليه وسلم فأي منظر يكون أقتم وأظلم من هذا المنظر في تاريخ البشر.

ولا يخفى على البصير مصادر ما نستخفه من المزاعم الشائنة في بعض نحل اليوم من تلك المعتقدات الباطلة.

فقام هذا النبي الهاشمي الأبطحي- صلوات الله وسلامه عليه- بالدعوة إلى الإسلام في تلك البيئة المحاطة بتلك الأمم يقيم الحجة لدعوته بحيث لا يدع عذرًا لمعاند، ويوقظ العقول إلى المعالي بطريقة لا تعلو على مدارك العامة ولا تستنكرها الخاصة، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادل الطوائف بالتي هي أحسن حتى دانوا له تباعًا، فعلمهم ما يجوز اعتقاده في الله وما لا يجوز وفهّمهم وجوب تنـزيه الله سبحانه عن مشابهة مخلوقاته ومماثلة مصنوعاته وفقّههم في

أبواب العمل، ودربهم على الفضائل والسجايا الكريمة، واستنهض الجميع نحو رقي مستمر في العلوم والأعمال والأخلاق وما إليها استنهاضًا تدريجيًّا بعيدًا عن الطفرة والمفاجأة، مستعملاً اللطف في محله والعنف في موضعه حتى خرقت دعوته ذلك النطاق وانتشر دين الإسلام في جميع الآفاق فدانت الأمم بنور هدايته في مشارق الأرض ومغاربها.

وأفاضت هذه الدعوة المباركة والنهضة الميمونة على العالمين ما لم يعهد له مثيل من الخيرات في أيسر مدة، فمن تأمل ذلك يزداد يقينًا ويجد في ثنايا تشريع هذا النبي العظيم معجزات تتجدد مدى الدهر، رغم انحراف المنحرفين عن هدية صلى الله عليه وسلم ورغم مسعى الفاتنين في هدّ كيان شرعه في الداخل والخارج.

وأمهات ما تلقت الأمة من النبي صلى الله عليه وسلم هي العلم بالله وصفاته وما إليها من المعتقدات المقصودة لذاتها، والعلم بالأحكام العملية من عبادات ومعاملات يدور عليها تهذيبهم النفسي وإقامة العدل بين الخليقة، والعلم بطرق اكتساب الملكات الفاضلة والتخلي عن الخلال الرديئة النفسية مما يرشد إلى وسائل تزكية النفوس وتصفية القلوب حتى تصدر منها الأعمال المسعدة في النشأتين سجية لا بتكلف فتتم لهم الكمالات العلمية والعملية. كما أشرت إلى ذلك كله عند تحدثي عن الحالة العامة عند البعثة النبوية في مقدمة «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر.

وكان السلف من الأمة المحمدية في غاية من الاعتصام بهذا الدين الحنيف ونهاية التوفيق في استثمار الخيرات منه في ساحات العلم والعمل والاعتزاز كما هو معلوم لمن استعرض آثارهم في فتح البلاد وهداية العباد، ومدوناتُهم الخالدة في العلوم تملأ خزانات العالم وتشهد لهم بكل فخر، بخلاف خَلَفهم الذين أضاعوا التراث، وبدأوا يندمجون في غير أمتهم فهانوا وذلوا حيث أعرضوا عن هذا الدين القويم والشرع الحكيم، فلا حول وإلا قوة إلا بالله فندعوه سبحانه أن يوقظنا من غفوتنا ويلهمنا رشدنا، وهو المجيب لمن دعاه.

المقالة الرابعة

المولد النبوي الشريف

ذكرى ولادة فخر رسل الله صلوات الله وسلامه عليه تجعلنا نشعر بما أغدق الله سبحانه بمولده وبعثته صلى الله عليه وسلم على البشر كافة من تمهيد السبيل للتخلص مما هم فيه من الضلال البعيد، وتعبيد الطريق للذين اتبعوه إلى سعادة ليس بعدها سعادة.

وشهر ربيع الأول هو رمز ذلك اليوم المسعود، فترى المسلمين طول هذا الشهر المبارك مستمرين على الاحتفاء بمولده صلى الله عليه وسلم عرفانًا منهم لما فاض من طلعته الميمونة من إنارة الطريق وإزالة الظلمات المتراكمة من عهد الجاهلية في شتى النواحي، وإبطال الباطل في معتقدات الوثنيين والمجوس واليهود والنصارى والصابئين من إشراك وتشبيه وقول بالحلول، ونحو ذلك من المخازي المشروحة في كتب الملل والنحل وتاريخ الأديان، فكلما استذكر الإنسان ما كان عليه طوائف البشر من الزيغ والضلال المبين عند بعثته صلى الله عليه وسلم وما وصل إليه متابعوه من السعادة الباهرة في مدة يسيرة يجد في ذلك أكبر معجزة تدل على عظمة هذا الرسول

العظيم صلوات الله وسلامه عليه، ويستيقن أنه لا سعادة ولا نهوض ولا عزة في آخر الزمن أيضاً إلا باتباعه عليه السلام في جميع النواحي العلمية والعملية والخلقية.

واستنهاضُ الهمم في هذا السبيل إنما يكون بتذكار هديه صلى الله عليه وسلم وهدي أصحابه رضي الله عنهم في شؤون الدنيا والدين لنأتسي بهم في ذلك حتى نسعد سعادة طيبة مباركة.

والعادة المتبعة في البلاد الإسلامية الاحتفاء بالمولد الشريف في الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الأول لأن ولادته لم تتأخر عن هذا التاريخ عند الجميع فيحتفون به في ليلة لا يبقى أي خلاف يُعتدّ به بعدها في كونه عليه السلام مولودًا قبل ذلك الزمن.

ولا يستغرب الخلاف في مولده صلوات الله وسلامه عليه لأنه ولد بين أمة أمية لا تكتب ولا تحسب ولا تؤرخ إلا بأحداث معروفة عندهم.

وقد اتفق جمهرة النّقَلة على أنه ولد في عام الفيل وأن ولادته كانت في يوم الاثنين وفي شهر ربيع الأول، ثم اختلفوا في أن ولادته كانت بعد انقضاء ثمانية أيام من الشهر أو في العاشر منه أو الثاني عشر، والأول جزم به ابن دِحْية الحافظ حتى قال: هو الذي لا يصح غيره وعليه أجمع أهل التاريخ كما في السيرة الحلبية، والثاني عزاه ابن سعد إلى محمد الباقر رضي الله عنه لكن في سنده ثلاثة رجال متكلم فهيم، والثالث أضعفها حيث ذكره ابن إسحاق من غير سند، وقد رأيتَ قول ابن دحية في الرواية الأولى وهي المتعينة في تحقيق محمود باشا الفلكي

المصري في رسالته باللغة الفرنسية عن تقويم العرب قبل الإسلام، وقد ترجمها إلى اللغة العربية أحمد زكي باشا في رسالة سماها « نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام وفي تحقيق مولد النبي وعمره عليه الصلاة والسلام » وقد طبعت سنة 1305هـ

وقد عمل فيها تحقيقًا رياضيًّا لا يتخلف، مبتدئًا من حديث أخرجه البخاري في كسوف الشمس في السنة العاشرة يوم وفاة إبراهيم ابن النبي عليه السلام يوم كان النبي صلى الله عليه وسلم ابن ثلاث وستين سنة وحدّد وقت الكسوف بآخر شهر شوال من السنة المذكورة، وهَجَر الشهور التي وردت في بعض الروايات مما لم يقع فيه كسوف كما ردّ العيني الروايات عن وقوع الكسوف في أيام لا يقع فيها الكسوف عادة، ولا مانع من أن يهم الثقة في شيء ليس في تناول علمه، وإن أصر ابن حجر على تمشيته تلك الروايات لبعده عن العلوم الفلكية.

فعَمِل محمود باشا الفلكي المذكور تتبعًا قهقريّا من هذا المبدأ إلى أن أثبت أن يوم الاثنين كان اليوم التاسع من شهر ربيع الأول عام الفيل الموافق 20 إبريل سنة 571م وأجاد هكذا البحث في تحديد يوم ولادته صلى الله عليه وسلم ببراهين رياضية لا تتخلف، بينما كان ميلاد عيسى عليه السلام غير قابل للتحديد من خلاف شديد متباعد بالسنين مما لا خِطام له ولا زمام.

وقول القائل في مولده عليه السلام: «في ثمانية خلَتْ»: يدل على أنه لم يولد في الثامنة بل في التاسعة على هذه الرواية

فتُطابق هذه الرواية التي أيدها ابن دحية ذلك التحقيق الرياضي كما يتبين من الاطلاع على تلك الرسالة.

وبهذا القدر من البيان نكتفي في هذا الموضوع والله سبحانه أعلم.